

الكاتب الكردي قدري جان

١٩٧٢ - ١٩١١

قصص ومقالات ، شعر ، ترجمة

دار ناراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

العنوان: دار ناراس للطباعة والنشر - حي رابهرين - اربيل - كردستان العراق

ت: ٢٢٣٢٠٢١ ص.ب: رقم: ١

الكاتب الكردي قدري جان

١٩٧٢ - ١٩١١

قصص ومقالات ، شعر ، ترجمة

جمع وإعداد: دلاور زنگي

ترجمة: هورامي يزدي - دلاور زنگي

تقديم: الدكتور معروف خزندار

اسم الكتاب: الكاتب الكردي قنري جان ١٩١١ - ١٩٧٢ قصص ومقالات، شعر، ترجمة
جمع وإعداد دلاور زنگي
ترجمة: هورامي يزدي - دلاور زنگي
تقديم: الدكتور معروف خزندار
من منشورات ناراس رقم: ٨٤
التصميم والإخراج الفني: دلاور صادق أمين
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تصحيح: شاخوان كركوكي
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: أربيل ٢٠٠١
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في أربيل ٢٠٠١/٣١٩



تدري جان

ضريح الكاتب الكردي قدري جان (1911-1972)
في مقبرة الشيخ خالد النقشبندي في حي الاكراد بدمشق

يرقد في هذا القبر جسد
فتى لطيف وناعم
من ديريك - جبل مازي -
يدعى قدري جان

وألف رحمة على روحه
كان شاعراً كردياً
ومحباً وطنياً
قابض الأرواح لم يمهلته

ضمت الأرض جسده
فأصبح هو الآخر ضحية
فارقنا نحن الكورد
ذلك المثقف المقداد.¹

¹ هذه الأبيات مكتوبة على شاهدة قبر الشاعر الكردي قدري جان الخالد، يقال بانها مكتوبة بيد عزت آغا الديركي.

المقدمة

الدكتور معروف خزنده دار

وضع الأخ دلاور زنگي مسودات تصنيفه "الكاتب الكردي قدري جان" بين يدي، ورغب ان أجيل النظر فيه وأتحفه بمقدمة عن الكتاب على حد تعبيره، وعند قراءتي لما ورد في الكتاب لم يكن قدري جان كشخصية أدبية مفاجأة لي بالرغم من انني لم ألتق به أبداً، غير انني عرفته شاعراً وناثراً منذ دخولي في ساحة الأدب الكردي. فالشاعر هو من جيل أواسط القرن العشرين في تاريخ الأدب الكردي وهو معروف في الوسط الثقافي الكردي في جميع أصقاع كردستان، لأنه كان يمثل بعض الأدب الكردي في المناطق الشمالية، ولعله كان مع الشعراء الآخرين جگرخوين وعثمان صبري يمثلون الأدب الكردي في جميع أرجاء كردستان الشمالية وذلك نظراً لعدم "تطور الأدب الكردي" في أهم بقعة من بلاد الكرد وهي كردستان التركية لذلك فإن الكرد الذين عاشوا خارج المجتمع الكردي في تركيا هم الوجه الحقيقي للتراث القومي وثقافة بني جلدتهم، لأن الوجود الكردي قد جمد لفترة طويلة تحت وطأة نير الحكم التركي المستبد الظالم.

ولقد عشت روحياً مع الكاتب قدري جان في الستينيات من القرن العشرين حينما كنت طالباً في الدراسات العليا في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم في مدينة سانت بطرسبورغ (لينينغراد آنذاك). وقد أهدت من إبداعاته الأدبية في الشعر، وكان لابد لي ان أتناوله في دراستي الأكاديمية التي تحولت فيما بعد الى كتاب مطبوع باللغة الروسية بعنوان "موجز تاريخ الأدب الكردي الحديث" الذي نشر في موسكو سنة 1967 ولقد وردت فيه آراء لي كثيرة عن قدري جان تتلخص في انه من الشعراء الذين عنوا بالقومية والوطنية مع زميليه في كردستان الشمالية عثمان صبري وجگرخوين حيث نظموا أناشيد حماسية في التعلق بالارض والحرية للناس وكان رنينهم الشعري منسجماً مع خيال شعراء كردستان العراق أمثال نوري الشيخ صالح وعبدالله گوران وتوفيق پيره ميرد ويونس دلدار واحمد دلزار ومحمد صالح ديLAN وغيرهم في أواسط القرن العشرين. وفي دراستي تلك كانت قصيدة قدري جان التي نظمها بمناسبة عودة البارزاني من الاتحاد السوفياتي حينذاك الى الوطن بعنوان "عاد الاسد الى الوطن عاد البارزاني" بعد احداث 14 تموز قد جلبت نظري، وكان في الواقع من روائع شعره في سنة 1959 فشرعت بترجمتها الى اللغة

الروسية، وقد نشرت في كتاب "موجز تاريخ الأدب الكردي الحديث"، وفي تلك القصيدة يدعو الى تمتمين أواصر الاخوة بين العرب والکرد في العراق، ويعتبر الوطن العراقي وطناً للعرب والکرد وبقية الاقليات التي تعيش على هذه الرقعة من العالم. كان الشاعر متفائلاً، نيته حسنة. وعرضه للحدث واقعيًا، وتحليله للوضع صائبًا. وكنا نحن وكان العالم المتمدن الواعي نرى ما يراه الشاعر الكردي قدري جان، غير ان واقع المستقبل القريب لم يكن كما كنا نتصور، ولم تنته أحداث 14 تموز كما كان ينبغي ان تنتهي به، ولكن الشعر الذي قيل بصدد تموز بقي حياً لأنه يعيش في ابعاد المطلق والنظريات المنطقية الثابتة.

ولعل من روائع الشعر الذي استوحى خياله من احداث 14 تموز هو قصيدته "القافلة" أو "المسيرة" ويقصد بها درب النضال والتضحية، ويؤكد بانه واثق من الوصول الى "جبل قاف" وهو جبل اسطوري في الحكايات الشعبية الكردية تعني نهايه العالم أي أقصى ما ينتهي بها، فالوصول اليه يعني ادراك المبتغى وهو في نفس الوقت رمز للحرية والانعتاق، ويرى الشاعر ان احداث 14 تموز قد اوصلت الكرد والعرب في العراق الى الغاية التي كانوا يصبون اليها:

وصلنا الى جبل قاف

اقترب، اقترب، اقترب الهدف

لاحت جنة الكرمانج (الکرد)

واما القصيدة هذه فمصيورها كان كمصير القصيدة السابقة حيث لاتزول مع زوال السبب وان لم يحدث ما كان يتوخاه الشاعر. واخيراً لم يصل الى جبل قاف، حتى بعد رحيل الشاعر، ولا يزال شعبه لم يدرك ذلك الجبل الاسطوري حتى الوقت الحاضر!

وبعد اطلاعي على مسودات الكتاب تبين لي بأن الكتاب يشتمل على الاعمال الكاملة للشاعر، وفيه يظهر بأن قدري جان قد مارس نظم الشعر، وكتابة المقالات الادبية، والقيام بالترجمة ويكاد ان يكون هناك صراع بين فن المقالة والقصة عند صاحبنا من حيث الشكل، وأما المحتوى فالكاتب يتناول الموضوعات الاجتماعية والقومية والسياسية، والمقالة عنده هي في لوحات فنية رومانتيكية أحياناً وأخرى سياسية واجتماعية وفي كل الاحوال يحاول الكاتب الافادة من الحكايات الشعبية، وتكاد ان تكون هذه الظاهرة من مميزات كتاب كردستان الشمالية، والحال هذه تنعدم عند كتاب الكرد في كردستان العراق، فالقصة عندهم فيها مواصفات القصة الادبية الحديثة بالمفهوم الاوروبي والشائع في البلاد العربية وبالاخص في مصر وكافة ارجاء

العالم وكان من الطبيعي ان تظهر القصة الحديثة في كردستان العراق لأن الادب الكردي فيها كان اكثر تطوراً من البقاع الأخرى.

ولقدري جان لوحات نثرية أخرى في فن المقالة يتناول فيها القضايا الاجتماعية والسياسية بأسلوب فني رشيق، وكان هذا الأسلوب شائعاً في كردستان العراق في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين وبالأخص على صفحات مجلة "كهلأويژ" (1939-1949) ومجلة (دهنگي كيتي) تازة = صوت العالم الجديد) (1943-1947)، غير ان شاعرنا يكتب أحياناً قصته بمقدمة نثرية وهذا النمط من الأدب كان شائعاً في الأدب الشعبي الكردي، وكذلك لدى بعض الشعراء في كردستان ايران في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. وإن هذا اللون من الأدب أي المقالة باشكالها المختلفة قد مهد السبيل لظهور القصة الكردية الفنية الحديثة في الثلاثينيات في كردستان العراق وهي لاتزال من الالوان الادبية الرائجة ليس عندنا فقط وانما في جميع انحاء العالم. ولقدري جان أسلوب بارع في سرد المذكرات والخواطر والسوانح التي تتنوع مضامينها في الادب الكردي بما فيها الادب الشعبي.

ولقد كانت للظروف التاريخية المتميزة التي مر بها الشعب الكردي في جميع العصور وبالأخص في القرن العشرين التأثير الواضح في تحديد مسار أدبه نحو المضامين الوطنية والقومية والانسانية والسياسية والاجتماعية اكثر من مضامين الحب والجمال والنزعة الذاتية التي هي الركن الثابت في آداب الشعوب جميعها وفي كافة الازمان والامكنة والى يوم الناس هذا.

كان الشعر يقف في المقام الاول من الأغراض التي تناولها قدري جان، وهو يشكل القسم الأعظم من نتاجه، والشعر عنده هو أناسيد تحث الشباب للمقاومة، وقد نشأت روح التمرد عنده منذ طفولته في وطنه الذي كان يعاني من نير الاستعمار التركي الذي كان يضطهد الكردي لأنه كردي وليس لسبب آخر، وقد نالت أسرة قدري جان والأكثرية المطلقة من المتعلمين الكرد في كردستان تركيا الاضطهاد والتشريد وسياسة التتريك التي كانت تحاول قلع الفكرة القومية في وجدان الكردي من جذورها وقد عاش قدري جان وجيله من المثقفين في مثل هذا الجو المفعم بالغدر والخيانة، لذا أتى الشعر اليه كحل للعقدة التي كانت تنخر كيانه لانه يشعر بأنه إنسان لا وطن له، كذلك أتى جلّ ما قاله من الشعر رمزاً للاخلاص وصورة حقيقية للجو الذي كان يعيش فيه شعبه الكردي.

انني واثق فيما أقول ولا اعتبر نفسي مبالغاً ان وصفت الشاعر قدري جان بأنه كان رجلاً قومياً متفتحاً وان ايمانه بالمباديء الاشتراكية، او الماركسية ودفاعه عن الاتحاد السوفياتي وتقربه من الشيوعيين كان لسبب واحد فقط وهو انه كان يرى في المباديء الاشتراكية كنظام لإدارة المجتمع والسلطة السوفياتية كدولة عظمى في ذلك الحين بأنها المنقذ الوحيد للكرد في حل قضيته القومية، ولم تكن هذه الظاهرة من مزايا المجتمع الكردي فقط وانما كانت شائعة في اكثر المجتمعات البشرية النامية أو المتأخرة نسبياً أو لنقل شعوب العالم الثالث او الرابع التي لم تنل فيه الشعوب الصغيرة حقوقها القومية بعد الحرب العالمية الثانية.

ففي قصيدته "ذاهب أنا الى موسكو" يستوحي خياله الشعري من رحلة الى موسكو في سنة 1957 للاشتراك في احتفالات الشبيبة العالمية لإشاعة السلم في العالم. وفي القصيدة كيل من المديح والثناء للسلطة الاشتراكية. ويرى الشاعر المجتمع السوفياتي هو النموذج الرائع للمجتمع المثالي وهو في أرقى مستوى يمكن للانسان ان يصل اليه ويدعو الوطنيين في العالم ان يببنوا مجتمعاً كالذي شاهده في الخمسينيات في موسكو، والقصيدة لاتخلو من الصور الشعرية، وهي انعكاس صادق لما رآه الشاعر من المظاهر الانسانية أيام الاحتفالات بعيد الشبيبة العالمي.

وإذا كان الشاعر يرى صورة الخلاص في النظام الاشتراكي فإنه يقف أمام الاحباط والبؤس حينما يُنشيء قصيدته في سنة 1948 وهو يُعزّي الشعب الكردي بفقد الشهيد القاضي محمد ويصب جام غضبه على الانكليز والامريكان لأنهما كانا السبب في انهيار جمهورية كردستان (مهباد) في كردستان الايرانية. وان الشاعر بدون شك لا يُخطيء من ان الاستعمارين كانا سبب احباط القضية الكردية في ذلك الوقت الا أن اسهام الاتحاد السوفياتي في سقوط تلك الجمهورية لم يكن أقل من دور الانكليز والامريكان لأن الصفقة الفاشلة التي عقدها السوفيات مع ايران (قضية امتياز آبار النفط) وخروج الجيش الاحمر من ايران دون أن يوصوا بالخير للشعب الكردي كان السبب الرئيس في حدوث المأساة بسقوط الجمهورية.

هذا ويكتب الشاعر قصائد كثيرة في الاحداث اليومية، والظروف الصعبة التي مر شعبه الكردي بها، فإنه لم يخرج عن الخط الواضح الذي كان يسير اكثر شعراء منتصف القرن العشرين وهو التغني بالمقاومة، وزرع روح النضال في نفوس الشبيبة الكردية. فالقصائد التي كان ينشرها الشاعر كانت بقرقيات سياسية، ومواقف ديبلوماسية، وكانت في نفس الوقت مادة جيدة للمقالة النثرية، نعتقد ان الشاعر كان يستخدم الشعر لهذا الغرض لانه كان يعتقد بان الشعر هو أقرب

الى روح الانسان الكردي ، وهذه الظاهرة موجودة عند شعراء كثيرين حتى في الشعر الكلاسيكي القديم من أمثال الحاج قادر الكويي (1815 – 1897).

فقد كتب الشاعر قصائد غير قليلة بهذا الاسلوب ، ففي قصيدة بعنوان (رسالة الى اذاعة طهران) يرد الشاعر على ما كانت تردده اذاعة طهران من الاكاذيب بعد أحداث 14 تموز 1958 في العراق ، حيث كانت الاذاعة المذكورة تتباكى على مصير كرد العراق الذين كانوا يئنون تحت وطأة غدر الانقلابيين حسب ما تراه الاذاعة ، غير ان الشاعر يرى العكس حيث التفتح وشيوع الديمقراطية في العراق عموماً حين نال الشعب الكردي بعض حقوقه ، ويتخذ الشاعر نفس الاسلوب الوصفي في الاشادة بثورة اكتوبر التي انقذت الشعوب السوفياتية وسوف تنقذ شعوب العالم بأسره فيما بعد ، كما كان يعتقد الشاعر وآخرون كثيرون في أرجاء المعمورة.

ولشاعرنا اسهام محمود في الترجمة من اللغات الأخرى الى اللغة الكردية. والاعمال المترجمة عنده تتفاوت بين المقالة او اللوحة الرومانتيكية الفنية كما نرى في ترجمة بعض نتاج مصطفى لطفي المنفلوطي ، وحقائق أخرى عن المجتمع الفنلندي وتاريخه (في بلاد الزنابق البيضاء) لكريغوري بيتروف. فقد نشر الشاعر القسم الاعظم من هذا الكتاب في مجلة (روژا نوو) في (18) حلقة بنفس الاسم أو بلاد المستنقعات ، ولم يُنشر الباقي من الكتاب كما هو مذيّل بكلمة (يتبع). ان العمل الذي قام به الاخوة الذين هياؤا هذا الكتاب عمل جليل ويغدو هذا التراث الذي أبدعه قدرتي جان في صفحات هذا الكتاب مصدراً مهماً يكون في متناول الدارسين والباحثين ، والأهم من هذا وذاك هو ان هذا الكتاب يصبح مصدراً قيماً لكتابة تاريخ الأدب الكردي الموسع الذي نتطلع اليه.

أربيل : منزل النور

الأول من كانون الثاني 2001

التصدير

الشاعر الكوردي قدري جان... يعتبر من الشعراء المجددين للشعر الكوردي ومن القاصين المبدعين للقصص القصيرة أيضاً... وذلك حسب رأي معظم الباحثين.

تعرفت على شعر قدري جان من خلال الكتب المدرسية حيث تدرس نماذج من شعره في موضوع الأدب الكوردي في الكتب المدرسية للمراحل الاعدادية، مع كتابات مجموعة الشعراء والأدباء الكورد الآخرين.

وفي عام 1966 حيث كنت ادرس في خاركوف - اوكرانيا السوفيتية في الكلية التحضيرية... دعاني زملائي من الطلبة الكورد لقضاء رأس سنة 1967 في موسكو... حيث مكثت في القسم الداخلي في الغرفة التي تشغلها ابنة الشاعر شيرين قدري جان... في جامعة الصداقة (جامعة باتريس لومومبا) في موسكو... وتعرفت على ابنه مزكين قدري جان أيضاً.

وبعد انتهاء الكلية التحضيرية عدت إلى موسكو للدراسة في كلية الطب (معهد الطب الأول في موسكو) حيث توطدت علاقتي مع شيرين قدري جان واستمرت الى يومنا هذا.

كما كانت لنا علاقات زمالة مع الطلبة الكورد الموجودين في موسكو من كردستان العراق وسوريا... كما كنا نحيي احتفالات اعياد نوروز سنوياً، ونحضر مؤتمرات جمعية الطلبة الكرد في أوروبا... واذكر اننا حضرنا مؤتمر بلغراد - يوغسلافيا، برلين - المانيا، وستوكهولم - السويد.

كنا مجموعة لا نفترق تقريباً ومن الاسماء التي اذكرها جيداً عداي أنا وشيرين، نجوى الكوردي من كورد الأردن، سلامة بكداش ابنة الاستاذ خالد بكداش، بولا معروف - ابن الشهيد معروف البرزنجي، جمشيد الحيدري - شقيق الشهيد جمال الحيدري وعاصم وصالح الحيدري، أحمد العمادي، فهمي، سربست محمد أمين، صلاح حداد، عزت ومن سوريا هيثم - ابن الاستاذ خالد قوطرش، اسماعيل من الجزيرة... كان طباحاً ماهراً لدى المجموعة، زياد الملا، كما كان ينضم الينا مظفر كم النقش وزوجته فداء أحياناً...

كما كانت لنا علاقات مع الكورد من المواطنين السوفييت الذين كانوا يحضرون احتفالات نوروز معنا حيث كنا نقيم احتفالاً كبيراً يحضره حشد كبير من السوفييت والعرب والأجانب، واحتفالاً آخر نحضر فيه نحن الكورد فقط...

واذكر من الكورد السوفييت العالم الكوردي السوفييتي الكبير كوردييف (قنات كوردو)، لكن ليس دائماً... كما كان البروفيسور جليلي جليل، وكرم - عميد قسم الفولكلور الكوردي في جامعة يريفان... وكان يحضر هو وفرقته سنوياً... واذكر انني كنت اساعد بنات الفرقة في لبس الزي الكوردي الوطني الخاص بمنطقة سوران بكردستان العراق من الملابس التي كانت في حوزة

الجمعية كما يحضر البروفيسور شرف - استاذ الفيزياء النووية في جامعة موسكو وابنته وآسيا عازفة بيانو وزينة أيضاً.

ومن الطبيعي في هذه المناسبات والاجتماعات أن ترد أسماء الاعلام الكورد... وكان اسم الشاعر قدري جان ضمن هذه الاسماء.

في عام 1996 شجعنا أحد الأخوة من اليزيديين أنا وصديق آخر في طبع اعمال والده... فاثمرت جهودنا بظهور المجموعة القصصية الجميلة جداً للقصص الكونجي... مما شجعني هذا أن اشجع د. شيرين قدري جان للبحث عن أعمال والدها وطبعها في كتاب كي لاتضيع آثاره...

وفي تلك الفترة رأيت د. عزالدين مصطفى رسول في دمشق الذي كانت له علاقة مع الشاعر وكان يتردد على بيته كثيراً وسألته عن أعمال الشاعر قدري جان إن كان لديه بعض منها... فذكر لي بأن له ديوان شعر مطبوع وقصائد في المجالات والجرائد الكردية الصادرة في ذلك الحين مثل مجلة هاوار، روزانو، روناھي، كه لاوبز... ووعدني أن يرسل ما لديه من أعمال الشاعر عندما يعود إلى الوطن ولكنه لم يفعل شيئاً.

وفي خريف العام الماضي رأيت د. عزالدين ثانياً وسألته عن الأمر فأخبرني بأنه حصل على بعض قصائده من مكتبة، كما حصل على بعض القصائد من أبي سعيد (عبدالوهاب رشواني - عضو قيادي في الحزب الشيوعي السوري وعضو مجلس الشعب حالياً)..

وبعد تداول ومحاورات وافق الاستاذ دلاور زكي على جمع ما لديه من أعمال الشاعر من القصائد والقصص والمقالات والترجمة وضم كل ذلك في كتاب... وقد اثمرت جهود الاستاذ دلاور أخيراً وارجو أن يرى الكتاب النور ليضيف إلى المكتبة الكوردية والعربية اثراً جديداً.

ومن خلال احتكاكي بأبنة الشاعر واصدقائه القدامى ومعارفه بصورة مباشرة أو غير مباشرة.. عرفت بأن الشاعر كان وطنياً كوردياً مخلصاً وانساناً صريحاً له جرأة أدبية كبيرة في انتقاد ما لايراه صحيحاً (طبعاً حسب رأيه هو) وقد تكون هذه الصفة لديه قد خلقت نوعاً من اختلاف الآراء فيه.

كان الشاعر ذا نزعة فكرية يسارية وفي نفس الوقت قومياً كوردياً فلم يكن منظماً في الاحزاب اليسارية (الحزب الشيوعي) مثلاً... ولا في الاحزاب الكوردية القومية (الحزب الديمقراطي الكوردستاني) مثلاً. لكن آثاره الشعرية واعماله القصصية تعكس هذا الواقع بشكل واضح تماماً... وكانت له مواقف مبدئية ثابتة سواء بالنسبة إلى القضايا الوطنية أو القضايا القومية. كما كان الشاعر كريماً يفتح بيته وقلبه للمثقفين من العرب والكورد وله علاقات واسعة مع رموز وشخصيات وقادة وطنية وقومية وشخصيات أدبية وثقافية...

وبالاضافة الى ذلك فإن الشاعر كان مجدداً في مجال الشعر الكوردي إلى جانب الشعراء الكورد الآخرين مثل: گوران وپيره ميرد... وغيرهم. وله اعمال في مجال القصة القصيرة تتصف برهافة الحس والوصف الدقيق وجمال التعبير والدقة في المغزى والمعنى...

ولعلني اتذكر بعض هؤلاء الاشخاص الذين كان الشاعر في علاقة جيدة معهم منهم: الخالد ملا مصطفى البارزاني، قدري جميل باشا (زناز سلوبي) حيث ساهم في طبع مذكراته باللغة التركية، أكرم جميل باشا، ممدوح سليم، عثمان صبري، المناضل نوري الديرسمي، والعلامة جلادت بدرخان، ومن الشعراء جگرخوين وكاميران بدرخان، والمناضل الاستاذ خالد بكداش - أمين عام الحزب الشيوعي السوري، وعبدالوهاب الرشواني، الاستاذ الدكتور خالد قوطرش، الضابط بكري قوطرش، والدكتور نورالدين زازا، ومن الجزيرة حاجو آغا، ومن كوبياني الأخوة بوزان، فريدون وشاهين شاهين، ومن عاموده صالح الشويش ومحمد علي الشويش...

كما يظهر أنه كان على اتصال مع عائلة الحيدري في كردستان الجنوبية (العراق) مثل صالح وعاصم الحيدري والشاعر بلند الحيدري، حيث كان شهيد الحيدري مؤسساً لحزب رزگاري، وكان الشاعر عبدالله گوران يصدر جريدة آزادي في كركوك مع مجموعة من المثقفين... وقد انضم هذا الحزب الى الحزب الشيوعي العراقي فيما بعد واصبح نواة للحزب الشيوعي الكوردستاني (العراق) الحالي. ومن المؤكد أن د. جمشيد الحيدري يعرف في هذا المجال معلومات اخرى كما كان برهان اسماعيل البرزنجي (أحد الطيارين الكورد العراقيين الأوائل) قد مكث في بيت الشاعر فترة من الزمن...

وكان للدكتور الشهيد عبدالرحمن قاسم علاقات جيدة مع الشاعر ويحل ضيفاً على بيته... وكذلك الأديب الكوردي (المصري) محمد علي العوني، كما كان للشاعر علاقات جيدة مع الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري وله صور معه... ومع الشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي والشاعر التركي ناظم حكمت...

وكان الشاعر على علاقة مع السوريين من العرب والكورد مثل المهندس الزراعي عارف عباس، توفيق نظام الدين - ضابط، القاضي عبدالقادر أسود، المحامي نجاة قصاب حسن، بكري قوطرش - ملحق عسكري في موسكو، الاستاذ محمد رشيد شيخ الشباب، الاستاذ عزت فلو، شاعر العاصي - وزير سابق، عبدالقادر قدورة - رئيس مجلس النواب حالياً، علي آغا زلفو، المحامي محي الدين برازي، عائلة إيبش، أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية.. الخ. من هذه العلاقات الواسعة يتبين أن الشاعر كان انساناً مثقفاً واسع الاطلاعات، له مكانة اجتماعية كبيرة، إلى جانب مكانته الأدبية المبدعة ونشاطه الدائم ونضاله الدؤوب من أجل اعلاء شأن الثقافة الكوردية ومحاولاته الدائمة لاعلاء شأن الشعب الكوردي وافهام قضيته العادلة للرأي العام العربي. وأرجو أن يكون هذا الكتاب فاتحة لالقاء الضوء على آثار الشاعر الأدبية الأخرى التي تعتبر في حكم المفقودة في الوقت الحاضر... وأرجو للاستاذ دلاور النجاح في خدمة الأدب والشعر والثقافة الكوردية.

الدكتورة وهبية شوكت محمد

دمشق 1999/7/12

سيرة حياة الكاتب قدري جان

لا يمكننا أن نتكلم عن حياة الكاتب والشاعر الخالد قدري جان بمعزل عن نتاجاته الأدبية، لأن تلك الابداعات أشبه أو ربما هي بمثابة مذكرات طفولته نشرها على شكل قصص وقصائد، لذا يتوجب على الدارس أو الباحث أن يطالع على ابداعاته الأدبية ليكون فكرة حول سيرة الكاتب لأنها المرجع الأكثر ثقة أو بمثابة الوثيقة الوحيدة بين أيدي الدارس، وخاصة لعدم وجود مراجع عن حياته، وقلة المصادر التي تناولت الجانب الأدبي أو الذاتي من سيرة حياة الكاتب، لذا لابد لنا أن نتطرق إلى بعض المقالات الشحيحة والشذرات التي تناولت بعض الجوانب من حياته.

ولد الكاتب والشاعر الكردي قدري جان في بلدة ديريك التابعة لمدينة ماردين في كردستان تركيا، وتتضارب الآراء حول تاريخ ولادته. يقول الكاتب محمد اوزون وكذلك فرات جوهرى في كتابه (الثقافة، الفن والأدب - من منشورات نودم: 25، الطبعة الأولى، ستوكهولم 1996) ولد قدري جان في عام 1919، أما الدكتور عزالدين مصطفى رسول فيقول في احد مقالاته أنه ولد في عام 1916، ويبدو أن مصدر معلومات الدكتور عزالدين مصطفى رسول مقتبس من كتاب الأميرة روشن بدرخان (صفحات من الأدب الكردي) تقول السيدة روشن: ولد في كردستان تركيا عام 1916، يذكر الصحفي حسن قيا في جريدة (الديمقراطية): ° ولد الكاتب قدري جان في عام 1911 مستنداً الى أقوال عائلته، ويذكر الكاتب أديب نادر في مقال نشره في مجلة متين: (... وشاعر الكرد قدري جان 1911 - 1972/8/9) أما الكاتب سليمان علي فيقول في مقال نشره في جريدة آرمانج الكردية، (ولد قدري جان في بداية القرن العشرين) ولم يذكر التاريخ، ولم يتطرق أيضاً البروفسور قنات كردو إلى ولادته في كتابه (تاريخ الأدب الكردي). وصلتنا وثيقتان تثبتان تاريخ ميلاده، الوثيقة الأولى (وثيقة عقد قران) أنه من مواليد 1911، والوثيقة الثانية (بطاقة طالب من دار المعلمين في قونيه) وضع تاريخ 1327 الهجري بجانب تاريخ الولادة ويقابل هذا التاريخ 1911 الميلادية.

ذكرنا في البداية، أننا لا نستطيع أن نتحدث عن حياته بمعزل عن نتاجاته الأدبية، ومن خلال جولاتنا وقراءتنا في نتاجاته، اكتشفنا في قصته (الخاتمة) التي كتبها في عام 1943 أنه يذكر تاريخ ولادته بشكل غير مباشر في الوقت الذي نسلم أن ابداعاته جزء من مذكرات طفولته

* جريدة يومية تصدر في تركيا - استنبول - العدد 66، 18- شباط 1997 ص 9.

يقول الكاتب في قصته : (حدث ذلك قبل خمس وعشرين سنة خلت) ثم يتابع : (لم يفتح أخي العزيز عينيه على الدنيا أبداً في اليوم الثالث) ثم يتابع : (... من الأطفال أمثالي ذوي الأعمار (6-7 سنوات) ولو عدنا إلى الوراء قبل 25 سنة وبعملية حسابية نجد أن حادثة وفاة أخيه فتحي حدثت في عام 1918، وبذلك تنسف مقولة فرات جوهرى ومحمد اوزون اللذين يقولان أن ولادته تمت في عام 1919 حكماً. وبنفس الوقت تنسف مقولة الدكتور عزالدين مصطفى رسول والأميرة روشن بدرخان، لأنهما يذكران أن ولادته كانت في عام 1916، هذا يعني أنه كان قد بلغ من العمر سنتين فقط، ولا يمكن لطفل بهذا العمر أن يتذكر الحادثة ويشارك فيها، ويقول الكاتب نفسه في القصة نفسها، أنه لم يتجاوز سبع سنوات عندما وقعت حادثة الوفاة، واستناداً إلى قصة (الخاتمة) وكما قمنا بعملية حسابية بسيطة والعودة إلى الوراء سبع سنوات، يكون التاريخ في عام 1911، وأن ولادة الكاتب 1911م، وهذا معقول جداً كما ذكره الكاتب أديب نادر وأكده الدكتور خالد قوطرش، وخاصة عندما نعرف أنه كتب في مجلة هاوار العدد الأول من العام 1932، عندما كان عمره (21) سنة وحسب فرات جوهرى ومحمد اوزون أنه كان يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة عندما كان يكتب في هاوار وهذا غير صحيح، ومعلوم أننا نقرأ في كل المراجع أن أصغر كتاب مجلة هاوار كان الدكتور نور الدين زازا، وكذلك حسب الدكتور عزالدين وروشن بدرخان أنه قد بلغ ست عشر سنة عندما كان يكتب في مجلة هاوار ونعلم أن قدرى جان كان في تلك الفترة طالباً مع رشيد الكرد في مدرسة دار المعلمين في قونيه. إذاً التاريخ الصحيح هو كما قال الكاتب أديب نادر (1911).²

اسمه الحقيقي هو عبدالقادر عزيز جان، جاء في بطاقة طالب أنه يدعى قدرى م.جان عزيز والدته عائشة، اضطر أن يترك وطنه وهو في ريعان الشباب، وقد ترصدته السلطات التركية في كل مكان، وحكمت عليه غيابياً بالإعدام، فتمكن من الفرار هو وصديقه اللغوي الكردي رشيد كرد، اللذين كانا يدرسان معاً في قونيه، إلى الجزيرة (Binya Xet).، يذكر جگرخوين في مذكراته (أنه استقبل شابين قادمين من كردستان تركيا إلى عامودا قد انهيها ليسه (الشهادة الثانوية)، هما قدرى جان ورشيد كرد...). يقول الدكتور خالد قوطرش³ : (هرب الكاتب قدرى جان من تركيا وهو طالب في دار المعلمين في الصف الثاني ولم يُنه دراسته بعد)، نكتشف من

² تقول زوجة الشاعر قدرى جان بأنه توفي وهو في سن 58 عام أي من مواليد 1916.

³ خلال جولتنا الميدانية التقينا مع الدكتور خالد قوطرش (دكتوراه في علم التربية والنفس) حدثنا عن الشاعر قدرى جان - مشكوراً.

خلال بطاقة الطالب أنه كان طالباً في دار المعلمين السنة الرابعة في قونيه، ويتابع الدكتور: جاء إلى سورية حوالي عام 1928 (أي كان عمره 17 سنة) وتعلم اللغة العربية خلال سنة واحدة وكان يتقن الكتابة والقراءة أكثر من زملائه، وانتسب إلى دار المعلمين الزراعية في مدينة السلمية، ثم عين مدرساً في انطاكيا) زاول قدرتي جان مهنة التدريس في مدارس القامشلي وعامودا، وكان مديراً في مدرسة عامودا عام 1942 (حسب ما رواه نجل المؤرخ حسن هشيار الكبير مصطفى هشيار، وكان هو من أحد تلاميذه)، ثم انتقل فيما بعد إلى دمشق وضواحيها ومارس التدريس في مدارس حي الاكراد، ثم انتقل إلى عمل اداري في وزارة المعارف (التربية)، وبعدها انتقل إلى السجل العام للموظفين، وانضم فيما بعد إلى مجموعة دعاة الحرية وكان عضواً نشيطاً فيها، حارب في كافة الجهات الثقافية والاجتماعية والسياسية، وكان يراقب أوضاع الكورد وهو في دمشق.

كتب قدرتي جان في العدد الأول من مجلة هاوار الكردية في عام (1932) يقول الكاتب أديب نادر: (لمع نجم قدرتي جان في 1932/5/15 ككاتب مبدع يقاتل في الخطوة الأمامية للجبهة المهمة الأخرى، الجبهة الثقافية بقيادة الأمير العالم جلادت عالي بدرخان). كتب قدرتي جان قصيدته (ريا تازه) الطريق الجديد عام 1936، ويعتبرها الكاتب أديب نادر (أول قصيدة كردية حرة في تاريخ الشعر الكردي) حتى بات هذا التاريخ منعطفاً أدبياً فاصلاً في تاريخ الأدب الكردي الحديث بين مرحلتين من ناحية الشكل والمضمون (وهي المرحلة التقليدية القديمة التي يطلق عليها البعض تسمية الكلاسيكية، ومرحلة الحداثة التي جمعت في وقت واحد بين الأصالة والمعاصرة بصورة رائعة).

جرى انعطاف في تاريخ فكر قدرتي جان في عام 1944 عندما تعرف على الماركسية اللينينية واصبح صديقاً للشيوعيين وليس عضواً. يقول سليمان علي: (عمل قدرتي جان ضمن صفوف الحزب الشيوعي السوري). لكن البروفسور قنات كردو ينفي هذا حيث يقول في كتابه (تاريخ الأدب الكردي): (كان قدرتي جان عضواً من أعضاء الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا).⁴ ينفي الدكتور خالد قوطرش انتسابه إلى الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا لكنه يؤكد أنه كان من اعضاء جمعية خويبون لأن الدكتور كان من أعضاء نفس الجمعية.

سافر قدرتي جان إلى الاتحاد السوفياتي (سابقاً) في تموز عام 1957، ضمن وفد الشبيبة الكردية لحضور مهرجان الشبيبة العالمي السادس في موسكو، وزار للمرة الأولى الزعيم الكردي

4 لمزيد من المعلومات حول هذه النقطة راجع (تاريخ الأدب الكردي ج1) - قنات كردو.

الخالد البارزاني الذي كان في الاتحاد السوفياتي واهداه أثناء الزيارة قصيدته المشهورة (قائد الكورد، البارزاني) بخط يده وبأحرف عربية، وزار قدري جان للمرة الثانية البارزاني في بغداد بعد عودته من الاتحاد السوفياتي في عام 1958 إلى بغداد، وجّه قدري جان رسالة تهنئة إلى البارزاني الخالد بعد عودته من الاتحاد السوفياتي باللغة الكردية وفيما يلي ندون مضمون الرسالة:

”قبل كل شيء أقبل بدمكم. أهلاً وسهلاً بكم، عدتم على العين والرأس... في الشام كنا في انتظاركم... لا أدري لماذا لم تمرّوا من الشام!

لقد ود الكثيرون من الأشقاء الكرد رؤية قائدكم ليقضوا على هموم سنوات الحرمان. أثرت عودتكم في معنويات شعبنا إيجاباً في كل مكان. كافة أبناء الشعب الكردي وعلى اختلاف مشاربهم وافكارهم يعترفون ويفتخرون بقيادتكم. لاشك أن الجمهورية العراقية الحبيبة ستتعزيز مكانتها بوجودكم، وتترسخ قاعدة الأخوة العربية الكردية أكثر.

أنني واثق من أن الكرد ليس وحدهم بل العرب والفرس والترك الاحرار مبهجون مثلنا بعودتكم. . انكم على دراية تامة بأن نضال شعبنا يسير بالتعاون مع أحرار هذه الشعوب. هنا ابتهج بكم خالد بكداش كثيراً وثقته كبيرة بكم ويقول ان على الكرد كافة الالتفاف حول الزعيم الأوحده البارزاني والنضال وفق سياسته السليمة، ويخصكم باحترامه وتحياته كثيراً... وكذلك جميع رفاقنا يخصوصكم باحترامهم. سأزورك في أول فرصة سانحة. أقبل بدمكم ثانية، وأقبل نواظر الأخ أسعد وجزيل احترامامي للأخ ميرحاج، اقبل نواظر الأخوة صادق وعبيدالله“.

المخلص لكم/ قدري جان

الشام 1958/10/14

يذكر الكاتب أديب نادر في هامش بحثه المنشور في مجلة (مهتين) التاريخ الموجود في آخر قصيدة (قائد الكورد، البارزاني) موجود في نسخة دمشق التي طبعت باللاتينية وغير موجود في النسخة التي كتبها بخط يده: أخذت هذه القصيدة من مخطوطة الدكتور عزالدين مصطفى رسول، ويضيف أن القصيدة منشورة بالأحرف الكردية اللاتينية في دمشق. أما قصيدة (عودة الأسد) التي كتبها الشاعر في عام 1958 تخليداً لعودة البارزاني نشرت آنذاك في مجلة هيووا وآزادي.

أثناء زيارة قدري جان لحضور مهرجان موسكو للشباب العالمي تعرّف على البروفسور قنات كردو، يقول البروفسور قنات كردو: (أرسل "قدري جان" برقية باللغة الكرمانجية من مدينة اوديسا يقول فيها: أنا قدري جان، قادم مع الشباب إلى المهرجان، أريد أن أراك). ثم تحدثا كثيراً حول وضع الكورد والأحزاب. إذ كان قدري جان شاعراً كردياً تقديماً، وليس عضواً في الحزب الشيوعي السوري. ويتابع البروفسور: قدم لي قدري جان بعض قصائده غير المنشورة التي مازالت بخط يده، لكن نُشرت قصيدة: (أنا ذاهب إلى موسكو) في جريدة (ازفستيا) أثناء المهرجان والقصائد هي: (أنا ذاهب إلى موسكو) و(سيد آخر الزمان) و(الطريق الجديد) و(الورداء).

اعتقل قدري جان بين عامي (1959 - 1961) وفي سجن المزة يقول جگرخوين: (دخل قدري جان مرتين أو ثلاث مرات سجن المزة)، وأمضى عدة سنوات في لبنان والعراق في سبيل نضاله السياسي والأدبي.

نشر الكاتب قدري جان غالبية نتاجاته الأدبية في الصحف والمجلات الكردية التي كانت تصدر آنذاك في سوريا ولبنان (هاوار، روناها، روژانو) كان كاتباً لامعاً متنوعاً و متمكناً. بدأ حياته الأدبية بالأسلوب الكلاسيكي وسرعان ما التجأ إلى أساليب حديثة وخاصة بعد عام 1936 في قصيدة (ريا تازه) الطريق الجديد.

أمضى قدري جان سنواته الأخيرة في دمشق، وقد درس في ضواحيها أيضاً هذا واضح من خلال قصصه مثل جديدة عرطون... الخ. جدير بالذكر انه تزوج من (نيلوف) عام 1939 ابنة علي عثمان بك وهو تركي الأصل يحن إلى الخلافة العثمانية ضد الحكومة الكمالية تعرف قدري جان عليه في انطاكية عندما كان مدرساً فيها وتعرف كذلك على المفكر والسياسي المشهور ممدوح سليم الذي كان يدرس اللغة الفرنسية هناك. وأنجب منها ابنه البكر مزكين 1943، ثم ابنته شيرين 1945 (تمارس مهنة الطب حالياً في دمشق) ثم ولد له طفل يدعى سرور 1948. توفي الشاعر قدري جان في 9 آب 1972 أثر جلطة دماغية، وقد دفن في مقبرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي في حي الاكراد في دمشق.

دراسة أعماله القصصية والشعرية

من الملاحظ أن البحث عن نتاجات كاتب لم يطبع له أي كتاب، عملية بحث معقدة وصعبة، خاصة بعد أن مرت على نتاجاته أكثر من ستين سنة، وعندما نعلم أنه (قد طواه الغبن وكاد أن يكون نسياً منسياً اللهم إلا تنقاً من الأسطر المتناثرة هنا وهناك والتي لاتسمن ولا تغني من جوع). إن هذه العملية تتطلب جهداً مضاعفاً إن كنا نعلم أن جميع نتاجاته الأدبية قد نشرها على صفحات المجلات والجرائد الكردية الصادرة في بداية الثلاثينات والأربعينات، ويكون الجهد أكثر صعوبة إن لم تتوفر تلك المجلات والصحف أو ربما قد اندثرت.

نشر الكاتب قدري جان غالبية ابداعاته الأدبية في مجلتي هاوار وروناهي وجريدة روژانو الكردية الصادرة في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن، عدا بعض قصائده التي لم ينشرها، وهي مازالت مخطوطة بخط يده، هذا يعني أن الكاتب قدري جان كان من الكتاب الأوائل والمؤسسين في تلك المجلات، فقد كان يكتب القصة القصيرة والشعر والمقال الأدبي ومارس الترجمة أيضاً، ساهم في ترجمة رواية (شقانى كورد = الراعي الكردي) للكاتب عرب سمو، وكتب مقدمة صغيرة حول ديوان الشاعر الخالد جگرخوين ديوانه الأول يقول محمد اوزون: (كتب قدري جان مقدمة عن الديوان الأول للشاعر جكرخوين يمدح فيها القصائد ويقارنها بالدواوين الكلاسيكية الكردية يقول قدري جان: (فقدت تدريجياً منذ زمن مضى ديوان (ملا) جزري و(مم وزين) لأحمد الخاني، كان متذوقو الشعر الكردي يبحثون عنهما فلم يجدوهما). (نُشر ديوان جكرخوين بطباعة أنيقة كما رأينا، أعتقد أن هذا الديوان سيحل مكان رواية (مم وزين) وكذلك ديوان الجزري).

كانت غالبية موضوعات قدري جان تدور حول طلاب المدارس والعادات الكردية القديمة - كصيد الخنازير وتخزين الملبن والزبيب، وفضح خداع ومكر الشيوخ والذكريات الماضية التي تمس شغاف القلب بأسلوب واقعي تشوبه أحياناً حالات نفسية، حيث يصور اللقطة - اللحظة القصصية أو الشعرية بشكل بارع وكأنه مصور يلتقط لقطة من الكاميرا، ومن ثم ينفذ إلى اعماق النفس، لكنه لا يستمر في سبر أغوار النفس طويلاً، فيخرج بسرعة ويصف من جديد المظاهر والتعابير الظاهرة على وجود شخصياته يفسح المجال لها لتعبر عن دواخلها.

يعتبر قدري جان من مجددي الأدب الكردي الحديث لقد (تجاوز الكتابة على النمط القديم ورفض التقليد، وأبدع في الميدان الأدبي حيث كتب أول قصيدة (ربا تازه) في تاريخ الشعر

الكردي الحديث منهياً بذلك تبعية شكل ومضمون الشعر الكردي لشعر الحضارات المجاورة) أديب نادر.

ومن مؤسسي المدرسة الواقعية الحديثة في الأدب الكردي في الوقت الذي لم يعرف الأدب العربي مدرسة الواقعية (ثلاثينات القرن) وقد يجد القارئ في نتاجاته مصطلحات استخدمها المثقفون بعد نصف قرن كالحداثة والتجديد والتحديث في الأدب في الوقت الذي كان الأسلوب الكلاسيكي مهيمناً على الأدب. لقد ربط (الأدب) الكردي بجذوره الكردية في الوقت الذي رفض التبعية، ويعتبر صاحب الريادة في الشعر الكردي الحر وكأنه كان يحث ويوضح للناس، أن للكورد ثقافة مستقلة متميزة وهو قادر على خلق الجديد المتطور في ميدان الأدب والثقافة، لقد استخدم الحداثة والتجديد في اللغة والموضوعات وطريقة الطرح في جميع نتاجاته الأدبية بلغة واقعية وأسلوب فني أدبي حديث يرتقي إلى الأساليب العالمية. يقول روجيه ليسكو فيما يخص ميدان تجديد الشعر الكردي على مستوى الشكل والمضمون واللغة (يمكن اعتبار الشاعر قدري جان من بين مؤسسي الشعر الكردي الحديث بالإضافة إلى شيخ نوري وبيره ميرد وگوران).

وتتميز نتاجات (ابداعات) قدري جان بسلاستها وبساطة اللغة المستخدمة في كتابتها، فهو يكتب أدبه بأسلوب حديث يساير روح العصر .

وتدور مواضيع قصصه في فلك الذكريات والصدقة والأيام الماضية والأحلام وهي بعيدة كل البعد عن المواضيع السياسية اليومية الساخنة ولكن تفوح من مواضيعه رائحة الوطنية الكردية، أما المواضيع الشعرية فبعكس مواضيعه القصصية.

ونشتم من خلال قصته الأولى رائحة كاتب قصصي متمكن من لغته وأسلوبه الفني ويشق طريقه وحده ليتخذ لنفسه مكانة مرموقة في الأدب الكردي الحديث وليصبح مثقفاً متنوراً نهضوياً يعارض الجهل. قدم قصته الأولى (إن وجدت الصرخة، فالشكوى تليها) لعثمان صبري: يروي الكاتب هذه القصة بأسلوب حوار بين الأب وابنه، ويوضح فيها حال الوطن والحرية التي يتوق إليها. وفي قصة (القرية المحدثه) يصف جمال القرية وبساتينها، وأسراب الطيور التي تحط على البساتين، وفيها يعشق صوت الشحور الحزين الذي يذكره بجراح الوطن، ويقدم الكاتب نصائح للشباب من خلال آلامه وعذباته يقول: (... انبشوا داخلي، ستجدون فيه القلب، أخرجوه وفتتوه إلى قطع صغيرة، ستلاحظون أن القطع الصغيرة تتكلم) وعندما نقرأ قصة (بصرى الذهبية) وهي قصة قصيرة نجد أن أحداثها تدور حول العشائر الكردية والنزاعات التي حدثت بينهم في الحقب التاريخية الغابرة، تدور الأحداث حول شخصية رئيسية وهي بيروز ابنة

أمير بصرى الذهبية ماكس التي يطلبها أمير برج ماتينة ميرزو لنفسه زوجة بالقوة، فيظهر ميرزو غطرسته وتكبره وعنجهيته، ويشن هجوماً على ماكس أمير بصرى الذهبية، ويأخذ بيروز الفتاة الجميلة عنوة بعد أن يدمر المدينة، وتتحول إلى اطلال، فلا يجد أميرها طريقة للحياة سوى الموت قهراً، لقد استخدم الكاتب قدرتي جان في هذه القصة أسلوب الرسالة الفنية أو أدب المراسلة، وما نجد الآن وبعد أكثر من خمسين عاماً يستخدم الكتاب هذه التقنية في قصصهم ورواياتهم الأدبية.

وفي قصة (البدن) يصف الكاتب لنا حالته النفسية من خلال الحلم، ويستنهض ما في داخله حيث يناجي القمر في ليلته الرابع عشر، وكيف تشن الغيمة التي تشكلت للتو هجوماً وتبتلع القمر، وينتهي كل شيء. يحيي الكاتب موضوعاً أو عادة قديمة جرت بين المجتمعات القديمة في قصة (القسم) أو (التآخي) حقوق أخوة الدم - حيث يدافع القوي عن الضعيف ويتحمل أخطائه وحماقته أمام الناس - عن طريق لعق دماء بعضهما - وهي عادة قديمة جداً كانت منتشرة في العالم القديم بين جميع الشعوب ومازالت الديانة الايزيدية تمارس هذه العادة ويسمونها (أخ الآخرة) حيث يتخذ كل امريء ايزيدي أخواً أو اختاً له في الآخرة ليتحمل ذنوبه، قلنا إننا نصادف في كثير من ثقافات العالم هذه العادة. بطل القصة هو طفل صغير يذهب إلى المدرسة، وعندما يجد زميلاً له قد ارتكب ذنباً في المدرسة لايتوانى أن يتبرع صديق له أقوى منه لينال العقوبة عوضاً عن صديقه الضعيف علماً أنه يعرف تماماً أن الذنب الذي ارتكبه هو مستو الطفل الضعيف البنية، تستهويه الفكرة وتسيطر عليه حتى يتمكن ذات يوم ما أن يجرح اصبعه، فيسارع إلى صديقه ويخبره أن يجرح أيضاً أصبعه، ويمزج دمه مع دم صديقه الأقوى، وهكذا يحمي ويحافظ على نفسه، لأن الصديق القوي يستطيع أن ينقذه من المواقف والشدائد والمصائب. فنجد أن المتآخي القوي لايحميه من عصا المعلم فحسب بل يحميه أيضاً من أنياب كلب شرس ويضحى بروحه من أجل انقاذ صديقه.

وأما في قصة (الذنب) فإنها تدور حول أطفال المدرسة أيضاً حيث يجد الكاتب أن أطفال المدرسة مادة غنية وخصبة في ذكريات الطفولة مع أطفال المدارس لأنه كان مدرساً، يذهب مجموعة من أطفال المدرسة إلى صيد فراخ الحجل في المغارة البعيدة التي من المفروض أن يتوفر فيها الصيد، لكن المغارة ارتسمت في الخيال الشعبي القروي بأنها مأوى الجان والجنيات والاشباح رغم ذلك يتحدى الأطفال هذه الفكرة ويقصدون المغارة، ويحاول البطل أن يجرب شجاعة صديقه جمو بعد أن دخلا المغارة وفاقا بصيد وفير، فيذهب البطل - الراوي ويختبيء في

المغارة بعد أن يعلن جمو أنه يريد شرب الماء من نبع المغارة، فيدخل الراوي - البطل ويريد اخافة صديقه، عندما يدخل جمو إلى المغارة يصدر البطل أصواتاً وحركات فيخاف جمو فعلاً ويسقط على الأرض فزعاً ويربط لسانه ولا يستطيع الكلام، تنتشر هذه الحادثة في القرية كالنار في الهشيم بل في القرى المجاورة أيضاً بأن الجان ضربوا جمو. فيقرر والدا جمو أن يأخذ ابنه ما إلى الشيخ الذي يشفي ويطرد الجان من جسمه. يضرب الشيخ الطفل جمو بالعصي حتى يقضي على حزمة كاملة من العصي الرطبة، ويموت على أثره جمو بين أيدي الشيخ، ولا يمكن الراوي أن ينسى الحادثة المأسوية بعد أكثر من عشرين سنة حيث يظهر شبح جمو له في الاحلام دائماً ويقف أمامه متهماً: خيانة... خيانة.

ويتناول في قصة (كلجين) موضوعاً قديماً وحديثاً في آن واحد ويتشعب الموضوع والخطوط الفرعية وهو موضوع الحب بين طبقتين اجتماعيتين والتضحية من أجل المصالح الشخصية. تحب كلجين شاباً فقيراً، فيقدمها والدها لخصمه الذي يكبر كلجين بكثير من أجل أن يتصالح معه ويصبح حليفاً له، لاتستكين كلجين لقدرها فتذهب إلى الشيخ كي يبعتها عن خصم والدها، وبخدعة من الشيخ عن طريق السحر والتعويدة والخلوة يتحرك شيخ صغير في بطن كلجين، بطريقة درامية مأساوية، ويتخلص الشيخ منها تذبذب تدريجياً كلجين وتموت. كلجين هي ضحية الجهل وضحية احتفاظ والدها بزعامة العشيرة ويسدل الستار الأسود على حياتها.

يكتب قدرتي جان هذه المرة قصة عن حياة معلم في عامودا في قصة (الأيام الماضية) بأسلوب الذكريات، يتوجب على المعلم أن يترك عامودا بعد أن نصحه الأطباء ويلتجئ إلى احد المصايف وهو مصيف عين ديوار. يصف لنا الكاتب الفراق وألوان العذاب الذي يلاقيه في سفرته الطويلة، ويشرح من خلال تجربته كمعلم أو مدرس أن تغير المكان من الأمور الصعبة على المعلم، يترك وراءه الدموع المناسبة وعموداً من العجاج يرتفع نحو السماء، فيتذكر كلمات شاعر ربما هو الكاتب نفسه، يكتب القصة بأسلوب شاعري حيث تكثيف اللغة ونقل الاحاسيس الصادقة ووصف المكان بشكل معبر حيث يقول: عندما يستقر امرؤ في مكان ما، يرتبط به وبالناس والتراب بخيوط ذهبية غير مرئية، وعندما يغادر ذلك المكان، تشد تلك الخيوط المرء إليه ويتألم بسبب تخليه عنه). فيستقر في عين ديوار التي تمطر فيها الأمطار واصفاً طبيعة البلدة ومناخها وسكانها وتعاملهم معه، فيحفرون في ذاكرته صداقة أبدية لا يمكن أن تنسى.

في قصة (كلاب المصايف) يبين الكاتب منذ اللحظة الأولى أنه سيروي لنا القصة كما سمعها من بعض الرجال، ويؤكد أنها ليست قصة خيالية وبنفس الوقت لم يرَها بعينه، تختلف هذه

القصة عن بقية قصصه بأن أبطالها حيوانات (كلاب) وهي قصة تعليمية على لسان الحيوانات (الكلاب) جرت المصادفة أن باع رجل من كردستان أغنامه مع كلبه لرجل آخر يسكن في الزيداني تحت الظروف الطبيعية التي منعتها من مغادرة الزيداني، وكانت جبال الزيداني مأوى الذئاب، عندما كان الكلب يذهب مع القطيع إلى الجبال لم يتجرأ أي ذئب أن يظهر إلى أن شاخ الكلب ولم يستطع أن يردع الذئاب عن القطيع، فاجتمعت الذئاب ذات مرة وهجمت على الكلب كادت أن تقضي عليه، في اليوم التالي يترك الكلب هذه الديار ويعود إلى وطنه، ويحضر معه كلبين قويين من كلاب كردستان، تضع الكلاب خطتها، ويظهر الكلب العجوز فتهاجمه الذئاب ويفاجئها الكلبان الأخران اللذان كانا قد اختبأ في مكان قريب من الذئاب ويقضيان عليها.

ويتمنى في بداية قصة (خاتم سليمان) أن يمتلك تلك القدرة الشعرية التي كان يمتلكها شاعرنا الكبير ملا أحمد الجزري، حتى يستطيع أن يصور الجمرات والنار المتأججة في داخله، يبدأ ببعض المقاطع من شعر الجزري، ثم يتحدث عن هجرته وعن الأيام الماضية، ويشعر بأنه مذنب، ثم يدخل مباشرة إلى موضوع التلاميذ والمعلم، الذي يدرس بعد أن يمل من الحياة، يريد استراحة قصيرة في رحاب الطبيعة، فيجد شيئاً غريباً بل عجباً على طريق القرية، تنتابه الأفكار ويستحضر كل الحوادث التي قد سمعها لكن في النهاية يلتقط تلك القطعة المعدنية الغريبة ويتحسسها بين أصابعه يظهر فجأة كائنان أسودان أمامه يحمل كل واحد سيفاً في يده ويمتثلان لأوامره، لكنه يعرف منهما أن هذه القطعة هي خاتم سليمان. يقف في حضرة النبي سليمان ويقدم له الخاتم الذي قد ضاع قبل ألفي سنة، يقول سليمان: (اطلب مني ما تريده الآن)، يطلب المعلم أن يتعلم لغة الحيوانات ويتجول في حظائر الحيوانات الأليفة ثم يستأذن للعودة لكن سليمان لا يأذن له إلا أن يحضر محاكمة اليوم والهدهد، وتبدأ محاكمة اليوم بتهمة أنه الشؤم يدمر المكان الذي يقف فيه، ويدافع اليوم عن نفسه أنه سيد والأخرون عبيد، يحتج الطير لجملته الأخيرة ويقول: افتح عينيك أيها الأفندي، نحن جيل القرن العشرين، لم يعد بيننا عبد أو سيد، كل واحد منا حر).

وما زال المعلم ينتظر حكم القاضي، لكن بكاء ابنه الصغير يوقظه من نومه. ويستخدم الكاتب الحلم في قصة (صيد الخنازير) أيضاً موضوعاً له عندما يجد نفسه في بيته وعلى فراشه وقد اجتمع الناس حوله ويضع الطبيب ملعقة الدواء في فمه بعد أن رأى كابوساً مزعجاً في رحلته لصيد الخنازير والعذاب الذي لقيه.

تدور أحداث قصة (الخاتمة) كجميع القصص حول الأيام الماضية، الذنب الذي ارتكبه، الباعث الذي يحرض الكاتب لهذه القصة هو وضعه الذي يعيش فيه وغربته وألمه وأنيته وربما نهايته ليكمل صفحات حياته يقول: (أجمع اليوم أشتات الأوراق الممزقة من تاريخ حياتي، أحاول إعادة ترتيبها، كي أصنع منها كتاب السعادة، لذا تتنوع الصفحات وتتعدد معانيها وهي القسم، الذنب، الأيام الماضية، الخاتمة، لتشكل مجموعة صفحات تضم كتاباً حزيناً). لقد أشار الكاتب إلى عناوين قصصه في هذه القصة التي تؤلف تاريخ حياته أو مذكرات الطفولة. ومن خلال هذا التحريض الذي استمده من وضعه الحالي يدخل إلى مضمون القصة. يسرق الراوي الزبيب والملمب من مستودع المونة، ويقدمها للحكواتية التي تعيش على هذه المهنة، وعندما تكشف والدته سرقة الزبيب في ليلة رأس السنة، يتهم الراوي المشارك اخاه فتحي البريء وينقذ نفسه من غضب والدته، تصفع والدته فتحي الذي يندهش ثم يموت قهراً ويؤنب الراوي ضميره لهذه الحادثة التي مرت عليها خمس وعشرون سنة.

ثم وجدنا قصة (الثعلب الماكر)⁵ في كتاب القراءة الكردية 1938، الصفحة 45. وهي مقتبسة من الفولكلور الكردي. تدور القصة حول خداع ومكر الثعلب وطمع الحجل والصوص، بلغة سلسلة، تتخللها بعض المواقف الساخرة، يعلق الثعلب طبعاً في رقبتة ويدعو الحيوانات إلى احتفال علماً أن الدخول إلى الحفلة مجاني، ينخدع الحجل والصوص، فيدخلان بيت الثعلب. يفرح الثعلب كثيراً بأنه حصل على وجبته، لكنه يرجيء أكلهما إلى وقت آخر لأنه لديه طعام يكفيه اليوم ثم يخرج، يحاول الحجل والصوص بقوة منقاريهما أن يزيلا الحجر من أمام الباب ويهربان فعلاً، ثم يقول الصوص للحجل:

- لن نخدع ثانية.

هذه قصة تعليمية تظهر مطامع الحجل والصوص وبنفس الوقت مكر الثعلب، بلغة الحيوانات.

هكذا نجد أن الكاتب قدري جان يستخدم تقنيات الحلم في قصصه ليعبر عن فكرته بأسلوب سلس ولغة جميلة تنم عن روح اللغة الشعبية دون تزيينات وزخارف كلامية، ويبدو أن قصصه هي صفحات من حياته الماضية عندما يتوج فكرته في قصة (الخاتمة) حيث نلاحظ أن القصص هي أشبه بمذكراته نستشف من خلالها تاريخ حياته ودراسته وتجاربه وحتى ولادته التقريبية.

5 وصلتنا قصة الثعلب الماكر للكاتب قدري جان عن طريق الاستاذ عزالدين ملا - مشكوراً.

ويسعى قدري جان الى توثيق الحياة الاجتماعية ثم يختار أبطاله من الأطفال أحياناً وأخرى من الحكايات الكردية القديمة أو يروي على لسان الحيوانات أو من الحياة التي يعيش فيها ويعايشها يومياً، لأنه كان يمارس التدريس، لذلك فالأطفال – التلاميذ يصبحون مواضيع قصصه الغنية، إن قصصه متميزة وفريدة تنم عن خبرة وتجربة مرت بحياة الكاتب نفسه، فيجمع عدة موتيفات من الشخصيات الواقعية ويمزجها في قالب واحد.

ومن خلال القصص التي قرأناها نجد أن قدري جان يمتلك أسلوباً محدداً يستخدمه في جميع قصصه، أو تقنية كتابة القصة، فهو ينطلق من الآن- الحاضر، ويغوص في الماضي يروي لنا القصة ثم يعود إلى الحاضر ثانية وينهي روايته.

ومن خلال هذه التقنية المستخدمة في القصص نجد أن هناك مستويين، وهذا يفرز أيضاً مستويين في فضاء القصة والزمن والراوي هو الكاتب نفسه، يروي ويعلق ويصف فهو الراوي المشارك وتتداخل مستويات القص والفضاء كثيراً وهذا ليس مجال دراستنا لذا يتوجب علينا أن نقوم بدراسة مستفيضة ومطولة حول أساليب القص في قصص قدري جان والتقنيات المستخدمة في بحث مستقل.

الشعر

يحتل الشاعر المبدع قدري جان مكانة هامة عبر قصائده وأعماله الشعرية - لا يقل أهميته عن الشاعر الكبير جگرخوين، والمناضل والشاعر عثمان صبري - في ميدان النضال الوطني وتصوير كفاح شعبه، فقد خصص كل مواهبه للدفاع عن مصالح وطنه العليا (قنات كردو - تاريخ الأدب الكردي ج 1).

يمتلك الشاعر قدري جان لغة سلسة وبسيطة بحيث يمكن لأي قارئ أن يفهمها، وتتميز موضوعاته الشعرية بالاحداث السياسية الساخنة التي تعبر عن روح العصر وتفيض حماساً ووطنية، لقد وهبه الله ملكة الكتابة بحرفية ومهارة عالية فهو متمكن من موضوعاته ولغته وتأثيره على القارئ لذلك تحولت قصائده الى أغانٍ لاتفارق ألسنة الناس عامة. وخاصة قصيدته الرائعة (بارزاني، بارزاني)، وتعتبر قصيدته ربا تازه (الطريق الجديد) ولوريا بدرخان من القصائد التي كتبت بحرفية وموهبة فائقة، يقارن الكاتب أديب نادر قدري جان بالقائد مصطفى البارزاني حيث يقول: إن قدري جان في عالم كردستان الشعري هو كمثل البارزاني في عالم كردستان العسكري - السياسي).

ويقول سليمان علي حدث انعطاف تاريخي في فكر قدري جان وفلسفته في الحياة في عام 1944 بعد أن تعرف على الفكر الشيوعي والاشتراكي، ويظهر هذا في قصائده عندما يشعر أنه أصبح انساناً جديداً، فالقصائد الأولى التي كتبها في الثلاثينات التي كانت الكلاسيكية طاغية عليها تتناول الشخصيات الكردية التي سيلفها النسيان مثال (لوريا بدرخان) وأحياناً كتب مراثيات للشهداء الذين دافعوا واستشهدوا في سبيل الوطن مثلاً (التابوت المدمى) لروح عبدالرحمن كارسي، وكذلك مراثية إلى روح محمد سيدا، ثم تناول المواضيع الاجتماعية وصراع الطبقات مثال (الحداد) و(سيد آخر الزمان)، وغالباً ما كانت مواضيعه تتناول وضعه وغربته كما في قصيدة (رسالة) إلى شباب الجزيرة، ولاشك في أن كل هذه القصائد تفوح منها رائحة الوطنية الكردية، نداء الوطن، (حلم اليقظة)، (جگرخوين)...

أما القصائد التي كتبها بعد حدوث انعطاف تاريخي في فكره فقد تحولت القصائد إلى مواضيع سياسية ساخنة تؤثر في الشاعر، فألف قدري جان العديد من القصائد لتخليد ذكرى بعض الأبطال الوطنيين الكورد أمثال البارزاني، وفي قصيدته (البارزاني) و(عودة الأسد) تيناول لجوء البارزاني الى الاتحاد السوفياتي والعودة منه، وكذلك كتب قصيدة حول حياة القاضي الشهيد محمد، قائد جمهورية كردستان في مهاباد، (عزاء القاضي)، والتصق قدري جان بالقضايا السياسية العامة وتخليد ذكرى الاحداث السياسية مثل ثورة تموز 1958 في العراق في قصيدة (الرابع عشر من تموز) و(رسالة إلى اذاعة طهران) حتى غدا أدبه أديباً في خدمة القضية الكردية، ملتزماً بالقضايا السياسية والوطنية والتقدمية التي تظهر لنا موهبة الشاعر ومدى صدقه والتزامه بقضايا الشعب.

وأخيراً حاولنا في هذا المجال ان نتناول بعض الجوانب الجمالية في أدب قدري جان فقط ولم ندرس في هذه المقدمة قصائده وقصصه بل سلطنا الضوء عليها ربما يكون في المستقبل مرجعاً لمن يبحث عن أدب الشاعر أو من يتناول أعماله بشكل مستفيض.

الترجمة

مارس قدري جان الترجمة أيضاً، حيث ترجم قصة للكاتب المصري (المنفلوطي) بعنوان (شعرة بيضاء) ويربط الشعر الأبيض بالاستعمار الأوربي عندما يحل في وطن الرجل الأسود (الرأس)، وهي قصة رمزية، وعندما لا يجد استجابة لندائه يستسلم للرجل الأبيض (الشعرة البيضاء) ويقدم رأسه (وطنه) مرتعاً له.

وترجم الكاتب والشاعر قدري جان أيضاً (في بلاد الزنابق البيضاء) للكاتب كريستوف بتروف ضمن سلسلة في جريدة روژانو، حيث يوضح في المقدمة بأنه ترجم هذا الكتاب (لكنه لم تكمل السلسلة، لذلك نقول عنها بأنها مقالات) بتشجيع من الدكتور أحمد نافذ بك إلى الكردية. وكان غرض الكاتب قدري جان من نشر هذه المقالات هو الاستفادة من ثقافات الشعوب الأخرى التي ناضلت وكافحت ومن نالت بقوة ووعي شبابها استقلالها، وهي رسالة موجهة إلى الشباب الكرد في كل مكان، يضع الكاتب قدري جان خلاصة تجارب الشعوب بين أيدي الشباب الكرد وبنفس الوقت ليغني اللغة الكردية من جانب آخر.

ولقد عانى الفنلنديون من احتلال السويد سنوات طويلة ولم يستطيعوا الحصول على استقلالهم إلا بقوة رجالهم وتربية الجيل الجديد تربية وطنية قومية صالحة بزعامة المتنور الفنلندي سنلمان. ويرجو الكاتب قدري جان أن تصبح هذه التجربة درساً وعبرةً للوطنيين حيث يقول في مقدمة الترجمة: (لست بحاجة إلى أن أمدح هذا العمل، سيعرفه قراؤنا عندما يقرأون، ويجدون أن له أهمية كبيرة في مجتمعنا) ثم يتابع (أتمنى أن يقرأ الوطنيون والقراء ويستمدوا منه العبر والحكم).

النهضة

النهضة، من أين تبدأ النهضة؟ هل النهضة هي ثورة شاملة أم نهضة تاريخية؟ يبدو أن لمفهوم النهضة إشكاليات كثيرة، نبدأ من كلمة البعث أو الاحياء أو الولادة.

- النهضة في اللغة والأدب الكرديين:

النهضة كلمة لاتينية Renaissance من كلمة Motamot بمعنى الولادة والاحياء. التجديد والتأسيس من جديد Renaissance في القرن الخامس عشر والسادس عشر في إيطاليا، وانتشرت النهضة كمفهوم في جميع أوروبا، يمكننا أن نقول إن النهضة حدثت في العالم القديم في القرون الماضية البعيدة وتبدلت كمفهوم تفاعلي في القرون الحديثة في كل الأساليب والاشكال وجوانب الحياة، طويت صفحة تاريخية قديمة، وافتتحت صفحة جديدة، حيث قدمت آفاقاً جديدة للإنسانية، أحدثت تطورات نحو الحرية والديمقراطية.

يتألف العالم القديم من طبقات اجتماعية يسودها نظام سيطرة زعماء العشائر، ورجال الدين الذين يملكون كل شيء في العالم. لقد غيرت النهضة هذا الوضع القائم من أساسه، وغيرت المجتمع واللغة والرؤية الانسانية للعالم والعلاقات القائمة بين الظالم والمظلوم، إذاً بهذا الشكل

نجد أن النهضة هي ثورة لا مثيل لها تجاه العالم القديم الذي كان مرتبطاً بقيود تكبله، فالإنسان نتاج مكان وظرف معين، وعلى أثر ذلك حدثت الثورة.

أحدثت الثورة شرحاً في الإنسان حيث قرينه من الانسانية وغيرت في بنية التفكير واللغة والعلاقات والعادات والقوانين السائدة وفنون المجتمع، فالنهضة هي ثورة على العادات والروح القومية.

لم يكن الإنسان حراً في العالم القديم فقد كان مرتبطاً بكل هذه القيود البالية لكن النهضة وجهته نحو الأنسنة، تتحدث الكتب عن انسيكوبيد، فالثورة التي أحدثتها النهضة في تجديد الإنسان وشخصيته لا مثيل لها. لقد تحول كتاب (الأميين) لميكافيلي إلى عقيدة تبحث في سياسة الدولة الحديثة، وأسس أفكاره على الشخصيات والأوضاع الجديدة، وكان من رواد النهضة أمثال كولومبوس، كوبرنيكوس، لاثر، كالفن، ابلاس، مونتفون، شكسبير، سرفانتس... وآخرون. وضعوا أسساً جديدة للعالم، فالصعوبة تكمن عندما يصرح الإنسان أن النهضة كانت ثورة تغيير، تمخض العالم القديم الذي كاد أن يقدم ثورة غير متوقعة. النهضة الانسانية ومعرفة الذات، ونهضة الكتب على المستوى النظري. على أن النهضة غيرت معالم العالم والمجتمع تدريجياً، وتم ذلك بفضل الانسانية والكتب أي بمعنى آخر اندماج الجانب النظري مع الجانب العملي، وفتحت أمام العالم والانسانية آفاقاً كثيرة وحررت الإنسان والمجتمع من ربة النظام العشائري والعائلي والملوك والامراء والعداوة الداخلية وقدمت للانسانية عالماً سرمدياً؛ ومزقت قميص الجهل والفساد والحسد واستبدلته بقميص جديد أكثر حداثة في المجتمعات والإنسان، واقتربت المجتمعات الانسانية من بعضها، ونشرت الكتب وأنارت روح الانسانية فالعالم أصبح قرية صغيرة.

فتحت النهضة الطريق أمام العلم والأدب والفن، وجددت الأحاسيس والفكر واللغة وروح الإنسان، وحولت الأدب الشفهي القديم إلى الكتابي المدون، وقدمت أدباً كتابياً للمجتمع وتبوأه طبقة العمال ورجال المعرفة مراكزاً ووضعت المعايير الجديدة...

من ضروريات العصر الذي نعيش فيه أن يلتفت الكرد إلى أنفسهم، وقد كانت النهضة ثورة تجديد وتحديث على المجتمع الرجعي القديم. وفتح العلماء والمستشرقون والادباء آفاقاً مضيئة أمام الإنسان.

إن تطور النهضة مرتبط بتطور المجتمع الذي نعيش فيه اضافة إلى الوضع القائم بين الكرد فتكون النهضة حاجة ماسة للكورد لكن لكل فترة زمنية رجالها ومفاهيمها النهضوية وخصوصية

البلد والمجتمع ، مثلاً أحدثت النهضة الالمانية وأثارت انتباه الأمير جلادت بدرخان وجذبتة لإحياء اللغة الكردية والأدب الكردي. كانت المانيا مؤلفة من عدد من الامارات غير موحدة، لم تكن دولة قومية، وبفضل النهضة حققت وحدتها مبتدئة باللغة، ثم أسست وحدة اللغة والأدب والشعر والفكر القومي ثم وحدة الوطن حتى تبوأ صدارة العالم، ويمكننا أن نقول تبدأ النهضة في وحدة اللغة والثقافة والفكر ثم الوطن، أعتقد أن هذا يناسب الوضع الكردي الحالي.

تمر ظروف سياسية على كردستان وتجعلها في ظلام ليل دامس وخاصة الوضع في الاجزاء الثلاث من كردستان (ايران، عراق، تركيا) وعلى الرغم من ذلك تتقدم باتجاه التغيير واحداث الجديد، فالمقاومة التي نسمعها أو نشاهدها في تركيا حسب الوضع الجديد والتفرقة والعداوة اكثر من السابق وفي ضوء هذا يجب أن نتسلح بنهضة جديدة وفُرضت علينا الحرب والثورة وانتشارها في كافة المجالات الفكرية والأدبية والمعرفية، لقد استيقظ الكرد من سباتهم الطويل ولذلك فهم يطالبون بحقوقهم. ويندحر كل شيء في تركيا، يفر الناس من الظلم والوحشية، وتباح البلاد وتسيل الدماء ومن المستحيل أن نناقش النهضة في هذا الموضوع. لقد تطور الوعي الكردي في تركيا حسب حركية المجتمع وحسب الاعمال الأدبية والثقافية والفنية، لقد قدم الكثير من الشباب والفتيات أرواحهم رخيصة من أجل الكورد من أجل احياء الحياة الكردية. تصدر في تركيا جريدة كردية اسبوعية ويتم تطوير اللغة الكردية وتحل العادات والأصول والأدب الكتابي محل العادات القديمة والأدب الشفهي والتاريخ القديم وحلت التقنية العلمية محل القديمة. ويتكلم غالبية الكورد اللغة التركية، ولا يمكن أن نقول ان هناك حركة وحياء فلسفية وعلمية وفنية وثقافية كردية. لقد حولت الكلاسيكيات الكردية إلى الاحرف اللاتينية، وكتب الفلكلور الكردي، لكن أين الانسانية والمجتمع والحياة الكردية. أين الوحدة والعمل المشترك الكردي؟ أين الحركة العلمية والثقافية وإحياء حركة النهضة الكردية؟

ربما نجد في المستقبل القريب نهضة كردية، والذين يناقشون النهضة الكردية، يقدمون أشياء إلى اللغة، في اليوم الذي تكون فيه لغة الفكر هي لغة كردية ستحدث وحدة اللغة والأدب الكردي. عندما يصل عدد الكتب الكردية إلى عشرات الآلاف، ويصل عدد الكتاب ورجاله والمثقفين إلى الآلاف، وتؤسس المطابع الكردية والاكاديميات والمعاهد والمؤسسات الثقافية، عندئذ تزهده النهضة الكردية والنهضة اليوم ضرورة ماسة لكل الشعوب وخاصة للشعب الكردي. من المعلوم أن النهضة السياسية والاجتماعية الكردية تؤثر في النهضة الثقافية وطبقة المثقفين الكورد.

تختلف النهضة من بلد إلى آخر حسب الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية لكل بلد وقد يتأخر بلد عن الآخر أو جزء من كردستان عن الأجزاء الأخرى حسب الاستقرار السياسي وواقع الأنظمة في كل جزء، أو قد يسبق جزء الأجزاء الأخرى، لكن على الرغم من ذلك نجد أن النهضة الكردية بدأت تقريباً في مطلع الثلاثينات في اجزاء كردستان، وقبل ذلك كانت هناك مرحلة المخاض والثورات والانتفاضات وبدايات الحركة المجتمعية في كافة المجالات وهذا لايعني أن الانتفاضات والثورات توقفت بعد هذه المرحلة بل غيرت من تقنياتها وأساليبها، ونظرتها إلى المجتمع والاعداء، أي تغيرت العلاقات وجرى تغيير في بنية العقل الكردي فمثلاً حاول المثقفون الكورد في كردستان العراق أن يحدثوا ثورة نهضوية في الفكر والأدب والسياسة والمجتمع وكافة مجالات الحياة، بعد أن ظهرت اكتشافات جديدة في علم الآثار وتغيير المفاهيم في السياسة والثقافة والتاريخ، فانقطعت العلاقات مع الأفكار الكلاسيكية القديمة فمثلاً في مجال التاريخ نسفت مقولة التسورا التي تقول إن التاريخ هو تاريخ التوراة، وكذلك جرى تجديد في الحركة الأدبية على يد الكاتب عبدالله گوران والشيخ نوري شيخ صالح مع بعض من مفكري تلك الفترة أمثال بيره ميرد والذي ساهم في الحركة الفكرية الكردية كما كان له دور في حركة التحرر الوطني الكردي، واشتراكه في الجمعيات الوطنية والثورة الكردية بزعامة محمود الحفيد ثم أصدر جريدة (ژیان) في 1926 وكذلك المفكر الكردي رفیق حلمي الذي ترك لنا آثراً عظيمة في تاريخ الثقافة الكردية.

لقد ربط المثقفون الكورد المرحلة الكلاسيكية وضمان مرورها بالمرحلة الحديثة بمعناه الصحيح. يعود الأدب الكردي الحديث بجذوره إلى المثقفين الكورد في اسطنبول وكانت الدعوة الأولى للفكر النهضوي بعد صدور أول جريدة كردية في عام 1898 بعنوان (كردستان).

كما كان للمؤرخ الكردي المعروف محمد أمين زكي دور هام في رفد الحضارة الكردية وربطها بالحضارة العالمية ولايمكن أن نغفل دور المفكر والعلامة توفيق وهبي في مجال نشر اللغة الكردية وأبجديتها والقواميس.

وقد صدر عدد كبير من الجرائد والمجلات والكتب في تلك المرحلة ونذكر منها، مجلة گه لاویژ بین عامی 1939-1949 التي كانت تصل إلى سوريا وتوزع في كافة اجزاء كردستان ثم مجلة (زين) عام 1942 إضافة إلى الكتب التاريخية والفولكلورية والأدبية والثقافية ومن إلتف حول هذه المجالات والمنابر العلمية، محمد أمين زكي، توفيق وهبي، علاء الدين سجادي

وغيرهم ممن ساهموا في تطوير النهضة، ومن الرواد الأوائل في تلك المرحلة الأولى إضافة إلى الشاعر
بيره ميرد وعبدالله گوران كان هناك الشيخ نوري شيخ صالح، وغيرها من الشعراء.

وازدادت هجرة المثقفين الكورد في بداية الثمانينات الى أوروبا، وهذا منحهم فرصة التلاحح
والتزاوج الثقافي وفتحت أمامهم آفاقاً واسعة وفكراً متنوراً، وظهرت نتائجه في انتفاضة 1991
وعودة المثقفين الوطنيين الكورد إلى الوطن بعد انشاء حكومة أقلية كردستان البرلمانية، وصدور
عدد كبير من المجالات والكتب والجرائد والمنشورات بكافة أنواعها، وقد تعجز مؤسسة حكومية
رسمية عن اصدار تلك الكمية الهائلة.

هذا وقد ظهرت بوادر النهضة الكردية في كردستان ايران وخاصة أثناء قيام جمهورية
كردستان (مهاباد) في المجال السياسي والثقافي والأدبي فقد كان الشاعر دلدار وهه ژار وهيمن من
شعراء الجمهورية إضافة إلى عرض اوبرا (الأم كردستان) التي كانت تعتبر نقطة البداية أو
الانعطاف التاريخي في حياة النهضة الفكرية والفنية الكردية.

وأما النهضة الفكرية التي حدثت بين كورد سوريا في ثلاثينات القرن العشرين كان من أهم
أعلامها المفكر والعلامة جلادت عالي بدرخان عندما أصدر ألقباء بالاحرف اللاتينية وصدرت
مجلة هاوار بتلك الأحرف للمرة الأولى فاجتمع حوله مجموعة من المثقفين والوطنيين الكورد ومن
هؤلاء الذين نشروا الوعي القومي أمثال: جگرخوين وقدري جان وعثمان صبري والدكتور
نورالدين زازا والدكتور كاميران بدرخان وأحمد نامي وحسن هشيار، لقد تحمل هؤلاء الرواد
الأوائل للنهضة الكردية أعباء كثيرة في سبيل تطوير اللغة وتحرير الانسان الكردي من النظام
العشائري والطائفي القديم، وتوعية الجيل الجديد توعية وطنية قومية نهضوية في الوقت الذي
كانت تسود فيه العلاقات القديمة من الاستغلال والظلم والجهل والأمراض المتفشية في المجتمع
الكردي. وكان لرواد النهضة علاقات مع المثقفين والنهضويين الكورد في كردستان العراق وتركيا
وأرمينيا أمثال موسى عنتر الذي بقي في داخل كردستان تركيا وعمل في كافة المجالات الثقافية
والسياسية لتحرير الكورد وكذلك محمد أمين زكي الذي قرأ التاريخ الكردي قراءة جديدة،
وعلاءالدين سجادي وتوفيق وهبي وگوران وغيرهم كثيرون إلى أن امتدت حدود هذه العلاقات
وشملت الحركة الثقافية والأدبية وخاصة في مجال الفولكلور الكردي إلى الاتحاد السوفياتي سابقاً
مع المفكر النهضوي الذي وضع القباء اللغة الكردية عرب سمو الذي كتب أول رواية كردية
(الراعي الكردي) ويعتبر مؤسس الرواية الكردية الحديثة، ومن ثم البروفيسور قنات كردو
وغيرهم.

رسالة بخط الكاتب قدري جان

يبدو من هذه الرسالة التي أرسلها الكاتب قدري جان إلى هيئة تحرير مجلة هاوار أن العلامة جلادت بدرخان كان يصحح الكتابات التي ترد إلى المجلة، لكن يبدو أن الكاتب قدري جان يتمنى في هذه الرسالة أن يصحح جلادت بدرخان الأخطاء المطبعية والنحوية فقط دون أن يغيّر من مضمون القصص.

وتأكيداً على هذه الرسالة، سئل الاستاذ عثمان صبري ذات مرة إن كتاباتك التي نشرتها في مجلة هاوار وروناهي لها قيمة فنية وأدبية ولغوية عالية مقارنة بما نشرته في الفترة الأخيرة وخاصة (الأبطال الأربعة = Car leheng). فرد الاستاذ عثمان صبري بصراحة: "كان في ذلك الزمان - الوقت يوجد جلادت بدرخان".

نفهم من هذا بأن العلامة جلادت بدرخان كان يصحح جميع الكتابات التي كانت تصل إلى مجلة هاوار وروناهي لغوياً وفنياً.

نص الرسالة:

A-Zivan

1941/2/28

خادمكم:

أرسل مع هذه الوريقة قصة بعنوان (الذنب) إلى هيئة تحرير هاوار، أتمنى ألا يلعب القلم كما في القصص الماضية كي لا يتغير موضوع القصة، وإن أردتم أن تجعلوني مسروراً أتمنى أن تصححوا بعض الأخطاء المطبعية فقط، أرجو ألا تؤاخذوني ولا تهتموا لأخطائي .

كنت أريد دائماً أن اكتب بعض الكتابات لـ هاوار وأرسلها، لكن للأسف لم أجد فراغاً، أعمل من أجل تأمين لقمة العيش، رغم هذا الوضع المزري وكلما سنحت لي الفرصة سأؤدي هذا الواجب.

وأخيراً أدعو الله أن تكونوا سالمين. حان وقت الصيد ألم تذهبوا إليه.

تقبلوا مني فائق التحيات والسلام.

قدري جان

Ez benî !

A. Zivan

28-2-1951

Digel wê respêlêka zûwê ji Hawarê re
Çirokêkê "binarê" û "Gunch" dişînim, ez
hêvî dikim hûn mîna Çiroka bîrê, jê
ne lîzîm û qelêmî dînarê ne gerînim. Hekê
wê dîwê mîn dîzûwê bikin, jê xelêkê çapê re
sazêdane' me dîm. Li kêmanîya mîn mîzê
nêkin.

Mîn dîwê tîm ez jêkê bendam ji Hawarê re
binivîsîm û bi şînim, lê muxabîrê vala
na bîm. Ji bona nanê jê dest nêce bî
kari zûwê mijûlîm. Digel wê qas dî kêrê
fîrsetê de e jê wê wêcîbî eda bînim.
Pêşî, jê sazîya wê re duazwajîm.
Wexta nêçîrê ya, ma hîm kêrê nêkin!
Gêlek selaw û hurmêt olîkîm.
Çedîrî çav

صورة بخط يد الشاعر قدرى جان رسله الى العالم جلادت بدرخان صاحب مجلة هاوار

عندما يحاول الإنسان تذكر ما كان يجري في فترة زمنية ماضية. خاصة إذا كان صغير السن من جهة وغير ناضج ذهنياً من جهة أخرى فإنه لا يدرك آنذاك أهمية تلك المرحلة ولا بطولية ذلك الجيل. إلا أنه ويتقدم السنين وخوض التجارب وكشف الحقائق وكثرة القراءة والمطالعة يستطيع بعد ذلك العودة إلى الوراء إلى الماضي بذاكرته. من هذا المنطلق أحاول تذكر ما يتعلق من معرفتي بالشاعر الكردي قدري جان ديريكي. كان الشاعر قدري جان صديقاً للوالد مثل كثير من الشخصيات الوطنية والأدبية والسياسية الكردية، كالدكتور نورالدين زازا - مؤسس وسكرتير أول حزب كردي في سوريا - وأكرم جميل باشا - شارك في ثورة الشيخ سعيد وحوكم أمام محاكم الإستقلال - مؤلف كتاب تاريخ كردستان. وقدري جميل باشا وقف إلى جانب قاضي محمد في مهايات أثناء إعلان الجمهورية الكردية وإستعراض الجيش الكردي أمام المنصة الرئيسية. مؤلف كتاب في سبيل كردستان. والمفكر والأديب الكردي الكبير ممدوح سليم. أحد قادة جمعية خويبون. وآخرون لا أتذكرهم جيداً. كنت في تلك المرحلة يافعاً يأخذني والذي معه أحياناً لزيارة أصدقائه في بيوتهم أو في المقاهي أو الحدائق. ومن جملة هذه الزيارات زيارتنا لمنزل الشاعر الكردي قدري جان. فقد كان يسكن مدينة دمشق حي المهاجرين - الجادات العليا. كان عمله في وزارة التربية (المعارف) أتذكر المنزل وأسرّة الشاعر زوجته الشركسية⁶ وأولاده. كان الوقت ظهراً جلسنا في غرفة كان فيها عدد من الكراسي وطاولة، وكان اثاث البيت متواضعاً، ويفوح من البيت مظهر المدنية. جاؤوا بالطعام تناولنا الغداء وأمضينا فترة ثم أستأذن الوالد وخرجنا عائدين إلى بيتنا في حي الأكراد.

في لقاء آخر كان هنالك زيارة مشتركة إلى مكتب المحامي صفوح الغفري في شارع الفردوس. فقد ذهبنا مع والذي برفقة الشاعر إلى مكتب المحامي وكان صديقاً لشاعرنا جلسنا في المكتب تجاذبوا أطراف الحديث، تناولوا فناجين القهوة وخرجنا بعد ذلك.

في مناسبة أخرى لا أتذكر في أي مقهى تم اللقاء الهافانا أو الكمال. أتذكر أثناء جلوسنا حول طاولة. أخرج الشاعر من جيبه ظرفاً فيه مجموعة صور. كان يخرج واحدة واحدة ينظر إليها والذي ثم يضعها جانباً وكنت بسبب الفضول أنظر لتلك الصور. إحدى الصور كانت للشاعر قدري جان مع الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري ملتقطة في أحد مقاهي بغداد. صورة أخرى للشاعر مع عدد من ضباط الجيش العراقي أعتقد أنهم من الكورد. إحدى الصور للشاعر مع قائد الثورة الكردية المرحوم مصطفى البارزاني الخالد باللباس المدني جالسين حول طاولة مع آخرين في إحدى نوادي بغداد.

مناسبة أخرى أتذكر أن أحد أقاربنا كان قد جاء من الجزيرة السورية إلى دمشق لشراء فندق صغير تمهيداً للعمل فيه مع أولاده لأنه كان قد قرر السكن في دمشق وكان والذي والشاعر يساعده في البحث عن فندق مناسب وكنت بصحبة والذي حيث كانوا يسيرون سوية بعد مشوار البحث وصلنا إلى ساحة المرجة وسط المدينة حيث الفنادق والمطاعم كان الوقت صيفاً والحر شديداً في وقت الظهيرة. كان الشاعر يضع قبعة

6 زوجته تركية الأصل وليست شركسية، وهي ابنة عثمان بك وهو تركي الأصل (يحن إلى الخلافة العثمانية).

أمريكية مصنوعة من القش على رأسه لإتقاء حرارة الشمس الملتهبة. قام قريبنا بدعوتهم إلى الغداء وبصعوبة تمكن من إقناعهم بقبول دعوته على الغداء. هذه هي المناسبات التي كنت موجوداً مع الشاعر.

الآن سأتي على الإنطباع الذي تكون لدي عن شخصية الشاعر الظاهرية. لم أكن أعرف في تلك الظروف شيئاً عن أهمية الشاعر إنما كنت أدرك من خلال أحترام والدي له أنه ذو أهمية ما. وأتذكر ونحن أطفال صغار نردد إحدى أشهر أناشيد الحماسة الوطنية الكردية في تلك المرحلة ونحفظها ظهراً عن قلب خاصة أنها كانت تبث من الإذاعة الرسمية في العراق في عهد عبدالكريم قاسم الذي يقابله عهد الوحدة في سوريا آنذاك ولم تكن نعرف أن هذا النشيد قد جادت به قريحة الشاعر وأن أنامله قد كتبتة. الآن بعد هذه السنين الطويلة التي مضت (المرحلة التي أكتب عنها تقع بين 1970-1972).

أحاول تذكر شكل الشاعر أوصافه الجسمية والنفسية. كان ضخم الجسم طويل القامة. لون بشرته مائل إلى البياض والشقرة، قسمات وجهه لطيفة تنبئ عن إنسان هاديء وقور. كان يلبس بنظلاً مع حزام على قميص نصف كم. أعتقد أنه لم يكن يدخن. عندما كان يجلس مع والدي كنت ألاحظ أنه قليل الكلام لا يتحدث من تلقاء نفسه. كان يتحدث عندما يُسأل. كلامه من النوع الهاديء. كان ساهماً ينظر إلى الأفق كأنه يفكر بشيء ما يشغل باله. كنا نعيش حياة عادية بكل ما فيها من صعوبة ومشقة تشغلنا عن الكثير من الهموم الوطنية. فجأة لا أدري كيف سمعت أن قدرتي جان توفي سألنا ما السبب قيل أنه توفي بالجلطة الدماغية. الوالد كان على اتصال مع أسرته فقام بالواجب.

أتذكر مراسم تشييع الجنازة والدفن بشكل جيد، وضع التابوت في جامع الكردان في حي الأكراد بدمشق، صلي عليه. كنا متجمعين أمام الجامع. حشد كبير من الناس جاؤوا للمشاركة. سيارة نقل الموتى متوقفة خارج الجامع في مقدمتها علق أكليل من الورد بشكل دائري مكتوب على قماشة سوداء عبارة الأمين العام للحزب الشيوعي السوري تحتها كتب اسم خالد بكداش على جانبي السيارة أكاليل من الورد تزينها. بعد الصلاة أخرج التابوت من الجامع ووضع في السيارة. ثم انطلقت السيارة وخلفها المشيعون باتجاه طلعة مقبرة الشيخ خالد. في منتصف الطريق قام بعض الناس بإخراج التابوت من السيارة ووضعوها فوق اكتافهم، سارت السيارة في المقدمة والتابوت على الأكتاف والمشيعون يسرون خلف السيارة. وصلنا المقبرة. كان القبر محفوراً جاهزاً. تجمع الناس حول القبر بشكل دائري. ثم انزلت الجثة إلى القبر. كان هناك شخص يحمل كاميرا فيديو يصور الناس وهم ينزلون الجثة إلى القبر. كان يدور بالكاميرا على الناس ببطيء يصور الحضور. بعد الدفن تفرق الناس. بعد فترة قام الوالد بكتابة مراثية للشاعر المتوفي لتنقش على شاهدة القبر الحجرية ذهب إلى النحات الذي يقوم بقص وتفصيل الشاهدة الحجرية وفق المقياس المطلوب. قام الفنان الكردي نوروز آلوسي برسم رمزي عبارة عن غصني زيتون متصلبين وسطها جبلان وفوق الجبلين شمس ساطعة مشرقة.

وهكذا وضعت الشاهدة بهذا الشكل على مقبرة الشاعر لتشير إليه في مثواه الأخير. (رحمه الله).

ابو شورش 1999/6/3

قصص ومقالات

إن وجدت الصرخة، فالشكوى نليها

إلى أخي عثمان صبري.

ليلة ظلماء، تعجز العين عن الرؤية... يقطع الصقيع أقدامي العارية كسكين، تصفر الرياح الهوجاء أحياناً في أذني. لا أعرف إلى أين تقودني قدمي؟ لكن أعرف طريقي من خلال خطوات عكازي. هكذا أمشي. منذ عدة أيام لم يفارقني الثلج والزوايح... نعم الليلة أيضاً مظلمة، يتساقط الثلج عليّ بغزارة تحتضني العاصفة الثلجية. ارتجف من البرد، عبث وهراء هذا البرد. أتجمد... لأستطيع الحركة... لم يصدر مني صوت. تناهى إلى سمعي صراخ صوتٍ شاك. ما هذا الصوت؟ أفتح عيني لا أميز مصدر الصوت. لكنني أعرف هذا الصوت، كان صوت ابني (أبي... أبي).

- نعم يا بني... أين أنا؟

- أبي... أنت في البيت. لماذا لاتفتح عينيك!

فتحت عيني خائفاً. وجدت نفسي في بيتي، بين أولادي، وعلى فراشي. وقد جلس ابني (هيم كران) أمامي وقال: أين كنت عندما احتل العثمانيون بلادنا؟.. تكاتفنا نحن الشباب، هزمت أعداءنا، بنينا وطننا، وشيدنا بيتنا. قلنا يجب أن يأتي والدي، لكنك لم تأت. وقد رأيت حلمًا، كنت فيه في مأزق... تستغيث بنا.

حزمت امتعتي، قطعت الجبال والوديان.. ووصلت. رأيت أن والدي يرتجف من البرد، والثلج يتساقط. لقد تجمد كل شيء فيك، قلبك الوحيد الذي كان ينبض، ايقظت والدي... اعطيته كتيبي، وسلكتنا طريق البيت، جئنا منذ عدة أيام... هيا انهض، كي تبقى أنت المرابي... وعماد البيت.

كم هي جميلة هذه الحياة

بين الأهل والأخوات،

وهل القلب لاين

من جروح الرماح،

هذا الجرح جرح الرماح،

يثقل كاهلنا

و بلا كبد وفؤاد

أخوات مفجوعات
هذه صرختنا
والنوم ضرر وبلاء
نحن لا نشك أبداً
في نصائح الخلان.

* مجلة هاوار العدد 1 السنة 1932 الصفحة 5، 6.

القرية المحدثة

أنهار تجري بين البساتين المزروعة بكافة أنواع الأشجار المثمرة، تحلق أنواع الطيور ثم تحط على الأشجار، يغرد كل طير لحناً شجياً يبعث في النفس الحزن ويمزق داخلي، إنه شحرور، جميل الشكل شجي اللحن، يبعث الراحة في قلبي والضيء في بصري. تقع قريتي بين تلك البساتين الجميلة مع خمسة عشر بيتاً، إنه مأوانا ومضافة القرية، نجتمع فيها بعد العشاء أحياناً، ونتمدد على مروجها، كنا فرحين للأحاديث الجميلة، وكان البستان مصدر سرورنا.

لماذا لا يمكن للمرء أن ينسى الوطن المثخن بالجراح؟ كنا نقول: لا نملك أبواباً ومنافذ، لذا كان الجرح يدغدغنا في كل خطوة ويزكرنا بالوطن، نفور ونتحمس من أجل الماضي. ماذا نريد هذه المرة؟ القرية هي قريتنا، والبستان بستاننا، وكل شيء فيها لنا. هل يجوز هذا؟ تعالوا مرة واحدة فقط وانبشوا داخلي، أخرجوا منه القلب، ففتوه إلى قطع صغيرة، ستلاحظون أن القطع الصغيرة تتكلم، وستبكي معها... أعرف تماماً أنكم لن تتمالكوا أنفسكم ولن تستطيعوا إيقاف السيل الجارف من دموعكم التي تجري مع نهر الفرات أميالاً. عندئذ ستدركون أنني لست عاشق جمال الشحرور فقط، بل عاشق صوته الشجي أيضاً، لأن حياتنا واقعة بين منقاره الشجي، تنتهي بإنتهاء الاغنية الحزينة. كونوا أصحاب القرية المحدثة فهي قريتك، فالنجدة والبشرى لمدينتكم.

« مجلة هاوار العدد 2 السنة 1932 الصفحة 6.

سليمان بك بدرخان

سليمان بك هو ابن خالد بك بدرخان، ولد عام 1890م في المنفى، بعيداً عن الوطن، درس في المدرسة السلطانية في اسطنبول، كان شاباً ذكياً عاقلاً وسيماً، يحب شعبه كثيراً. أخبرني مؤخراً أحد أصدقائي أن له قصيدة. وقد كتب هذه القصيدة عن كردستان، والوطن. أردت أن أحيي ذكرى سليمان بك وتجربته في هذه الزاوية حفاظاً على ألا يضيع اسمه أيضاً وننقذه من الضياع.

أصبح حبه لوطنه إيماناً، كما يقول في قصيدته في البيت التالي:

حب الوطن من الإيمان

آه كردستان، آه كردستان

حسرة الوطن أصبحت له داءً مزمناً.

احترق القلب من عشق الوطن

الروح والجسم تعفن

مهما كانت بلدان العالم جميلة. لكن وضع الزوزان كان له مكانة أخرى في القلب.

مهما كان الوطن عذباً – حلواً

فبلاد الزوزان أجمل – أعذب

عندما ينبعث الأنين والحسرة من القلب، يكتب في القصيدة:

ألف آه، من التفرق

ألف آه، من التمزق.

لم يشهد أحد لكتاباتهِ (لشعره) قرر أخيراً:

إلى متى تدوم الغربية

لنذهب إلى الشعب

اتجه إلى الوطن والاصدقاء والاحباب دون وجل:

دافع كثيراً في سبيل أن يرى الوطن. وقد يسر له الله الطريق. زرع روح الكردية بين شباب الكورد. علمهم القراءة والطريق الصحيح. لكن للأسف، لم يكمل طريقه، قضى نحبه في منتصف الطريق وكان ضحية، القنابل التركية، تحدى جسمه حراب الاتراك وارتفع.

نعم قدم سليمان بك حياته بشجاعة في سبيل وطنه. كان يبلغ من العمر 22 عاماً، لكنه لم يأخذ معه حسرة الوطن. ولم يكمل طريقه إلى النهاية لكنه نصّف المشوار، وأصبح فكره وتجاربه درساً للشباب الكورد، درساً ذا عبرة لا يمكن نسيانه.

اما اليوم فكل الشباب الذين يعرفون سليمان بك يحلفون برأسه، ويريدون أن يدافعوا في سبيل الوطن كما فعل سليمان بك. إن لم يسيروا على هدي سليمان بك، فلن تهدأ روحه. فليُنزل الله أمطار رحمته عليه ولنطلب الرحمة والغفران له.

« مجلة هاوار العدد 3 السنة 1932 الصفحة 4، 5.

البصرى الذهبية

إلى مرشدنا الكبير قدري بك المحترم.
بصرى الذهبية مدمرة، و(كوتو ماكسو) مهزوم
جبل تورجل أفقر من طيور (باز بلك)
ونبع (كانيا هنارى)، وديريك الجميلة ذليلة
كلهم ثمالى من الهموم وينتظرون النجدة.
لم يأت اليوم ماكس أمير بصرى إلى المضافة. ظل جالساً في طرف قصي من البيت على
المعطف القزويني، واضعاً رأسه بين كفيه، محتاراً شارد الفكر.
وعندما وجده أهله في هذه الحالة، لم يتجرأ أي شخص الاقتراب منه، وكأن شيئاً خطيراً
حدث له، إنه عصبي، بقي فترة زمنية شارد الفكر، محتاراً، لا يتفوه بكلمة، ولا يرفع رأسه.
عندما استيقظ من غفلته، كان في حالة يرثى لها، متهدل الشاربين، محمر العينين، مكفهر
الوجه، وقف شعره كشوك القنفذ... صرخ على ابنه شاول.
- شاول... شاول... أمير برج ماتينه يتناول علينا كثيراً، لقد أصبح شوكة يخز حياتنا،
وخاصة في الفترة الأخيرة، وعلاوة على ذلك يريد أن يُكره أختك بيروز على الزواج على الرغم
منا. أنا ماكس أمير بصرى، لم أزعج أحداً حتى الآن، وخاصة أمير برج ماتينه... لقد ارسل لي
رسالة... هذه هي .

يقرأ شاول رسالة أمير برج ماتينه: Birca Metina

برج ماتينه - 10 - 7 - 1200

ماكس:

هذه رسالتي الرابعة، ولتعلم أنها الأخيرة. لم ترد على رسائلي حتى الآن. إن الله كبير وعليم
مافي القلوب، وعلى عدم اهتمامك لرسائلي. يبدو أنك لاتصدق أنني سأصدر قراراً (فرماناً) على
شعب ماتينه fermana Metinan بشأن الهجوم على بصرى، مدينتكم المفضلة العزيزة على قلبك
كثيراً... نعم سأدمرها. وإذا كنت لاترى أن بيروز تناسبني، فأنا سأخذها رغماً عنك... ماذا تقول
بعد ذلك؟.

ميرزا ميروز

* * *

قرأ شاول ماكس الرسالة بلهفة وغضب عارمين، ارتعب من اللهجة القاسية، فجأة نظر إلى والده وقال: كتبت هذه الرسالة بغطرسة المتكبر وعنجهية الواثق من نفسه... ليكن... المقاومة مفتاح الحياة. سنقبل تحديه السافر. فكر ماكس كثيراً. يعرف نفسه تماماً أنه ليس لقمة سائغة-سهلة أمام أمير برج ماتينه. الانسحاب عار عليه، وخاصة في موضوع الشرف. وسيجلب له الويلات. قال لابنه يائساً:

تسلحوا.. وزعوا السلاح على الشعب. جهزوا أنفسكم للمعركة القادمة... سنترك جثة ميرزو في البراري. أخيره برغبتنا. وارسل إليه رسالة تحدي.

* * *

غضب أمير برج ماتينه Birca Metina من الرسالة واللهجة القاسية. وفوراً أصدر أمراً بشن هجوم على بصرى الذهبية. اندثرت بانيا كاني هنار Baniya Kanihinar بين الأقدام، وامتلات السماء بالرماح والسيوف، توافد الشباب والفتيان من تورجل Turcel، تركوا أماكنهم، وخيموا حول البصرى. تخندق الطرفان، وبدأت المعركة.

* * *

كان عشق الأمير ميرزو يطمئن عيون بيروز، التي كانت تلمع على سطح القصر، ويدق قلبها بحرارة العشق. لم تكتثر لمصيبة شعبها وأهلها. لكن كانت قوة الأمير ميرزو مستمدة من رغبتها العارمة، وكانت تتباهى بقوة الأمير ميرزو لذلك تتحرك على القصر ذهاباً وإياباً، ويتموج الحرير على جسمها مثل أمواج البحر، وكأنها تداعب عواطف العاشق ميرزو، وتتمايل ذات اليمين وذات الشمال، يستمد من حركاتها قوة، ويقود الهجوم على والدها وأخيها. العاشق أمامها يحارب... يقاتل من أجلها هي.

خان الزمن الأمير ماكس... لم يعد يائساً، محتاراً، بل أصبح مهزوماً...

تدمرت مدينة بصرى الذهبية، وخسرت الفتاة بيروز مدينتها وأهلها. بعد المعركة لم يعيش ماكس طويلاً، التجأ إلى الجبل... ثم مات قهراً.

* مجلة هاوار العدد 5 السنة 1932 الصفحة 6، 7.

البدر

اتكأت على المخدة بعد أن اسندت رأسي على يدي، ومددت قدمي اليمنى على الأرض، وكانت يدي اليسرى على ركبتي اليسرى، ثم غبت عن الوعي، لا، بل دخلت مدينة الاحلام والخيال.

عندما نظرت إلى الأسفل، إلى البحر، كانت نارية قوية تتراقص أمام عيني، ولا أستطيع أن أفتح عيني من شدة نورها، فترسل لهيبتها إليّ.

نعم، كانت النار تشتعل في البحر، وترسل اليّ لهيبتها الوهاج، هل يمكن أن يتذكر شيئاً في هذه اللحظة؟ رفعت رأسي ونظرت عالياً، وزع البدر بسمته، ومن شدة انبهار هممت، قال:

- أيها الولد الطيب، ألم تستطع أن تستيقظ من غفلتك؟ أنا أنتظرك منذ مدة طويلة... كنت بارداً فمناحتك دفئي وحرارتي، وأنقذتك من سكرات الموت. هيا، انهض واسد لي معروفاً... لدي شيء يجب ألا أخفيه عنك، لقد اسديت لك جميلاً، ولاتعتقد أنني قدمته لك، إنما من أجلي أنا...

نعم رأيتك، ولم أرك، تأخرت رغماً عني، اندهشت لرؤية وسامتك وقامتك. لماذا لا أبوح بالسر؟ فأنا لا أملك عقلاً، أيها الطفل المدلل، أنا انتظرك!

نعم، اذكر أنني كنت بارداً مرتجفاً، مرتعشاً.

لم يكن البرد بسبب الصقيع، أو بسبب الزوابع الثلجية، أو بسبب عواصف الرياح والأمطار، بل كان البرد من الوحدة، من الوحشة، من الفقر.

كان دمي متجمداً، يابساً، رد علي القمر وقال: أنا أملك قلبك... فانعقد لساني، ومازال القمر ينتظر جوابي، يا إلهي، كيف أجيب! حتى أجعل القمر مسروراً مثلما كان.

دبت الحركة في لساني، عندما أردت التكلم، لكن ماذا أرى! نعم رأيت غيمة سوداء من جهة الغرب والجنوب، غيمة سديمية، تجلجلت حتى وصلت إلى القمر، وكاد حلقي ان يغص بالكلام، شحب القمر، ثم اختنق.

استيقظت من الحلم.

آه... آه... يا جميلتي... يا خميلتي، يا عاشقتي، كيف تأتين إلى حلمي؟ صراحة لم يكن حلماً، أو خيلاً أو قهراً.

كانت حقيقة، حدثت لجميلتي وعاشقتي، وأنا أعرف الغيمة السوداء.

أيتها الغيمة السوداء المفسدة، أبعدت عني جميلتي، وتركتني في حيرة من أمري وغص بك حلقي، ولم تدعيني أكمل كلامي.
أصرخ الآن عالياً: خجول أنا، يا خميلتي... أفيديك بروحي، وروحي رخيصة بين يديك العبي كما تشائين.

* مجلة هاوار العدد 6 السنة 1932 الصفحة 5، 6.

أليس كذلك أيها الشعب؟

وضعت ثيابي منذ مدة للغسيل عند الكاوي، واليوم، ذهبت لأحضرها.

كنت أحمل مجلة هاوار، فدخلت المحل، سألتني الكاوي:

- ماذا تحمل معك؟

قلت بفخر كما كنت أقول لجميع الناس: إنها مجلة هاوار، مجلتنا الكردية. وقد كان

جندي تركي يجلس في المحل، نظر إليّ، تمنع أكثر ثم قال بلغته:

- والله وبالله وتالله هذا كذب، كيف تكتب اللغة الكرمانجية، ومن هو الشخص الذي

يعرف الكتابة؟

لقد كانت الكلمات التي تفوه بها الجندي التركي قاسية عليّ، وذات معانٍ عميقة، وبنفس

الوقت تدل على سوء حظنا.

كدت أبكي، فبلعت البكاء، لأنني كنت أسمع مثل هذا الكلام من إناس كثيرين، لكن ماذا

أقول؟ نحن المسؤولون عن هذه الأخطاء، وكذلك زعمائنا ومنتوروننا!

لو فسرت كلمات الجندي أستطيع أن أوضح الكثير من المعاني والدلالات، وسأضم هذا

التوضيح في فقرتين فقط:

1 - إن الكورد الذين تعلموا، وتبوأوا مراكز عالية، عندما يلتفتون إلى ورائهم، ينظرون إلى

الشعب، فيجدون أنه متخلف جداً، وليس بمستواهم، ومن المخجل أن يقول أحد منهم إن هذا

الشعب هو شعبي لأسباب شخصية، وإن تجرأ أحدهم فيحاول أن يتبرأ: (أنا لست كردياً).

2 - بعد أن اعتنق الكورد الديانة الإسلامية، تمسكوا بها أكثر من الشعوب الإسلامية

الأخرى، ودافعوا عنها حتى أصبح منهم مرشدون. وفي الوقت الذي كان الكورد ينظرون إلى

المسلمين نظرة احترام واجلال وربما تقديس أنهم أخوة في الدين. فمن المؤسف أن المسلمين من

غير الكورد لم ينظروا إلينا نحن الكورد بعين الرحمة بل استهانوا بحقنا، وقالوا: إن الكورد

طائفة من الجن ومن النور، ولافائدة ترجى منهم والى تهمة أخرى، حتى أن الدعاية أثرت تأثيراً

كبيراً في شعبنا، لذلك ابتعد زعماء الكورد ومتعلموهم ومنتوروهم عن الكردية، وأصبحوا علماء

ومنتوري الشعوب الأخرى وقدموا لهم التضحية والشجاعة.

* * *

ألف شكر وشكر لقد استيقظ شعبنا في كل مكان، وهاهي مجلاتنا وكتبنا تصدر بلغتنا
الكردية.

يجب على شبابنا أن يتعلموا العبر والحكم من الشعوب الأخرى كي يتعرف العالم على
الشعب الكردي، وأن يستيقظ الشعب من غفلته، ومجلة هاوار صرخة من تلك الشجرة.

✽ مجلة هاوار العدد 10 السنة 1932 الصفحة 2.

ربيع ديريك

يبدأ الربيع في ديريك من (25) شباط، وتستمر الرياح العاتية بل تزعج الانسان حتى (15) آذار. ولولا وادي (زار الأحمر) لما وجدت سوى الرياح العاتية. تجلب لنا المطر من البحر الأبيض.

لو لم تكن الرياح القادمة من (وادي سيور) لما كانت هناك رياح أخرى. يبحث بل يحاصرها أطراف الجبال من الشرق والغرب والشمال مثل القمر ذي الليالي الثلاث. توجد خلف هذه الجبال غابات جبل مازي، تستند مدينة ديريك إلى تلك الجبال، وتتجه إلى صحراء عربستان.

* * *

عندما يحل الربيع، يجري الدم في عروق جسمي، وتأتي معه حياة جديدة، نمشي أنا وطلاب المدارس - كالأسرى الذين افلتوا من السجون على وجه الأرض - بحرية ونركض باتجاه المدى البعيد.

نتحلق حول اساتذتنا، يتعلق البعض منا برقبته ويديه، ومنهم من يقبل وجهه وعينيه، يلتمس منه أن يتجول، ثم نمضي في طريقنا، هل نحن في المدرسة هنا أيضاً؟ لا. فنفترق عن بعضنا، يسحبنا اساتذتنا من تحت الصخور الكبيرة كفراخ الحجل. غضب الاساتذة هراء، بل يضحك معنا، ثم نصل إلى بستان ما، نجلس على مرج، ونفطر معاً، وبعدها نبدأ باللعب، ومن مد يده إلى البستان هدده الاستاذ بعصاه، وحركها في وجوهنا، وقال لنا:

- لا أقول لكم لاتقطفوا ورود الناس، بل لاتدوسوا على زرعهم.

كان ينصحننا ويرشدنا: (لقد نصحتكم) لا. هذه ليست نصائح. لقد نصحننا في الربيع الماضي المفتش العمومي عارف عباس بل - يعمل اليوم في الحسكة كوجيه ومرشد في سبيل نضال شعبنا - نعم نصيحة لايمكن أن تنسى.

جمعنا عارف بك ذات يوم، ونصحننا، قال لنا هذه القصة:

- انظروا، إن الحياة جميلة مثل هذا الربيع، يريد القلب أن يعيش في هناء وسعادة، ويتم هذا بالعمل الجماعي والمساعدة، انتبهوا جيداً، نصح ملك ابناؤه وهو على فراش الموت، فأعطى لكل واحد من ابناؤه عصا صغيرة، وأمرهم أن يكسر كل واحد عصاه بنفسه، فكسر الجميع، ثم جمع العصي في حزمة واحدة من جديد، وأعطى للأول والثاني والثالث، فلم يستطع أحد منهم

أن يكسر حزمة العصي بمفرده، عندئذ قال لهم: هكذا أنتم أيضاً يا ابنائي، يمكن كسرهم بسهولة إن تفرقتم، لكن إن توحدتم جميعاً، فلا أحد يستطيع أن يكسرهم).
عندما أنهى عارف بك كلامه، ودعنا بسعادة ثم مضى.

« مجلة هاوار العدد 13 السنة 1932 الصفحة 4.

عزاء خالي

حدث في 3 حزيران طوفان عجيب في سماء الكورد، فجأة سقطت نجمة أكثر إضاءة واشراقة، بل غضبت، وانحدرت في طريق اخرى، ولم تعد.
لذا نلاحظ أن الضياء قليل في عالمنا، وقد خيم الحزن على الكورد خاصة وضع المثقفين من جراء سقوط النجمة، وبقي الكورد مجروحين، (مثنخين بالجراح) وأنا واحد من أولئك الناس.
خيم الدخان والضباب على بساتين روحي، وامتلاً داخلي بالجروح والقروح والأشباح.
ترى ماذا حدث؟ ماذا يجري! لقد أفترق خالي عنا، افترق استاذي وموجهي، ودفن تحت التراب الأسود في عالم الظلمات، يا خسارة.. يا خسارة.

كان خالي عدواً لعائلتنا منذ القديم، لكن عندما وعيت على الدنيا، وأصبحت أميز الصالح من الطالح، أصبح خالي صديقي، لقد كان محباً للحركات والجمعيات، وكان والدي وأخي يخافان ألا أنقطع عنه أبداً، ومع ذلك ذهبت تهديدات أقربائي أدراج الرياح لا فائدة منها، كنت أحافظ على هذه الصداقة داخل روحي وكأنني أحافظ على روحي، وكان هو بدوره يحبني من كل قلبه.
ترى لماذا ترك وطنه الذي يشبه الجنة، وأيضاً الأميرات والأفراح والأتراح، وجاء الى هذه الجبال وأستقر في البرية؟ لم يراود خالي أن يسأل نفسه هذا السؤال. حبه للوطن جعل كل شيء لا قيمة ولا فائدة له. هيهات، لكن لم يوفقه الله. احرقته جمرة النار التي كانت في داخله تتأجج، راحت رغبته وهدفه معه إلى القبر.

لا. لا لم تكن رغبته، ولم يكن هو نفسه، لم يذهب سدىً إلى القبر، كانت رغبته، ورغبتنا ورغبة الجميع. إنه يعيش فينا، وسيعيش فينا حتى اليوم الأخير، لم ينحدر إلى القبر سدىً، لأن من يموت في طريق تحرير الشعب، ويدفن تحت التراب، ترتفع روحه إلى السماوات، وبنفس الوقت يعيش في قلوب الشعب.

كان الأفندي في شبابه محباً للكردية أعلن صراحة في زمن ما عن الحركة الكردية في ديريك بحرية، وأصبح هو نفسه مسؤولاً عنها، اجتمع الأعضاء من كل الجهات، كان ذكياً لم يتجاوز الرابعة أو الخامسة والعشرين من عمره، عندما أصبح زعيم ثلاث عشائر، كان موظفو الأتراك ألعبوبة في يديه. ساعد المرحوم شيخ سعيد في ثورته مع كثير من الآغوات والبكوات والناس الوطنيين والمقربين منهم وبعض رجاله، لكن لم يذهب الأفندي. التجأ إلى جبال مازي مع بعض رجاله، هجم على جنود (حراس) قرية شواش، أسر الجنود وبعض المدافع، وعندما اعتقل كمال فوزي بك سمع الأفندي أن الأتراك سيأخذون كمال فوزي إلى الاناضول عن طريق سيورك. أرسل

اخاه صالح بك بعد أن سمع الخبر -أصبح شهيد الشعب- مع بعض الرجال إلى سيورك، لينقذوا كمال فوزي بك من أيدي العدو، ولكن للأسف لقد أرسلوه عن طريق خربوط.

بعد مقتل الشيخ أخذوا - سروري العزيز - إلى محكمة الاستقلال (للاستجواب، لكن الله أنقذه من تلك المصيبة، ثم نفوه إلى الاناضول. لم يتوقف هناك مكتوف الأيدي، كان يرشد ويوعي أصدقاءه الجهلة، كان يجتمع مع اصدقائه، لذلك لم يستقر في مكان ما، لم يبق في مكان واحد يومين متتاليين، فقد كانوا يرسلونه إلى مكان آخر.

جاء إلى وطنه أيضاً بعد العفو، جمع الشباب حوله، وتعامل مع الحركات الكبيرة، وأنا كنت واحداً من الشباب الذين التفوا حوله، لم يكن يخبيء أو يستر أي شيء عنا، عندما جاء إلى سوريا، أخبرني بعض الأصدقاء، وكما كتبت مجلة هاوار، لم يتفق... توجهت إلى أسفل الخط (الجزيرة - سوريا)، وبعد قدومه انقذ أطفاله أنفسهم من الضياع.

لم تمض سنة، فقد تابعته أنا أيضاً. التقينا مع بعضنا في الحسكة صدفة، لأن ابن اخته قد قتل أحد أعمامي، كانت علاقانا فاترة (متوترة) قليلاً، لكن علاقتنا الكردية كانت حماسية قوية.

كان الأفندي دون شك رجلاً رائعاً، الرجال من امثاله قليلون، لذلك يتطلب على كل كردي شريف أن يعقد السواد والحزن، على وفاته، يرحمه الله، ويشمله برحمته.

* مجلة هاوار العدد 22 السنة 1933 الصفحة 6.

القسم

مضت الأيام، ولم أتذكرها جيداً، كانت مدرستنا مؤلفة من طابق واحد بدون إكساء. عندما يفتح باب الشارع يوجد دهليز ضيق ومظلم يؤدي إلى باحة كبيرة عارضة من الأشجار. يوجد في الباحة برميل ماء صديءٍ كنا نتوضأ بمائه. يلعب الفتيات والأولاد معاً ويدرسون معاً. كانت الخوجة الكبيرة تدرسنا وهي امرأة طويلة، وخفيفة العقل. وكان الخوجة الصغير هو ابن الخوجة الكبيرة، مازال طفلاً. كنت أجلس في آخر مقعد خلف الطلاب، كي لاتصلي عصا الخوجة الكبيرة. لذلك أطلقوا علي اسم الثعلب. وقد كان جميع الطلاب لهم ألقاب حسب طبيعتهم وتصرفاتهم واشكالهم مثلاً الذئب الشرس، جحر الفأر، البقار... الخ.

* * *

يوجد في المدرسة شكل من أشكال العقوبة، هي الفلقة، ولم تستطع الفتيات الكبار أن ينقذن أنفسهن من الفلقة، لم لا يوجد أحد لم يخف ولم يرتجف من الفلقة. من كانت عقوبته صغيرة يستلمه الخوجة الصغير بالكفوف واللكمات ثم يأتي دور الخوجة الكبيرة، وتنهال عليه بالعصي حتى يسود جسمه ويتورم.

كنت أعاقب أقل من كل زملائي، فقد شددت الخوجة الكبيرة مرة أذني وألمتني عدة أيام. ومع ذلك لم يكن لدي ذنب، ولم أكذب بل قلت الحقيقة.

كسر طالب ذات يوم صنبور برميل الماء الذي كنا نتوضأ منه، وأرادت الأم وابنها (الخوجة الكبيرة والخوجة الصغير) أن تعرف من الذي فعل هذه الجريمة؟، فالذي كسر الصنبور كان طفلاً صغيراً ضعيف البنية مريضاً. هكذا قلت للخوجة الكبيرة. وكادت الخوجة أن (تضربه فلقة)، لكن الطفل الصغير كان ينكر فعلته، فجأة جاء طالب آخر الى الخوجة وقال: أنا الذي كسرت صنبور البرميل وليس هو). ثم تمدد على الأرض يستعد للفلقة، وبدأت الخوجة، ترفع عصاها وتنزلها بقوة، والطفل – الطالب يبكي ويتدخل إلى أن تجاوز عدد العصي 30 - 40 عصاً. ثم التفتت الخوجة الكبيرة علي وقالت:

(لماذا تكذب وتتهم زميلك زوراً وبهتاناً؟) عندها شددت أذني عدة مرات رفعتني عن الأرض.. بكيت وبكيت، لأنني لم أكذب، نعم مستو هو الذي كسر الصنبور، وقد رأيته بأمر عيني ثم أخبرت الخوجة الكبيرة .

بعد أن خرجنا من المدرسة، رأيت ذلك الطفل الذي كذب على نفسه وتمدد على الأرض أمام الفلقة أمسكت صدره وسألته: لماذا جعلتني كاذباً، وكذبت على نفسك أيضاً، وعوقبت بدون سبب، أنت لم تكسر الصنبور.

قال: نعم أنا الذي كسرت الصنبور.

- لا. لم تكسره، مستو هو الذي كسر الصنبور، رأيتته بعيني ثم أخبرت الخوجة الكبيرة لم يستطع أن يستر الحقيقة أكثر، نظر الي تأمل فترة ثم قال لي: إن عاهدت ولم تخبر الخوجة سأقول لك الحقيقة، عاهدته ألا أخبرها كانت لدي رغبة شديدة أن أعرف ماذا جرى. قال الطفل: نعم، مستو هو الذي كسر الصنبور، أعرف هذا، لكنه ضعيف جداً ومريض أيضاً، ألم تره؟ هل يتحمل الفلقة؟

قلت: لماذا عوقبت بدلاً عنه؟

قال: لماذا؟ لأننا تعاهدنا معاً، وهو اليوم مريض، وأنا سليم الجسم معافى، وقد انقذته من العقوبة.

قلت: ما هي المعاهدة؟

قال: ألم تعرف؟

قلت: لا.

ابتعد قليلاً وقال: نمزج دماءنا ثم نلحقها سوية، ونتعاهد معاً أن نصبح أخوة في الدم ونساعد بعضنا حتى الموت.

لاحظت أن كثيرين من الأطفال تعاهدوا معاً وأقسموا اليمين.

رأيت يوماً هذا بعيني. كان الخوجة الصغير أمام البرميل يتوضأ، تدير الخوجة الكبيرة ظهرها لنا، وتصلي. كان الأطفال يجرحون أكتاف بعضهم بسكين لها مقبض خشبي، ويسيل الدم من الأكتاف ثم يعلقون الدم، ويقسمون اليمين معاً.

كان القسم واخوة الدماء هاجسي، لو كان لدي شقيق الدم لعوقب بدلاً عني عندما شدتني الخوجة من أذني ولم يترك أن تشد أذني وانقذني أحياناً من الفلقة. كنت أرى نفسي في المدرسة وحيداً، وكان لدي بعض الأصدقاء، لكن لم نتعاهد بعد ولم نكن أخوة في الدم.

أبديت ذات يوم رغبتني هذه لوالدتي. وذكرت لها عن قصة شقيق الدم. صرخت والدتي في وجهي وقالت: ربما جننت، لا أريد هكذا أطفال.

لكن لم أهتم بها، كان القسم (التعهد) هاجسي، وقد وضعته نصب عيني، أردت أن أختار من بين زملائي شقيق دم قوي، اهدتني مصادفة جميلة هذا الصديق. كان الأطفال جميعاً يجتمعون يوم الجمعة في بستاننا، كنا نلعب معاً حتى المساء، كان لدي صديق كنت أحب اسمه أكثر منه، كان يصارع أكثر الاحيان الذئب المفترس، والذئب المفترس اسم أطلقته الخوجة الكبيرة على (جمو)، وفعلاً كان جمو يشبه الذئب المفترس، كان يضرب الأطفال كثيراً، كان (سندك هافين) يجلب معه كل جمعة دزينة من عصي الصفصاف، وكنا نلعب بهذه العصي لعبة الحصان، ونخرج معاً إلى السباق.

ذات يوم من أيام الجمعة أحضر سندك معه حزمة من العصي، أخترت لنفسي عصا طويلة ومستقيمة وكنت أقشر قشرتها بسكين حادة، وكنت أحضر لحصاني الأنف والأذن. كان سندك وأصدقاؤه الآخرون ينتظرون السكين كي يحضروا مثلي أحصنتهم. لا أعرف ماذا جرى وإذا بالسكين التي في يدي خرجت من بين القشور وأصابت الأصبع الصغرى من يدي اليسرى. وسال منها دم أحمر، خطرت لي فكرة القسم في ذلك الوقت. القسم. نسيت ألم أصبعي وقلت لسندك:

- هيا يا سندك، أنا جاهز، هيا اجرح يدك، كي نتعاهد معاً ونقسم اليمين على أن نبقى أخوة الدم نظر سندك إلى الأرض وتمعن فيها قليلاً ثم قال: هل يجوز هذا، يجب أن نلحق دماء زنودنا من أجل أخوة الدم.

قلت: لايهم... أليس دماً إن كان من اليد أم من الزند؟

قال سندك: (جميل) أخذ السكين من يدي وشمّر عن ساعديه ثم جرحه بعمق. كان دمه سميكاً لم يسيل، تحول إلى نقطة، مزجنا دماننا مع البعض. لعقت أنا أولاً، كان دماً ساخناً ومالحاً. ثم لعق هو دم اصبعي.

لا أذكر كم من الزمن مر على الحادثة... شهر أم سنة. كنت قد نسيت أنني وسندك أخوة في الدم، كنا نذهب معاً إلى المدرسة ونعود معاً، ذات يوم كان الجو حاراً، وتركنا الخوجة الكبيرة في منتصف النهار قبل أن نكمل الدروس كأيام الخميس... كنا نعود أنا وسندك بهدوء إلى البيت، وضعت منديلي على رأسي، يسيل العرق من جباهنا، نسير في طريق ضيق وصغير. فجأة ظهر كلب أسود ضخم أمامنا، يلاحقه بعض الرجال بالعصي، صرخوا فينا وقالوا:

- تنحوا جانباً، سيعضكما...

خفنا ولم نعرف ماذا نفعل، قلت (هيا لنهرب. أحمرّت عيون الكلب كالجمر في وجهه، اقترب منا الكلب، قال سندك: (اختبيء ورائي) ثم تقدم إلى أمامي. هاجمه الكلب، رمى سندك نفسه على الكلب، كالمصارعين مد كل واحد يده إلى الآخر وهز بعضهما، وقف الكلب على قدميه الخلفيتين. ثم وقع الأثنان على الأرض.

أستمرت المعركة طويلاً بالنسبة لي، كنت أرتجف خوفاً. وصل الرجال الذين كانوا يلاحقون الكلب، وضربوا الكلب بالعصي.

تخلص سندك، وسال من وجهه الدم، خاف الكلب ووضع ذيله بين قائمته الخلفيتين وخفض رأسه أرضاً وهرب مسرعاً. قال لي سندك: لاتخف، لم يحصل شيء، الجرح صغير احتضن الرجال سندك وأخذوه إلى بيته. وأسرعت بدوري إلى البيت وأخبرت والدتي بهذه الحادثة.

لم يأت سندك إلى المدرسة في اليوم التالي، قلت لوالدتي. هيا لنذهب إلى بيته يا أمي لنزور سندك) لم توافق والدتي. كانت تقول سندك مريض لايجوز أن نزعه كنت أذهب كل صباح إلى المدرسة على أمل أن أرى سندك، لكنه لم يأت... ولن يأتي. لقد كان الكلب مسعوراً، أخذوا سندك إلى ديار بكر إلى الأطباء ومن هناك أخذوه إلى أسطنبول ثم سمعنا أن سندك قد مات.

كلما استيقظت في أيام الصيف من النوم ورأيت الصباحات الملونة الجميلة تذكرت كجميع الناس طفولتي. تراءى لي بلدي الاخضر الذي ولدت فيه، ودون علم مني سالت الدموع من عيني على يدي اليسرى، أنظر إلى أصبعي الصغرى، الى الفقرة الوسطى، يظهر عليه أثر الجرح الذي حافظ على ألي ندبة صغيرة وبيضاء، ومازالت حرارة شفاه صديقي المضحى تنبعث منها. يتراءى لي من ورائها ذلك الصديق الشجاع، الصديق الذي دفع حياته من أجل القسم، من أجل انقاذ صديقه، صارع كلباً مسعوراً.

سالكين 1941/9/12

* مجلة هاوار العدد 35 السنة 1941 الصفحة 8، 9، 10.

الذنب

قرأت مرة في كتاب ما: (مهما كانت حادثة الرجل قديمة، تركت أثراً عميقاً في ذهنه...) رأيت أشياء كثيرة في طفولتي، واليوم أذكرها جيداً... لكن هناك أشياء حديثة رأيتها أو سمعت عنها أو جرت معي لا أتذكرها اليوم بسهولة.

ربما عندما كنا أطفالاً كان ذهننا صفحة بيضاء خالية من أي هموم، لذلك تتخذ الحوادث والذكريات مكانة لها بسهولة في ذاكرتنا، وكلما مضت فترة تركت الحوادث أثراً عميقاً في الذاكرة... هذه إحدى الحوادث التي مرت معي عندما كنت طفلاً صغيراً.

انقضى الربيع، وبدأ فصل الصيف، كان كل شخص يهرب من حرارة الشمس، ويلجأ إلى ظل شجرة أو ظل جدار.

بعد مضي أشهر الدراسة الثمانية أغلقت المدارس أبوابها، كنت فرحاً جداً، ثمانية أشهر دراسة بين الضجيج والضوضاء، بين الجدران الضيقة والغرف المظلمة، لم يُصب جسدي بالروماتيزم فحسب بل كانت روحي أيضاً، تعفنت وتصدع قلبي.

عندما بشرنا أستاذنا ببداية عطلة الصيف، لم أفرح وحدي بل جميع طلاب المدرسة كانوا فرحين، ويرمون قبعاتهم باتجاه السماء دلالة على الفرح وقالوا: (يعيش الاستاذ، يعيش الاستاذ)!

لقد بكى ثلاثة أو أربعة طلاب فقط كانوا قد رسبوا في صفهم، وكانوا خجلين من الاستاذ وزملائهم، وقد كانوا يخافون من أهلهم أيضاً، تنهمر الدموع من أعينهم. تأثرت لبكاء هؤلاء الطلاب ولأوضاعهم.

* * *

مضى وقتٌ على اغلاق المدرسة، لم أتذكر جيداً، ربما شهر أو شهران ونصف كنا أنا وبعض أصدقائي نقفز من صخرة إلى أخرى، نبحث عن أعشاش الطيور نجتاز الوديان والسهول ونلاحق صغارها التي لم تستطع الطيران بعد، ساعات طويلة، كنا نمسك فراخها الصغيرة التي لاتستطيع أن تعبر عن غضبها بغير الزقزقة، وتموت بين أيدينا، كنا نلعب بها.

كنا نتجول أحياناً حاسري الرؤوس، وأخرى حفاة ورغم ذلك نفرح كثيراً، كانت ثيابنا وأحذيتنا وقبعاتنا تعيق حركتنا فنتخلى عنها بأي شكل ونتحرر منها.

كانت الأشواك تغرز في أقدامنا وسيقاننا، والاكمة تجرحنا ولم نكن نبالي بشيء أو نهتم به، يسكرنا اللعب والتحرر والحرية.. نسمع الشتائم من أهلنا أحياناً كثيرة كذلك ولا نهتم.

بعد ثمانية أشهر من الدراسة وحياة السجن الالزامي بين جدران المدرسة، نستحق، هذه العطلة الصيفية بل من حقنا أن نقضيها ولا يحق لأحد أن يمنعنا منها.

ذات يوم توحدت كلمتنا نحن الأربعة أصدقاء واتفقنا: سنذهب إلى المغارة، إلى صيد فراخ الحجل... تبتعد المغارة عن قريتنا ثلاث أو أربع ساعات، كان الحجل وفراخه تلجأ إلى ظل تلك المغارة من شدة حرارة الصيف، ويوجد في المغارة نبع ماء، فالمغارة ملجأ الجان والأشباح. سمعت ذات مرة من جدتي أن المغارة عاصمة ملك الجان والأشباح، لا أحد يتجرأ أن يدخل إلى المغارة، حتى الكبار لم يتجرأوا على الدخول إليها. لكن الطفولة ورغبة الصيد أنستنا الجان وكل شيء... كنا نريد أن نظهر رجولتنا للمرة الأولى ونقتحم المغارة دون خوف، ونصطاد فراخ الحجل في مغارة الجان والأشباح.

توقف رشو ورمو أمام باب المغارة، دخلت أنا وجمو إليها، أمسكنا بصعوبة بالغة أربعة من فراخ الحجل، كانت صغيرة لاتستطيع الطيران. كنا فرحين جداً وكأننا استولينا على كنوز الدنيا بل أكثر من ذلك، وفي الحقيقة تعبتنا قليلاً، كانت أمام باب المغارة شجرة توت كبيرة، جلسنا تحتها، كي نرتاح قليلاً ونفرح بصيدنا... كان جمو يريد أن يشرب الماء فقد نال منه العطش، وهم أن يدخل المغارة كي يشرب الماء، لكنه لم يتجرأ أن يدخل وحده، عرفت أن كبرياءه يمنعه أن يقول لي: ادخل معي إلى المغارة، لا أتجرأ على الدخول وحدي. وعرفت أنه سيدخل بمفرده، خطرت لي فكرة طفولية خبيثة، أردت أن أجرب شجاعته. تواريته عنهم ودخلت المغارة، لم يشك أحد من زملائي ولم ير أحد أنني دخلت المغارة. اختبأت في زاوية ما، رأيت أن جمو يدخل المغارة بهدوء والخوف يسيطر عليه، كانت المغارة مظلمة وجمو لم يشرب الماء بعد: عندما اقترب مني، فجأة صرخت بصوت عال وقلت: بخ..بخ. هيهات... فكر جمو أن الجن يلاحقونه، التفت جمو خائفاً ثم سقط على الأرض، ولم يعد يتكلم، صرخت عليه عدة مرات لكنه لم يجب ولم يرد علي، فتح عينيه عدة مرات فقط ونظر إليّ بخوف. همد بريق عينيه الخضراوين في ظلمة المغارة، عندها فهمت أنني أجمت بحقه، ذهبت إلى الأصدقاء وقلت لهم: تعالوا ماذا جرى لجمو؟.

ذهبتنا ثلاثتنا إليه، حاولنا كثيراً أن نحركه من مكانه لكننا لم نستطع، كنا جميعاً أطفالاً، ولاتتجاوز أعمارنا ثماني سنوات، سمعنا صوت ناي حزين من بعيد، لا بد أن هناك راعياً يعزف عليها، بقي رشو ورمو مع جمو، توجهت إلى صوت الناي، وصلت إلى الراعي بعد فترة وقلت له ماجرى لنا. كان الراعي قريب جمو من بعيد، سلم قطيعه لصديق له، وجاء معي إلى المغارة،

حمل جمو على ظهره وعدنا جميعاً إلى القرية. مازال جمو لا يستطيع التكلم، وخبأت فعلتي بل جريمتي حياءً، حتى أنني لم أخبر أصدقائي الحقيقة.

كيف نعود إلى القرية؟ ماذا يقول أهل جمو لنا؟ ماذا نقول لأهلنا؟ كنا نذهب مضطربين ونفكر. انتشرت قصتنا بسرعة في القرية. سجنني والدي في البيت، سمعت أن أصدقائي الآخرين مثلي قد سجنوا في البيوت. مازال جمو لا يتكلم. كل واحد كان يقول: جنينه شيطاني وليس رحمانياً، وكان الجميع يخافون من نهاية جمو إلا الشيخ صدقة.

كان الشيخ صدقة يعرف الجن والأشباح، ذلك العجوز الذي فعل فيه الزمن حتى انحنى ظهره، كان مشهوراً يقولون إن أصله من مكة أو من المدينة. سمعت أن الشيخ قال لوالد جمو: إن أعطيتني عشرة قطع ذهبية (خمسة قطع الآن، وبعدها خمسة) فسأشفي ابنك... وافقه والد جمو وقال له: إن اشفيت ابني فسأقدم لك كل ما أملكه...).

اعتقد كل واحد أن الشيخ سيشفي جمو من مرضه، كنت الوحيد لم أصدق، كنت أعرف مرض جمو أكثر من الشيخ.

عندما أخذوا جمو إلى الشيخ، طلبني الشيخ معه وسألني عدة أسئلة: عندما دخل جمو إلى المغارة كم كان يبعد مكان سقوطه عن الزاوية اليسرى، وكم كان يبعد من الزاوية اليمنى؟ كان ينظر إلى كتابه ويكتب بقلمه يضع رسومات ويضع نقاط عليه ويهز رأسه ثم يقول: فهمت... من أين ضربه الجان... هذا جن شيطاني، يقولون له: (بولوتوخ).

ثم كتب على أظافر أيدي وأقدام جمو بقلمه بعض الأشياء وقال: (سجنت الجن في جسمه، لن أتركه حتى أقتله أحضروا لي حزمة من العصي الرطبة).

أحضر غلامه (دلو) حزمة من عصي الرمان الرطبة، حمل أقدام جمو ورفعها عالياً، وكان الشيخ يضرب أقدام جمو البائس وتنكسر العصي، ارتفع صراخ جمو الذي لم يستطع التكلم حتى ذلك الوقت عالياً، كان الشيخ يقول: (هذا ليس صوت جمو، لم يتكلم بعد) وبدأ الشيخ يضرب ويقول: (يا عفريت... يا شيطان... أين ستهرب مني) وبلغه الجان يسأل بعض الأسئلة. تيماتم... تناتن... شن... شن. سال الدم من أقدام جمو البائس، عندما كان يضرب جمو، يصعقني كالبرق، لم أتجرأ أن أقول الحقيقة. لم يمض النهار، مات جمو البائس من شدة الضرب.

* * *

مضت على هذه الحادثة عشرون سنة أو أكثر. ولم أزل أذكرها، أصبحت لي مصيبة،
تضخمت في داخلي كعقدة وأحدثت جرحاً في قلبي... جرحاً عميقاً. يزداد كل سنة ألمها، تهتز
روحي من أجلها... أرى جموعاً أكثر الاحيان في حلمي، يقف أمامي ذليلاً منكسر الخاطر ويقول لي
مشتكياً: خيانة... خيانة.

*مجلة هاوار العدد 39 السنة 1942 الصفحة 6، 7، 8.

الأيام الماضية

ابتعدت عن عامودا بعد ثلاث سنوات من حياة المرارة والفرح. تحلق بعض اصدقائي الأوفياء وتلاميذي الأمناء حول سيارتنا. لم أرَ بعض الزملاء، يعلم الله! لم يكونوا خائنين، ربما لم يأتوا حتى لا يروا مشهد الفراق والوداع المؤثر، ربما لا يستطيعون أن يتحملوا هذا. ضمنت الاصدقاء والدموع تنهمر من عيوننا، شددنا أيدينا بحرارة وقلوبنا تقول: (سنبقى دائماً أصدقاء وأخوة).

عندما تحركت السيارة، سألت دموعي بدون شعور مني، من جهة لفراق أصدقائي ومن جهة أخرى بسبب ألم الجرح الذي كان في مؤخرتي إنه يؤلني كثيراً، كانت روحي تهتز، لم أعرف أن ألم هذا الجرح يطول كثيراً. ترى ماذا كتب القدر لي؟ مضت الأيام بحلوها ومرها في مدينة عامودا. أرى نفسي في النهاية قبيح المنظر. عندما كنت أذهب إلى المدرسة وأعود إلى البيت كان يوجد على الطريق كلبة وجروان، كانت الكلبة تعوي وتهجم علي، وكان أحد الجروين ذئبياً وأعور، ومحروق الوجه والجرو الآخر مدور الوجه. يبدو أنه مصاب بمرض الزهري. كان ينبح فيخرج صوته مثل السلحفاة التي غصت باللباب. كان هذان الجروان يريدان أن يقطعا طريقي دائماً. لم أكن أهتم بهما. لم أتذكر يوماً أن أرمي بعض الطعام لأتقي شرهما.

في يوم من الأيام هجم فجأة علي جرو، ربما كان أعمى وعرضني من مؤخرتي. طلب مني الأطباء أن أغير الجو. وأشاروا علي بمنطقة (عين ديوار) خرجت سيارتنا بهدوء وعلى مهل من عامودا، ثم أسرع. رفع الأصدقاء أياديهم حتى غابوا عن نظري. كانت السيارة تسرع كلما تقدمت. كان من الجهة اليسرى للطريق جبال كردستان ومن الجهة اليمنى سهول الجزيرة، وسيلان سبخة عربستان، وكان المطر ينهمر رذاذاً. كان السائق يقول: (أدعو الله ألا يسقط المطر بغزارة حتى نصل إلى القامشلي. حفظنا الله من الوحل والفيضانات، مازال المطر خفيفاً. عندما وصلنا إلى القامشلي كان الماء يببل وجوهنا. ذهبنا للطبيب لينظف جرحي ويضمده من جديد فأعطاني بعض الأدوية. وصلنا إلى ديريك في اليوم التالي، نزلنا عند صديق لي. كانت أحلام تلك الليلة مرعبة ومخيفة حتى أنني استيقظت مراراً فزعاً، وجرحي مازال يؤلني.

في الصباح ففتشنا عن سيارة لكننا لم نجدها. فركبنا الأحصنة ولجأنا إلى منطقة (عين ديوار). وصلنا بعد ساعتين، استقبلني هناك ثلة من الشباب منهم فتاح ملا صادق ومحمد ملا أحمد، صافحوني بفرح وحماس وشدوا على يدي بحرارة.

وصلت إلى عين ديوار في الأول من آذار كان كل واحد يقول لي: حظك جيد أن تأتي في بداية الربيع، ربيع عين ديوار مثل ربيع زوزان (مصايف) كردستان. وكلما صادفت شخصاً يكرر علي بهذا الحظ وهذه النعمة، لكن للأسف لم يكن هكذا، لم يكن حظي جيداً! فقد انهمر المطر شهراً وثلاثة أيام ليلاً ونهاراً. ما إن وصلت إلى المدرسة حتى واجهتني ألف مشكلة. طلاب المدرسة مثل طلاب عامودا، غالبيتهم كانوا من الكورد. لذا تعرفنا على بعضنا، وأحببنا بعضنا بسرعة. خلال شهر لم أستطع رؤية شيء حولي، المطر دائم في الليل والنهار. أصبنا بمرض الروماتيزم وتصدأ داخلنا، وكان مرضي ينازع، لم أصدق أن جرحي سيشفى.

بعد شهر أشرق الشمس من جديد، واخضرت الأعشاب، وتفتحت الورد والأزهار الملونة. هذا هو ربيع عين ديوار، ربيع وطني. في الجهة المقابلة تشمخ جبال جودي، موطن النبي نوح وجنوبها يجري نهر دجلة، أمام النهر تظهر جزيرة بوطان موطن مم وزين.

هذه الأوابد التاريخية الثلاث تحفر في نفسي آثاراً عميقة. وترتبط روعي بتراب تلك المنطقة. كان الأصدقاء والزملاء يقولون لي أيام المطر: لاتتضايق سیتوقف هطول الأمطار اليوم أو غداً، بعد ذلك سيأتي الربيع، سنذهب إلى جسر بافت Bafet للتنزه ستري أنه مكان جميل.

خرجنا في نزهات جميلة. وذهبت يوماً إلى جسر بافت فأخذنا الطعام وقضينا وقتاً رائعاً. يقولون أن هذا الجسر بني في زمن الأمير محمد بك دست. إنه مكان رائع يجري دجلة تحت أقدامنا ويلوح برجاً بلك Birca Belek أمامنا. وتذوب الثلوج شيئاً فشيئاً عن جبال جودي. بقينا حتى المساء. كان الصديق الجميل والبشوش دائماً محمداً ملا يقرأ أجزاء من ديوان الجزري الحزين. يفعل كما الشحورر يشدو بحرية وانطلاق.

عندما تم اغلاق المدارس للعطلة الصيفية فرحنا للراحة التي ننشدها بعد عناء ثمانية أشهر وحزنت لأنني سأعود إلى دمشق. كان يحز في نفسي أن أترك أصدقاء عين ديوار وعين ديوار نفسها. فقد قال شاعر: (عندما يبقى المرء في مكان ما، فإنه يرتبط بالإنسان وبتراب المنطقة بخيوط خفية وعندما يريد أن يغادرها تشد هذه الخيوط قلب المرء وتؤلمه). هذا حقيقة لا انكرها. عندما خرجت من عين ديوار مثل يوم خروجي من عامودا. فقد شعرت بغصة في حلقي وامتألت عيناى بالدموع.

تمر الأيام والشهور بسرعة هائلة. فقد مضى على بعدي عن تلك الأماكن وأولئك الأصدقاء سنتان. لم أعد أخرج بل انظر حولي فأرى بدلاً عن جبال جودي سراباً خادعاً.

لم أجد صديقاً يملأ الفراغ الذي تركه محمد ملا - جعل الله روحه في جناته - والذي تركه تلميذي برو ورمو. ومن ذكريات تلك الأماكن بقي شيء واحد معي آثار أسنان ذلك الجرو في مؤخرتي، الجرو الذي لا صاحب له، الجرو الفلتان.

الجديدة 10 - 11 - 1942

* مجلة هاوار العدد 52 السنة 1943 الصفحة 9، 10.

كلاب المصايف

إن قصة كلاب المصايف ليست قصة وهمية، ولا هي خيالية ورغم ذلك لم أرها بعيني، بل سمعتها من شخصين، فالاول يدعى صلاح بك رمضان من بلدة الزبداني، والآخر يدعى داوود أفندي من أشرفية القنيطرة.

جرت العادة منذ القديم، أن تأتي الأغنام من كردستان إلى سوريا وفلسطين وقد تصل إلى مصر أحياناً، إن اغنام كردستان تلقى رواجاً في أسواق تلك الدول، كانوا يطلقون عليها، الاغنام البنية.

جاء تاجر ذات مرة مع اغنامه من أرضروم إلى سوريا، وبقي فترة في الزبداني، وقد كان الشتاء قاسياً في تلك السنة، حيث تساقطت الثلوج بكثرة، ولم يستطع التاجر أن يخرج بأغنامه من الزبداني، لذلك اضطر أن يبيع أغنامه في البلدة إلى مضيفه، وكان مع التاجر كلب المصايف يحرس الاغنام من اللصوص والذئاب، تتأكل المضيف على ضيفه وطلب منه الكلب أيضاً، حجل الضيف أن يرد مضيفه خائباً، فقدم كلبه الرصاصي اللون الكبير الذي يرد الذئاب عن القطيع، وعاد إلى وطنه أرضروم.

كانت الغابات والادغال التي تحيط بالزبداني في ذلك الوقت، مأوى الذئاب والوحوش وبعض الحيوانات البرية الأخرى. وكانت الذئاب بدورها لاتدع أغنام البلدة ترعى بأمان... وبعد أن ظهر كلب المصايف هناك، لم تتجرأ الذئاب والحيوانات المتوحشة الاقتراب من القطيع كبر الكلب وشاخ بعد عدة سنوات ولم يستطع أن يرد الذئاب عن القطيع. اجتمعت الذئاب ذات مرة على كلب المصايف بين الغابات والادغال، وكاد أن يودي بحياة الكلب، وعندما عاد الكلب إلى البيت رأى صاحبه الجديد الكلب ملطخاً بالدم، مثخن الجراح، ومازال الدم ينزف من جروحه، غضب صاحبه كثيراً ثم ضمد جراحه.

ضاع الكلب في اليوم التالي، فتش صاحبه عنه كثيراً لكنه لم يجده، قال لنفسه: ربما مات في مكان ما بجروحه المتقيحة.

فجأة وجد صاحبه أن الكلب ظهر ثانية بعد شهرين، لكن لم يكن وحيداً هذه المرة، فقد جر معه كلبين آخرين أكثر قوة منه، كانا يشبهان الكلب العجوز تماماً حتى أن لونهما يشبه لون الكلب العجوز، فرح صاحبه كثيراً، ولو كان لديه اجنحة لطار من الفرحة. نحر الرجل خروفاً لضيوفه الكلاب، ووضع أمامهم.

استراحت الكلاب الثلاث في تلك الليلة، وفي الصباح الباكر تقدم الكلب العجوز ووراءه الكلبان الضيفان القويان إلى مأوى الذئب، حيث الادغال والغابات - يعلم الله أن لهذه العملية حكمة.

اتجهت الكلاب الثلاث إلى الوديان... إلى مأوى الذئب... تقدم الكلب العجوز إلى الوادي وحيداً، وتأخر الاثنان ينتظران. هجمت الذئب على الكلب العجوز... فجأة انطلق الكلبان القويان كالبرق إلى الذئب - يبلغ عدد الذئب (50) ذئباً - وبدأت المعركة، معركة حامية، وأخيراً تغلبت الكلاب على الذئب وخاصة القويان... كانا يرميان الذئب تلو الآخر طريحاً... وثأراً للكلب العجوز. ثم عادت الكلاب إلى البيت، وكان الدم يسيل من أفواههم، نحر الرجل خروفاً آخر بفرح وفخر.

بعد عدة سنوات من تلك الحادثة، جاء الارضرومي إلى الزبداني ثانية، وروى له الزبداني قصة كلبه بفخر واعتزاز.

قال الارضرومي: نعم، كل مارويته كان صحيحاً، لأن الكلب عجوز، لا يستطيع أن يتغلب على كل الذئب.

وفي يوم ما ظهر جروان للكلب، ثم اختفى الكلبان القويان، وقد كان القويان أولاد كلب المصايف، وبعد ثلاثة أشهر مات كلب المصايف العجوز وبقي الجروان.

* مجلة رونا هي العدد 14 السنة 1943 الصفحة 11.

كُلجِين

كُلجِين ابنة نورس بك وهي الابنة الوحيدة والبكر أيضاً لوالديها... لذا كبرت وترعرعت في عز ودلال، فقد كانت كُلجِين جميلة جداً لها قامة هيفاء، وشعر أشقر ذهبي، وعيون خضراء، تبلغ من العمر ثماني عشرة سنة، اشتهرت بجمالها بين الأهل والعشيرة، وكان الشباب يعشقونها كثيراً، لكن لم يتجرأ أحد أن يتقدم لخطبتها من والدها خوفاً على شعورها.

كان نورس بك من وجهاء مدينة نول Nol ومن أغنيائها وبنفس الوقت رئيس العشيرة، كان رجلاً مجرمًا وسفاحًا. كل شخص يكرهه لأن أحداً لم يسلم من شره، ويلوكون سيرته في الأماكن بالسوء، ويترصدون لايدائه والايقاع به.

يعتبر سيدو آغا عدوه الأول، وهو أيضاً من وجهاء ورؤساء العشيرة، ومن مؤسسيها، وهو الذي كان يزعم نورس بك ولم يدعه يهنأ حتى في نومه أيضاً.

كان نورس بك يعرف تماماً أن مكانته تهتز، وإن استمرت هذه الحالة أكثر، فسيخسر العشيرة والممتلكات أيضاً. كان يتوجب عليه أن يجد حلاً لهذه المشكلة التي تزعجه، يفكر ليلاً ونهاراً عسى أن يجد حلاً، وأخيراً وصل إلى نتيجة ترضيه وتخرجه من المشكلة، قال لنفسه:

- إن أصبح سيدو آغا صهري فلن أخاف منه بعد اليوم، ولن يزعجني بشيء.

قدم نورس بك ابنته المدللة كُلجِين إلى سيدو آغا، وقيل سيدو آغا هدية نورس بك برحابة صدر، وتقدم لخطبتها. لقد تصالح الأغوات والبكوات. خطب سيدو آغا كُلجِين ابنة نورس بك، وألبسها خاتم الخطبة، واشترى لها ذهباً، ووزعت كؤوس الشراب. وتحدد موعد الزفاف بعد ثلاثة أشهر، وستكون كُلجِين زوجة سيدو آغا.

لم يسعد نورس بك في نومه منذ مدة طويلة، أما اليوم فسيضع نورس بك رأسه على المخدة للمرة الأولى دون خوف أو قلق بعد هذه المصالحة... وينام قرير العين، لقد نام فعلاً في هناء.

ماذا جرى لكُلجِين المسكينة؟ اسودت الدنيا أمام عينيها، كانت ترى كل شيء اسوداً مظلماً، الشمس والقمر والضيء، كيف ستصبح زوجة سيدو آغا؟ إن لم يبلغ سيدو آغا خمسين سنة من العمر، فلم يكن أقل من خمسين سنة، وما زال على وجهه آثار مرض الجدري، وله عين بيضاء. وعلاوة على هذه العلل والعجز، كان له ثلاث زوجات، وقد تزوجت ثلاث من بناته اللاتي يكبرن كُلجِين أيضاً.

الأمل هو الذي يجعل الانسان يستمر في الحياة، لولا الأمل لانعدمت الحياة على الأرض، وإن انعدم الأمل، فلا يستطيع الانسان أن يعيش مع الشكوى والمرض والألم في هذا العالم، حتى

القاتل أو المحكوم عليه بالاعدام الذي يجرونه إلى حبل المشنقة يأمل في انقاذ نفسه، يستعطف الآخرين من خلال ملامح وجهه يستثير شفقة الناس كي يعفو عنه الملك أو يصدر قراراً بعدم شنقه.

ما زال الأمل يسيطر على كلجين، وأرادت أن تنقذ نفسها من هذا القدر المكتوب على جبينها وتصنع قدرها بيدها، وتنقذ نفسها من الحظ الأسود.

لم يبق لكلجين سوى العجوز بيزى، وهي عجوز ساحرة، أعادت كثيراً من الفتيات إلى أهلها بقوة السحر، وردت العرسان وفسخت الخطوبات، وبفضل السحر قربت قلوب آلاف الشباب والفتيات وشاركت في طلاق الكثيرين من الأزواج.

التجأت كلجين إلى العجوز، لاذت بها، أمسكت بطرف ثوبها وقبلت يدها، وروت ما حدث لها: (أيتها العجوز، أتمنى أن تنقذيني من نار الجحيم، وما تطيبين من المال ستقدمها والدتي لك، وهي أيضاً لاتريد هذا الزواج). فكرت العجوز فترة ثم قالت لها: يجب أن آخذك إلى الشيخ يا ابنتي، إنه الشيخ شفتت Sefqet، هو الذي يستطيع أن ينقذك من هذه المصيبة.

اتفقتا على يوم محدد للذهاب إلى الشيخ.

قدمت العجوز بعض النصائح إلى كلجين قبل أن يذهبا إلى الشيخ قالت: (إن الشيخ من عائلة النبي، يتوجب عليك أن تتوضئي قبل أن تزوريه، إنه يعرف روح الإنس والجن، كلامه جواهر، وفي أقواله حكم قدسية، إن قال لك كن فيكون، قد يكون لكلامه هذا حكمة، يجب ألا تفكري بالسوء وتحلمي قلباً طاهراً، كي يعرف الشيخ رغبتك، ويحقق أملك).

حفظت كلجين نصائح العجوز، وعندما دخلت إلى خلوة الشيخ، قال الشيخ:

- أنت عجوز بيزى لم تأتي إلي منذ عدة أسابيع، أين كنت، وماذا جرى لك؟ أعتقد أن

أختك حلت ضيفة عليك، أليس كذلك؟

قبل أن تجيب العجوز على أسئلة الشيخ، نظرت إلى كلجين وهزت رأسها منتصرة، ثم ردت على الشيخ وقالت: هذا صحيح ياشيخ، جاءت أختي لزيارتي، عدة أيام، لذا تأخرت عن زيارتك.

قال الشيخ: لايهم! أليست هذه ابنة نوس بك؟

قالت كلجين: نعم.

هرعت كلجين وقبلت يد الشيخ بحياء واحترام.

قال الشيخ: كرامة لله الذي في السموات والأرض يا أبنتي، عليك أن تتطهري، وتصلي، ليس لأجل مجيئك. نظرت العجوز مرة أخرى إلى كلجين وهزت رأسها باعجاب، وكأنها تذكر كلجين بنصائحها وواجباتها، أما كلجين فقد كانت ترتجف معجبة بمعرفة الشيخ.

قال الشيخ: لا حاجة لك أن تكرري لي مصيبتك يا أبنتي، أنا أعرف جرحك وألمك، لم يخبرني أحد أعرفها بنفسي، لاتقلقي، لاتقلقي، أنا والدك، سأنقذك من الكلب المنخور.

لم يسمح عمر الشيخ أن يقول لأي فتاة كبيرة (أنا بمثابة والدك يا ابنتي) لأنه لم يتجاوز الثلاثين أو خمسة وثلاثين عاماً، لكنه نصب نفسه لهذه الأبوة لمكانته الدينية كشيخ، لذا لم تتضايق كلجين من كلامه، سيما وأن الفتاة قد اقتنعت به تماماً.

كان على العجوز أن تخرج، وفعلاً خرجت، وتركت الشيخ والفتاة في الخلو وحدهما، خرجت العجوز من الخلو كي لا يدخل أحد دون اذن ويفسد السحر وفي نفس الوقت كي لا يسمع أحد أن كلجين جاءت مع العجوز إلى الشيخ. مسد الشيخ يده على رأس كلجين عدة مرات، ثم وضع يده على جبينها، انحدرت اليد بكل هدوء إلى الأسفل واستقرت على عينيها ووجهها، أمسك بفكها السفلي وهزها، كانت كلجين واقفة كالتمثال دون حراك، تأثر الشيخ لوضعها، قبل جبينها كوالدها ثم عينيها واستقر فمه على فمها.

انتاب كلجين احساس بالخجل من رحمة الشيخ، ولم تعرف كيف تشكره، ظلت صامتة، لا بد أن الشيخ قد وجد وسيلة لانقاذها من نار الجحيم، وهذه من الأمور السهلة لدى الشيخ، يستطيع أن يستحضر روح سيدو آغا إليها، ويأمرها أن تبتعد عن طريق كلجين، يستطيع أن يجعل الفتاة قبيحة في نظر سيدو آغا، لديه الخطط الكثيرة.

أخذ الشيخ قطعة من الكلس في يده، ثم رسم دائرة على الأرض، دخل مع كلجين إلى الدائرة وقال لها: لاتخرجي من الدائرة يا... سأستحضر روح سيدو وأخدره. بقيت كلجين داخل الدائرة، ثم وضع الشيخ بخوراً على النار، وذهب إلى خلف الستار، بقي فترة. وعندما امتلأت الخلو بدخان البخور، وأسودت الغرفة، صبغ الشيخ جسمه ببودرة فوسفورية بسرعة، وقد كانت الخلو مظلمة من شدة دخان البخور كاد أن يتحول إلى أزرق.

لم تخرج كلجين من الدائرة، فجأة صرخ الشيخ بصوت جهوري عال: يا هو... وقفز من وراء الستار، فتحول جسمه إلى نور وضياء، ارتجفت كلجين رهبة لصراخ الشيخ، وفزعت، لكن كي تتخلص من سيدو آغا، ومن نار الجحيم، وضعت كل شيء نصب عينيها التعب والخوف والتضحية.

أسرع الشيخ ودخل الدائرة، كانت الدائرة صغيرة وضيقة، كي لاتخرج كُـلـجـين منها، فالتصق الجسدان ببعضهما كقالب واحد. مد الشيخ يده إلى روح سيدو آغا وسحبها، لمعت يده النورانية كالبرق في الليلة المظلمة، وأضاءت. ثم حضن باليد الأخرى كُـلـجـين، وضغط عليها كي لاتخرج من الدائرة، ويبطل مفعول الطلاسم، كان الشيخ يتكلم مع روح سيدو آغا ويأمرها. لم تعارض روح سيدو آغا أوامر الشيخ فاستجابت لأوامره كل شيء يسير في طريقه الصحيح. هكذا أخبر الشيخ بل بشر بها كُـلـجـين، ثم ضغط على الفتاة من شدة الفرح في حضنه، وقَبَل عينيها ووجهها واستقر الفم على فمها .

لم تتكلم كُـلـجـين ولم تعارض. قال الشيخ: انزلي السروال الداخلي يا ابنتي. نسيت كُـلـجـين نصائح العجوز بيز في تلك اللحظة، وكأنها استيقظت من غفلة طويلة، نظرت إلى نفسها وإلى الشيخ، ماذا يريد الشيخ منها؟ لقد فكرت كُـلـجـين بكل شيء كي تتخلص من نار الجحيم، من سيدو آغا، وتستطيع أن تضحى، لكن ليس بشرفها. فهمت كُـلـجـين نوايا الشيخ وماسيجري لها خلال ثلاث ثوان، بصقت في وجه الشيخ من فورها، وندت منها صرخت لاشعورية، سمعت العجوز صراخ كُـلـجـين ودخلت فوراً.

قال الشيخ: أيتها العجوز: ... ماهذه المجنونة التي أحضرتها إلي؟

ارتمت العجوز على أقدام الشيخ راجية متوسلة وقالت: التوبة، لأكن جاريتك... التوبة... استغفر الله العظيم. ثم التفتت إلى كُـلـجـين وقالت: ماذا فعلت يا ابنتي، هيا توبي بسرعة، ألم أقدم لك النصائح؟ يقول لك الشيخ انزلي السروال الذي كان على الحبل في الأعلى كي يحبس فيه روح سيدو آغا.

عندما نظرت كُـلـجـين إلى الأعلى، رأت فعلاً أن السروال معلق على الحبل، عندها فهمت أنها كانت مخطئة، وارتمت أيضاً على أقدام الشيخ، تطلب التوبة، واستغفرت الله، لكن الشيخ الجليل لم يقبل توبتها إلى أن تدخلت العجوز، وتوسلت للشيخ مرات عديدة. على ألا يتكرر هذا الخطأ مع الشيخ ثانية، ثم عفا عنها الشيخ.

قبح الله وجه المصادفة، لقد ساعدت الصدفة مرات عديدة السحرة.

اختلف سيدو آغا مع نورس بك لسبب ما، بعد أن قدم لكُـلـجـين الخاتم والذهب، كان سيدو آغا يأتي إلى زيارة عمه نورس بك كل يوم. وعندما رأت العشيرة أن سيدو آغا قد خدع بنورس بك، وأصبح عدواً له أيضاً، تبرع أربعة شبان في إحدى الليالي ودخلوا منزل سيدو آغا وهددوه ثم قالوا له:

- إما نورس بك أو العشيرة.

لم يتجرأ سيدو آغا أن يخالف العشيرة بهذه السرعة، فبقي في منزله عدة أيام، كان يخاف أن يقتله أحد، عندما يترك سيدو آغا العشيرة ويتزوج من كُجيين، مضت فترة لم يذهب سيدو آغا إلى زيارة نورس بك. وهذه كانت أمنية كُجيين أيضاً، قدم الشيخ لها فائدة كبيرة، لقد أنقذها من نار الجحيم، لكن كان يجب على الشيخ أن يسجن روح سيدو آغا دائماً كي لا يعود ثانية إلى كُجيين، لذا كان عليها أن تزور الشيخ كل عدة أيام مرة واحدة. وكلما سنحت لها الفرصة ذهبت مع العجوز إلى الشيخ، يسجنان روح سيدو آغا، طلبت كُجيين أمنية أخرى من الشيخ، أرادت أن تجمع روحها مع روح كاتب والدها سرور Serwer .

كان سرور شاباً أنيق المظهر وسيم المحيا، طالباً في الجامعة، يحب كُجيين كثيراً، وتبادلها هي نفس الشعور، لكنه لم يكن من الأغنياء، ولم يكن بمستوى نورس بك كي يصبح صهره.

وافق الشيخ أمنية كُجيين، إنه يجمع دائماً روحيهما معاً.

آمنت كُجيين بالشيخ وكرامته، واستسلمت له كلياً كانت تجلس معه، ويشربان ماء الزمزم في الخلوة معاً. وقد كان الشيخ يسجن روح عدوها، وترسل روحها إلى حبيبها سرور، عندما تبقى بلا روح، كان الشيخ يحضنها ويمدها بين نوره. فأصبحت كُجيين من أتباع الشيخ قلباً وقالباً، تذهب إليه كل اسبوع مرتين أو ثلاث مرات، وتبقى معه في كل مرة أربع ساعات في الخلوة، وتشرب مع الشيخ ماء الكوثر والزمزم، ويشدها الشيخ إليه، كانت الروح تخرج من جسدها مع روح الشيخ، وينبت لهما ريش وأجنحة ثم يحلقان فوق الجنة، وفي السموات... مرت سبعة أسابيع على هذه الحال، حتى تحرك في بطن كُجيين شيء ما، لكنها لم تعرف ما هو؟. لم تدرك أنها عندما كانت تشرب ماء الكوثر والزمزم، كانت تقع فاقدة الوعي، وعندها كان الشيخ يمنح من نوره جزءاً من الشراب .

لاحظ الشيخ هذا، وعرف أنه سيفتضح أمره بين الناس بعد شهرين أو ثلاثة، لذا كان عليه أن يداوي مريضته بالدواء الذي كان يداوي بها مرضاه مثل كُجيين وهو بودرة من بركات جده... يضع قليلاً من البودرة في كأس من الماء، ويقدم لمرضاه كي يشربوا.

بعد أن تجرعت كُجيين هذا الدواء، كانت تذبل تدريجياً كالريحانة وتذوب كالشمعة، فاقتعدت الفراش، ولم تملك القدرة على الوقوف، وبعد ثلاثة أسابيع اشتد بها المرض وأنطفت كالسراج فجأة في يوم ما.

ماتت كُجيين، لكن شيخاً صغيراً كان يتحرك في داخلها، وبلا شك كان شيخاً دون ذنب.

*مجلة رونا هي العدد 16 السنة 1943 الصفحة 5، 6، 7، 8.

صيد الخنازير

كنا نمشي في طرقات وعرة، ومشجرة، في وديان عميقة، على الصخور العالية، إلى الاماكن البعيدة... كنت أنا وصديقان لي، ومعنا كلابنا. حملنا بنادقنا على اكتافنا، وتخصرنا بالزنار، ارتدينا القفازات في ايدينا وفي أقدامنا أحذية قوية متينة، وجوارب صوفية تقينا من برد الشتاء، ورتدي الثياب الأنيفة الشتوية، وكان فصل الشتاء في الأربعينيات، نقصد جبل (منجل) لصيد الخنازير. لم تكن هذه المرة الأولى التي نسافر فيها، بل سافرت عدة مرات في هذه الطريق، أصبح الصيد حاجة ملحة، ورغبة مميّنة تجري في دماغنا، تسكرنا، نركب الطرقات كالمجانين، لا نستطيع التخلي عنها. كنا نمشي في النهار، وننام في المغارات ليلاً. بعد ثلاثة أيام اقتربنا من الجبل، وكان الوقت مساءً، والجو شديد البرودة، تعينا كثيراً، واقتربنا من مغارة (كوف)، عادة عندما نصل إلى المغارة، نشعل النار بسرعة كي نتدفأ ونرتاح.

وصلنا إلى المغارة، لكن للأسف، كانت مهدمة لسوء حظنا، ولم أعرف مغارات أخرى في هذا المكان، ولم نستطع الرجوع في الظلام لأن الطرقات وعرة، والرجوع مستحيل، فالحيوانات الضارية والمتوحشة كثيرة جداً، احتمينا بصخرة كبيرة، كان المكان ضيقاً جداً، بحيث لم يسعنا وكلابنا، بصعوبة بالغة احتمينا بالمكان وأشعلنا النار.

هبّت ريح عاتية بعد العشاء مباشرة... انهمر المطر رذاذاً، وازدادت الريح والمطر كلما توغلنا في الليل، انطفت النيران، ابتلت ثيابنا، ارتجفنا من البرد، وارتجفت الكلاب، ووضعت أذناها بين أرجلها، ورفعت رؤوسها عالية، وارتفع نباحها، يبدو أنهم يندرون بنتيجة سيئة أو كارثة محتملة.

بدأت العاصفة تزداد كلما اقتربنا من منتصف الليل، وعندما كانت تلمع الدنيا، كنا نستطيع رؤية الأشياء. نخاف أن تهاجمنا الحيوانات البرية، ولن نستطيع أن نتخلص منها.

خفت شدة الرياح بعد منتصف الليل، توقف المطر تماماً، تفرقت الغيوم السوداء، ظهرت نجوم في بعض الأماكن من السماء، دبّت الحيوية والنشاط فينا، تحرك الدم من جديد في عروقنا. لكن لم تمض فترة، حتى تجمعت الغيوم الناصعة البياض بدلاً من الغيوم الداكنة، وبدأت تتلجج. هطل الثلج مع بداية الفجر، وأصبحت الدنيا بيضاء، كان بإمكاننا أن نرى أمامنا، أردنا أن نرجع إلى الورا، ونحتمي بمغارة ما. اوشكنا أن ننهض، وفجأة هجم علينا قطعيع من الخنازير... الخنازير التي كانت تهرب منا مجموعات وقطعانا، لكنها الآن تهاجمنا بشراسة.

نحن الأصدقاء الثلاثة، وضعنا ظهورنا إلى بعضنا، وصوبنا بنادقنا باتجاههم، وقد ساعدنا كلابنا أيضاً، كانوا يهجمون على الخنازير. بدأت معركة كبيرة، انتهت الطلقات، وازداد عدد الخنازير رغم أننا قتلنا الكثير منهم. كانت تهاجمنا جماعات، ملبية نداء بني جنسها، يزداد تساقط الثلج، ثم بدأت الزوبعة الثلجية تلعنا، واشتدت العواصف. ظهرت من جديد الخنازير والحيوانات المتوحشة والمفترسة، هجمت علينا، وعلى كلابنا تطلب الطعام، فهي جائعة، بعد أن نفدت طلقاتنا، علقنا حرابنا، قاومناهم فترة باليد، لكن لم نستطع المقاومة. وقع كل واحد منا في مكانه، قُتل كلابنا الثلاثة بعد ذلك سحبت الحيوانات المفترسة جثث صديقين لي على الثلج. كنت في حفرة، امتلأت الحفرة بالثلج، فتشوا عني، غبت عن انظارهم. وقد غطاني الثلج تماماً. يزداد الثلج فوق ظهري، ويثقل كاهلي، لم أستطع التحرك، لكن هذه المرة، لم أشعر بالبرد، وكأنني ارتديت الفرو الصوفي، كان جسمي دافئاً. كنت داخل كفن طبيعي أبيض. لا أمل في النجاة. عندما يكون المرء أمام الموت، يتذكر بكل تأكيد نهاية حوادثه التي تمر كشريط سينمائي أمامه. تذكرت أشياء كثيرة وأنا في تلك الحالة. لاسيما كنت اسمع دائماً صوت المرتل قبل 20 سنة عندما كنت صغيراً (الله حق... مولاي حق... الموت حق).

كان الصوت صوت الدرويش، يلبس زياً أخضر، يظهر كل سنة مرتين أو ثلاث مرات، وفي كل مرة يظهر فجأة دون سابق انذار، اسمر اللون، طويل القامة، ذقنه حمراء... علبته التي يضع على ظهره خضراء وأيضاً عمامته. كانت تتدل من رقبتة سبحة خضراء حباتها كبيرة، وعلى كتفه علبة من خشب جوز الهند، وفي يده عصا طويلة، وفي رأسها حديدة. يدور في الأزقة ويصرخ بصوته الحزين (الله حق... مولاي حق... الموت حق) كان الناس يجلبون له أطفالهم، يمسد بيده المباركة على رؤوسهم، كان بإمكانه أن يدخل كل البيوت دون أن يردعه أحد، وينام في أي مكان أو بيت يريده. وأن يأكل من البيت الذي يرغبه. كانت جدتي، تحترمه كثيراً، تجلب له الطعام، وكان يمسد يده على رأسي، يقرأ شيئاً ما بهمس وينفخ حولي. كانوا يطلقون عليه (الخال خضر) يظهر فجأة، ويختفي فجأة، بإمكانه أن يلف العالم كله في يوم واحد. كنت أتضيق تحت الثلج، يسيل العرق من جسمي. تمر في ذاكرتي تلك المشاهد والمناظر، وخاصة منظر الدرويش... تربيت في بيئة دينية، كنت أعتقد أن الدرويش الذي يلبس الأخضر، أو (ملا خضر) سينقذني من الموت الأكيد، أو يساعدني. الدرويش رجل الكرامات والمعجزات، والذي يستطيع أن يلف العالم كله في يوم واحد، يستطيع أن يلبي صراخ مريده القديم، وينقذني من هذه الضائقة. كنت أفكر بهذه الأمور. سمعت صوتاً هاتفاً يقول لي: (لاتخف... أنا قادم إليك) نظرت

إلى الأعلى، طبقات الثلج تراكمت على ظهري، رأيت من الأعلى اسراباً كبيرة من الغربان، تتجه نحوي. ثم حطت بجانبني.

انتعشت، ردت روحي بأمل ملا خضر، قلت ربما أرسله الدرويش. لكن للأسف كان غراباً طويلاً جداً رأسه مدور كبير، وعلى صدره ريش ناعم، لا يشبه الغربان. خاب ظني... إنه غرابٌ آكل الجثث... يشم الرائحة قبل أن يموت الانسان، هاهو قادم إلى جثتي. لكن هذا غراب أبيض، ذو هيبه وجلال ووقار، ليس غراب آكل الجثث، مسد بمخالبه الفولاذية على رأسي بعطف وحنان، رفعني على جناحيه الحديدية، وطار بي إلى السماء، عندها لم أكن أخاف من الموت. كنت أنظر إلى الدنيا، نظرة تفاؤل.

عندما فتحت عيني لم أر نفسي على اجنحة الطير، بل كنت في بيتي وعلى فراشي، يرفع الطبيب ذو اللباس الأبيض رأسي، ويضع الدواء في فمي، نظر أقربائي الجالسون على الطرفين إليّ بخوف، والدموع تسيل من عيونهم، ضحك الطبيب وقال: الآن لاتخافوا... لقد مزق الكفن). عاد الوعي إليّ، كنت مريضاً منذ عشرين يوماً بحمى التيفوئيد.

* مجلة روناها العدد 28 السنة 1945 الصفحة 5، 6، 7 .

الانقلاب الأحمر الكبير

- لانريد الحرب.

- لا نريد القيصر.

- يعيش الشعب.

كان آلاف الفقراء وفلاحو بطرسبورغ يتجولون في الشوارع والأزقة في شهر آذار من العام 1917، ويطلقون بصوت واحد معاً تلك الكلمات. وكان القيصر وعائلته وأعوانه ينظرون من خلف النوافذ إلى جمهرة الكادحين والفلاحين والرعاة الصعاليك، ويضحكون، ويقهقهون ثم يقولون: - يزعجنا عواء هؤلاء الكلاب.

فعلاً كان القيصر وأعوانه منزعجين... ولم يكن انزعاجاً طبيعياً، بل كان غضباً سياسياً، وإن كانت تعابير وجوههم تضحك زيفاً، لكن قلوبهم تبكي حقيقة. فقد تعلق حمى الموت برقابهم، تهتز من تحتهم العروش.

لم تحدث هذه المشاغبات في شوارع بطرسبورغ فحسب، بل كانت البلاد كلها تموج بهذه الأحداث، فيطالب الفلاحون والكادحون والرعاة بالحرية والتقدم.

يتألف الشعب الروسي من طبقات كما هو الحال في جميع انحاء العالم هم: الحرفيون والقرويون وأهل المدن، من الفلاحين الكادحين، والرعاة... أهل المدن هم الطبقة البرجوازية الوسطى، الحرفيون هم الطبقة المهنية الحرة، أما الفلاحون الكادحون والرعاة هم طبقة المستغلين، كانت طبقة المهن الحرة تعيش على جهود الطبقة المستغلة، ويتمتعون بملذات الحياة بجهودهم. وكان التعب والبؤس من نصيب الفلاحين والكادحين.

* * *

أول من وضع نظام الطبقات الاجتماعي هو كارل ماركس في القرن التاسع عشر، لم يوافق على هذا النظام الطبقي الاخرق، وطور أفكاره الماركسية إلى الأمام. كان كارل ماركس يقول دائماً (الدم الذي يجري في عروق الانسان أحمر، لا يوجد إنسان يجري في عروقه دم أخضر، ولا يحق لأحد أن يعيش على جهد الآخر، ولا يجوز ان يكون الشخص بلا عمل).

جرت الثورة الفرنسية الكبرى في عام 1789 على هذه الأسس، وانكسرت منذ ذلك اليوم شوكة طبقة الأسياد، وستدرك كل أمة معنى الحرية وتمتعها.

كان معتنق الفكر الماركسي، وقائد الثورة البلشفية هو لينين، واسمه الحقيقي هو فلاديمير ايليتش ايليانوف، ولد لينين عام 1870 في سينبرسك، ومنذ نعومة اظفاره بدأ يناضل من اجل الحرية وكرامة الانسان، ويكافح في سبيلها ليلاً ونهاراً، بفكره وعقله ويديه.

بدأت الثورة الروسية عام 1917، لم يكن انقلاباً مفاجئاً، ولم تكن معجزة، لا، بل كانت ثمرة شجرة كان قد زرعها لينين قبل ثلاثين عاماً، البذرة التي بذرها لينين قبل سنوات في روسيا في الزمن الذي لوى القيصر عنقه وعنق أصدقائه.

طرد لينين من جامعة قازان عندما كان في السابعة عشر من عمره بسبب علاقاته برجاله الثورة وشنق شقيقه الأكبر الكسندر في نفس السنة.

كان لينين يحب العلم والتعليم كثيراً وخاصة كان يهتم بفكر كارل ماركس، وقرأ كافة الافكار (الاجتماعية) وخاصة كتاب ماركس الأول بعنوان (المسألة القروية)، وبدأ نشاطه منذ عام 1893 في مدينة بطرسبورغ... واتجه إلى الكتب الاشتراكية، وقبل كل شيء أراد أن يسن القوانين للفلاحين والعمال، أسس حزباً اشتراكياً ديمقراطياً بين عام 1894 - 1898، اصدر صحيفة رسمية، ثم اعتقل ونفي إلى سيبيريا، وبقي هناك حتى عام 1900، ولم يتخل عن نضاله.

بعد أن عاد من المنفى خرج مع أصدقائه الاثنيين الأول (مارتوف)، والثاني (توبريسون) من روسيا، وذهبوا إلى المهجر مع بليخانوف واكلور وفيرازاسوليسست وأصدروا جريدة بعنوان إيسكرا. ثم ذهبوا إلى بروكسل، ولم يستطيعوا الاستمرار هناك، فلجأوا إلى لندن ودب الخلاف بين جماعة ايسكرا، وانقسم الحزب إلى طائفتين. البلاشفة والمناشفة، كان البلاشفة تحت قيادة لينين، واصدر صحيفة بعنوان (بريود) وفي عام 1905 عاد لينين إلى روسيا، وحدث انقلاب في الفكر والنظريات العامة في روسيا، وانخرطوا في المجال العملي، حدث كفاح مسلح في شهر كانون الأول تحت قيادة الحزب باسم جماعة السوفيت، فحاربوا جنود القيصر عشرة أيام، لم يوافق المناشفة على هذا الكفاح المسلح وراقه الدماء وانضموا بدورهم إلى القيصر والبرجوازية.

اضطر لينين أن يخرج من روسيا في عام 1907، وبدأ نشاطه السياسي في عام 1912 من خارج روسيا. وعندما بدأت الحرب الكبرى في عام 1914، بدأت جماعة السوفيت تظهر من جديد وبقوة أكبر واهتزت بطرسبورغ.

ظهرت بوادر الثورة الاشتراكية في روسيا تحت قيادة الحزب البلشفي وزعامة لينين في عام 1917 وكانت هذه بداية تاريخ تحويل الطبقة الرأسمالية، وبداية التاريخ والمسار الصحيح والحرية.

عرض عمال بطرسبورغ عرضاً مسرحياً في شهر آذار من نفس العام، وتجول آلاف الناس في الشوارع والأزقة يرددون: (لانريد القيصر، نريد الحرية، يعيش الشعب...)

اشتدت نيران الثورة في بداية شهر آذار، وكان القوزاق والجنود الذين يرسلهم القيصر إلى هؤلاء الجمهرة ينضمون إليهم، ويحاربون شرطة القيصر... لم يبق سبيل أمام القيصر... وسقط القيصر عن عرشه الذهبي.

ومع سقوط القيصر، وجهت ضربة اقتصادية وادارية إلى الطبقة الرأسمالية، وجرت انتفاضة آذار بقوة القرويون والجنود فقط... بدأت ثورة تشرين الأول بعد ثمانية أشهر، وانتصر البلاشفة في كل الاماكن، وتأسست حكومة بلشفية بزعامة لينين. وفي نفس الوقت أسس أهل المدن والبرجوازيون حكومة بقيادة الأمير لغوف وميلكوف. نشر لينين برنامجه المتضمن عشرة بنود في نيسان. فجر البرنامج الوضع في روسيا كقنبلة ثم بدأت ثورة تشرين الثاني، أراد لينين أن ينهي الوضع لصالحه في أيلول، لكنه طهر البلاد منهم في شهر تشرين الأول، انهارت الامبراطورية الروسية الظالمة، وأسس بدلاً عنها اتحاد الشعب السوفيتي.

اشتهر لينين في العالم أجمع خلال ثمانية أشهر، فازدادت واجبات لينين وكثرت مهامه في السنوات الأخيرة، لكن للأسف امتدت إليه يد المنية.

استلم قيادة البلاد السوفيتية بعد لينين الزعيم ستالين، وقد حوّل هذا الرجل الفولاذي بلاد السوفيت إلى جنة ونعيم، قدم لهم وسائل الرفاه والسعادة. يحصل اليوم في السوفيت كل امريء على قوته حسب عمله واحتياجاته... فالإنسان حر، لايتجرأ أحد أن يظلم الآخر أو يقسو عليه... لاتقاس الحاجيات بالعظمة والشيخوخة والأبوة، بل تقاس بالاعمال المقدمة.

يوجد الآن بين الشعوب السوفيتية اتحاد قوي، لا فرق بين القوميات الصغيرة والكبيرة، من الناحية القومية والدينية. كل شعب يتكلم بلغته ويكتب بلغته ويقرأ بلغته. ولايمكن لأحد أن يحتقر القوميات الأخرى، بل يعاقب كل من يخالف هذا الأمر.

* * *

توجد عدة قرى كردية في بلاد السوفيت، وقد حصل الكورد على حقوقهم القومية والدينية، بحيث توجد في كل قرية مدرسة وكولخوز كردي، وتصدر صحيفة رسمية تدعى (ريا تازا Riya Teze)، وهناك دار المعلمين وجامعة. ويصدر أعضاء الجمعيات مئات الكتب الكردية، نتمنى لهم الحرية، ومزيداً من التقدم.

• مجلة روناهي العدد 28 السنة 1945 الصفحة 23، 24 .

الخاتمة - النهاية

عندما يكون المرء غير راضٍ عن نفسه، ويشك في مستقبله، فيلتمت إلى الوراء، ويتمعن في أيامه الماضية كعجوز مهترئ يقلب صفحات حياته ولا يريد الموت، لكن يفكر في أيامه الماضية، يتذكر شبابه وطفولته، هكذا يعزي نفسه.

لقد أصبحت أنا مثل أولئك العجائز، أصبحت شاباً عجوزاً أتأمل مستقبلي وما تخبئه لي الأيام القادمة، سراب وشكوك، يلغني الآن ضباب وغبار. أتذكر مثل ذلك العجائز البالية الرثة أيضاً الذين قضوا أيامهم الماضية وخاصة أيام الطفولة، تصدر آلاف الحشرات والآهات من قلبي، واستمد منها لذة النفس، أجمع اليوم أشتات الأوراق الممزقة من تاريخ حياتي، أحاول إعادة ترتيبها، كي أصنع منها كتاب السعادة. تتنوع صفحات كتابي وتتعدد من القسم والذنب، والايام الماضية والنهاية (الخاتمة) لتشكّل مجموعة صفحات يضمها كتابي الحزين، ويزداد الكتاب غنىً وتنوعاً، ورغم ذلك تبقى صفحات ممزقة، والخاتمة صفحة من تلك الصفحات.

حدث ذلك قبل خمس وعشرين سنة خلت تعداداً بالاسابيع والأشهر والسنوات: حدث فجأة داخل بيتنا خبر أو نبأ شاع وانتشر. توفي أخي فتحي بعد مرض قصير جداً دام ثلاثة أيام وفتح باب العزاء، وانتشر البكاء، كان فتحي يصغرنى ببطن واحدة فقط، يصغرنى ب سنة ونصف سنة كان ضخماً ذا عيون سوداء، وسحنة بيضاء، أطول مني قامة.

تأثرت بموته أكثر من أي شخص آخر، لأنني كنت أحبه كثيراً، وكنت أعتبر نفسي مذنّباً تجاهه ومسؤولاً عن موته.

توجد عادة في بلادنا، بحيث تجمع كل عائلة الفواكه الصيفية والخريفية، وتحفظها في الدنان والخوابي، وتحكم اغلاق الفوهة، ثم يخرجونها في رأس السنة، لاتذبل الفواكه ولا تيبس (تجف)، بل تبقى طازجة وطرية. جمعنا نحن أيضاً الفواكه الصيفية، وحفظناها في تلك السنة، وقد ملأنا ثمانية دنان كبيرة، وأغلقتنا أفواهاها باحكام، توافد الأصدقاء والعائلة أجمع إلى بيتنا في رأس السنة، وانتظر الاطفال الصغار بفارغ الصبر ورغبة ملحة أمام مراسيم فتح الدنان. عندما دخلت والدتي إلى مخزن المونة، فرأت دناً مفتوحاً وفارغاً من محتوياته، خرجت فوراً، وأمسكت بكتفي ثم هزنتني غاضبة، وقبل أن تسألني عن أي شيء بعد! قلت لها: (فتحي، فتحي هو الذي فتح الدن، ووزع اللبن على أولاد الحارة...) لم يكن فتحي موجوداً في البيت، بل كان ذاهباً إلى عمته في رأس السنة، وعندما عاد، أمسكته والدتي دون سؤال وصفعته بقوة على وجهه، لم يكن المسكين يعرف شيئاً، فبكى بصمت عميق. لكن في الحقيقة أنا الذي كنت قد

فتحت الدن، سحبت ما في داخله من اللبن تدريجياً بيدي، لكن لم آخذه لنفسي، بل للحكواتية المذنبية (المرأة التي كانت تروي لنا الحكايات): خجة.

كانت خجة تروي لنا الحكايات... لديها طفلان يتيمان، ابنها وابنتها، كانت خجة تدبر أمور معيشة طفلها ومعيشتها عن طريق رواية الحكايات، كانت غرفتها تمتليء في الليالي الشتائية من الأطفال أمثالي ذوي الأعمار (6 - 7) سنوات، وكنا نحن الذين نقدم لها الطعام والشراب والسجائر والأقمشة، وقد كنت مكلفاً بتقديم الفواكه الشتائية في تلك السنة، كنت أخدم والدي في كل ليلة وأتحجج بأنني سأذهب إلى صديقي خورشيد في المدرسة. وسأدرس معه دروسي، كنت أمر من دهليز ضيق ومظلم إلى المستودع، وأملأ جيوب جاكيتي ومعطفي باللبن والبقاسمة، وأفرغها أمام خجة التي ستروي لنا الحكايات. كانت خجة تقول لي دائماً: (أحسننت يا ولدي، أحسننت) لم تبدأ خجة برواية الحكايات مالم يكتمل عدد مستمعها، كانت تتجول بنظراتها حولها وتقول:

- هل سادو هنا؟ أين رمو؟ لماذا تأخر جمو؟.

يحضر المستمعون الواحد بعد الآخر، ثم تبدأ هي برواية الحكايات، لاتمل خجة ولاتتعجب من رواية الحكايات، ونحن أيضاً بدورنا لا نشبع (نرتوي) من الحكايات، تخفض صوتها في بداية الأمر، ثم يرتفع صوتها تدريجياً، كنا نتمدد على الأرض كي نسمع الحكايات بشكل جيد، وأحياناً نريد أن نقرب منها، وبعد أن يرتفع صوتها لم نكن بحاجة إلى الاقتراب، كلما تحمست خجة شدتنا إليها، وتنتقل روح العدوى إلينا، كانت أيدينا تتحرك دون علم منا، فتتحول الغرفة إلى حمام ساخن من شدة حرارة النار وزفير الأولاد. تشعل خجة السيجارة تلو الأخرى، وتسحب نفثاً منها بعمق، تخرج الدخان من أنفها وتقول بعد ذلك: نعم، إلى أين وصلنا: (كان الأمير محمد شاباً في العشرين من عمره، رأى في حلمه ابنة ملك الجان، فتخلى عن الحياة من أجل حبها، وهام على وجهه في البراري، صادفه في الطريق سبعة عفاريات، شهر الأمير محمد سيفه ذا الحدين وقطع رؤوسهم الواحد تلو الآخر).

كانت خجة تروي لنا حكايات الجان والعفاريات، والحوريات والافاعي، وكنا نستمع إليها بصمت قلباً وقالياً، ونددهش من قوة أبطال هذه الحكايات.

كنت أحب كثيراً حكايات العفاريات، وأقول لنفسني: آه ياليتني، أصبح ذات يوم مثل الأمير، وأصبح بطلاً لحكايات العفاريات، وليكن لي سيفٌ ذو حدين، كانت روحي تهتز لسماع هذه الأساطير، وكان قلبي يرتعش بهذه الحكايات.

بعد أن ضُرب فتحي من قبل والدته، ذهب بصمت إلى زاوية الغرفة وجلس فيها وتأثر، تغير وجه فتحي وانتابته حمى ساخنة، لم يستطع أن يتحرك من الفراش، واشتدت الحمى عليه في صباح اليوم التالي، لم يستطع الكلام وقد انعقد لسانه، أحضر والدي له الطبيب، فكتب الطبيب الأدوية وقال: (لاتقلقوا)، إنه مرض خفيف من نوع الكريب). لكن للأسف لم يفتح أخي العزيز عينيه ورحل عن الدنيا في اليوم الثالث، وتركنا في البكاء والنحيب والتعزية. نعم، مضت خمس وعشرون سنة، ومازالت هذه النهاية الحزينة تسم حياتي وتقلقني، وأنا بدوري أدعو على تلك العجوز التي كانت تروي لنا الحكايات بألف مصيبة وكارثة في نفسي. لكن، إن كانت - تلك العجوز - حية ترزق، فلدي الرغبة الجامحة أن أراها ثانية وأقول لها:

- أنا أيضاً وقعت في الحب، حاولي أن تحشريني في الاماكن الضيقة والمظلمة، دخلت أنا إلى عالم العفاريت والافاعي، وأحاربهم، لكن ينقصني شيء واحد فقط هو السيف ذو حدين كسيف الأمير محمد.

1943/4/14 - الجديدة

* مجلة روزانو العدد 2 السنة 1943 الصفحة 4.

نادي النصر (سركونن)

الصوت الحيوي

نشرت جريدة (Jin) الكردية الصادرة في السليمانية مؤخراً مقالاً قيماً حول نادي النصر التي يصدرها الشاعر والأديب الكردي توفيق بك (پيره-ميرد) مقتبسة من مجلة گهلاويژ - المجلة الكردية - التي تصدرها مجموعة أعلام كردية متعلمة في بغداد. حول نادي النصر أطلعنا على بعضها، بصراحة إن هذه الجمعية قد تأسست منذ زمن وقد تراجعت أعمالها قليلاً خُطت في الفترة الأخيرة بحب واشتياق خطوات منسجمة باتجاه اهدافها.

هذا الصوت الحيوي النشيط يخرج من قلوب صافية وأفواه أمينة، سينظف طبقات الصدأ التي تراكمت في آذان الكورد الجهلة، وتملاً قلوبهم الخاوية بالآمال والاحلام. تلمع هذه الاضاء من مشاعل المتعلمين، تلك المشاعل التي تبرق أمام علماء المعرفة ورجال الأمة أمثال أمين زكي، رفيق حلمي، علي كمال ومعروف جياوك بك قد قبضوا عليها، سيمحي الظلام والضباب الذي خيم على بلادنا، وتزول الغمامة والضباب التي خيمت على جبال زاغروس، وتملاً عيونهم المحرومة منذ سنوات والتي تبحث عن النور بضياء الشمس.

* * *

نرى في الفترة الأخيرة في كل عدد من أعداد گهلاويژ قائمة بأسماء المتبرعين ورجال الكورد الكرماء، يقدم كل واحد لجمعيته أربعين أو خمسين، أو خمسة وخمسين ديناراً، ادام الله سخاءهم، وبيّض الله وجوههم. يقول المثل: (خبيء قرشك الأبيض ليومك الأسود). نحن اليوم - الأمة الكردية - تأخرنا عن مواكبة الحضارة في كل المجالات، يجب علينا أن نستيقظ نحن أيضاً ونساعد بعضنا يداً بيد وكتفاً بكتف، ونغذي طريق الحياة كي نصل إلى هدفنا ومرادنا.

• جريدة روزانو العدد 19 السنة 1943 الصفحة 1 .

خاتمة سليمان

آه..يا استاذي، ياليتني أمتلك تلك القدرة – الملكة الشعرية التي كنت تمتلكها، لكنك اليوم صوّرت الجمرات والنار المتأججة في داخلي... ياليت.

كم هو قاس أن أقطع آلاف الجبال والبحيرات، واجتاز آلاف السهول والوديان وأصل إلى هنا، لأستقر في مكان، مثل هذا المكان، وتذبل فيه وردة شبابي، وأطفئ فيه شمعة الفتوة أيضاً، وأقدم عصارة تفكيري لأولاد زيد وعمرو وهم يشربون منها. كتبت سبب وحكمة هذا السر في الأيام الماضية، واليوم لا أريد أن أعود اليها.

* * *

سرفت اليوم بعد الظهر تلاميذ مدرستي، أردت أن أخرج الى ظاهر القرية فترة، وأبدد قلقي وأرفه عن نفسي المتضايق. كنت أتمشى بهدوء على الطريق، أراقب من حولي، يؤخرني منظر جميل أينما وجدته، كنت أنظر إليه بحسرة وآهة وأتذكر وطني الأخضر، وتلك الجبال الملونة تمر أمام ناظري .

كنت أمشي في الطريق دون هدف ولا إرادة، لا أعرف ما يجري، فجأة تعلق قدمي بشيء، عندما انتهت إليه، جفلت، وتراجعت من فوري، كان شكلاً يشبه شكل الفطر، لكن لم يكن حجراً يشبه لونه أي الالوان التي نعرفها، بل كان جسماً غريباً بلون عجيب.

عندما انتهت إليه اجفلت، لأننا كنا نسمع دائماً أو نقرأ في الصحف، أن رجلاً وجد شيئاً في المكان الفلاني، أو في المنطقة الفلانية، ثم انفجر في يده، ومات حامله أو أنه قد جرح.

ما أعرفه من معارك اليوم، أن الأرض والسماء وكل الأماكن قد زرعت بالالغام، فانتابني الخوف عندما رأيت هذا الجسم الغريب، قلت لنفسي قد تكون قنبلة أو لغماً، وكلما تمعنت النظر فيه، كنت أترجع خطوة، عندها أدركت أن الروح غالية وثمانية، وكيف يتمسك الانسان بالحياة، بعد ذلك بقيت فترة، أن تلك الروح التي تشيخ وتهتريء دون فائدة ودون سبب في جديدة عرطوز ما الفائدة منها؟ قلت لنفسي: (فليكن ما يكون) التقطت ذلك الجسم الغريب، وتحسسته بين يدي، عندها سرى تيار كهربائي من قمة رأسي الى أسفل قدمي سريانا صعوداً

وهبوطاً، وتحولت الدنيا أمام ناظري إلى ضباب ودخان، ثم تلاشى الضباب تدريجياً، وظهر (لاح) عوضاً عنه كائنات سودان - ديو - عفريت - يحملان سيفاً في أيديهما، وسألا:

- هل ندمر العالم إن كنت ترغب؟

كنت قد سمعت في الحكايات عن بعض الأساطير الخيالية لكن لم أتذكر يوماً من الأيام أنها ستحدث معي مثل هذه الحكايات، رغم أنها حدثت أمام عيني لكنني في الحقيقة كنت أشك فيها، اندهشت امام هذه المصادفة العجيبة صراحة، وتلفت يميناً ويساراً، ثم تماكنت نفسي، قبل أن أجيب على سؤال الكائنين، بادرتهم بالسؤال:

- ما هذا الذي أحمله بيدي؟

قالا لي: خاتم سليمان، هل ندمر العالم إن كنت ترغب؟.

- لا، أرجوكما، لتبق الدنيا كما هي عليه، لكن أين حضرة سليمان؟ أمسك كل واحد بيدي وقالا: (أغمض عينيك، بينما أغمضت عيني، وفتحتهما، وجدت نفسي في حضرة النبي سليمان ملك الانس والجان، فقد كان جالساً على عرش ذهبي، وكانت بلقيس تقف في الطرف المقابل له، وتحمل في يدها كأساً من ماء الكوثر، تقدم لعابدها. ويشرب من ماء الكوثر نقطة نقطة. ثم التفت النبي سليمان إلي وقال:

سرق جنني يدعى (سيدو) مني هذا الخاتم منذ ألفي عام، وها قد اعدته إلي اليوم، اطلب مني ماتريده الآن.

كنت أعرف من قبل أن النبي سليمان هو ملك الحيوانات في العالم، وقد تملكنتني رغبة في تعلم لغة الحيوانات منذ القديم - قلت له:

- أرجو من حضرة جنابك أن تعطيني مفاتيح حظائر الحيوانات، ومفاتيح طلاسم اللغة ولهجاتها.

لم يستهجن حضرة جناب النبي ما طلبته منه، بل أمر فوراً جنياً ما، فأحضر الجنني لي مرادي وطلبي. دخلت إلى حظائر الحيوانات، كانت الطيور تفر من أمامي رفوفاً في كل الجهات، وتتجول قطعان الحيوانات معاً، تحدثت مع غالبيتهم، فرحت من بعض الحيوانات

وغضبت من الأخرى، وافترقت عنهم. تأثرت للبعض كالخراف والثيران والأرانب، وحقدت على البعض الآخر كالفاعي والعقارب والذئب الشرسة، والثعلب وابن آوى.

لم يأذن لي حضرة جناب النبي أن أذهب في ذلك اليوم، لأن اليوم والهدهد سيحاكمان في اليوم الثاني، قال لي النبي سليمان: (يجب أن تحضر هذه المحاكمة) لذا بقيت أيضاً.

عندما حان وقت المحكمة جلس اليوم والهدهد على كرسي الاتهام بجانب بعضهما، قال حضرة النبي سليمان لليوم: جميع الحيوانات يشتكون منك، يقولون: (إن هذا الطائر هو طائر يجلب الشؤم والدمار وليس له فائدة، أينما يقف، يدمر المكان الذي حط عليه). ماذا تقول أنت؟ نهض اليوم ذو الرأس الكبير والعيون الصفراء (يبدو عليه أنه لايفيد بشيء من السيادة) بتثاقل على قدميه وقال: ياملكي، أنت تستمع لكلام الديدان وصراصير الحقول، هم صيدنا منذ قديم الأزمان، النمل الصغير والكبير عبيدنا أيضاً، لا يحق لهم أن يشتكوا ويحاكمونا.

نهض وكيل النمل عامة، وقد تذكر فراخه (تلك الفراخ التي اكلها اليوم في عشه) الصغير، سال بعض نقاط الدم من منقاره، وسحب حسرة من القلب ثم قال:

أفتح عينيك أيها الأفندي، نحن جيل القرن العشرين، لم يعد هناك عبد ولا سيد بعد اليوم، كل واحد يملك حريته، ارم هذه الفكرة الهرائية من رأسك. لتر عيناك ضياء الشمس، أنا اليوم أطالبك بدماء تلك الفراخ غير المذنبه)، جرت محادثة قوية وطويلة بين الأثنين من Murxan الطيور، كنت أنتظر بشوق ورغبة إلى حكم حضرة جناب الحاكم، لكن للأسف، ايقظني بكاء طفلي الصغير الذي تجاوز الستة أشهر من النوم.

انذاك كان اليوم يصدر صوته فوق جدار مهدم، وفي واد عميق وبعيد، أيضاً كان الهدهد يصدر صوتاً حزيناً وأنيباً.

الجديدة 1943/10/27

* جريدة روزانو العدد 39 السنة 1944 الصفحة 4.

الثعلب الماكر

علق ثعلب، طبلاً في رقبته، وقف أمام منزله، قرع على الطبل وقال: خبير عظيم... عرس كبير... برنامج عجيب... لعبة الفئران... معركة السلحفاة... غناء الشحرور، هيا انهضوا! لاتدعوا فرصة غنية ومتنوعة أن تفوتكم، تعالوا... تعالوا... (صوت الطبل، دم... دم... دم... دم) الدخول للصوص والحجل مجاناً، هيا انهضوا...

سمع حجل وصوص صوت الطبل وجاء. قال الحجل للصوص:

- تعال، لنحضر هذا الاحتفال، لأنه لايتطلب نقوداً.

عندما دخلا قال الثعلب:

- هيا تعالا... تعالا... سأكلكما، وقعتما في فخى.

بدأ الحجل والصوص بالبكاء وقالا:

- اعف عنا أيها العم ثعلب.

قال الثعلب:

- فالיום لايمهم، يوجد لدي فطور وعشاء، سأكلكما غداً.

وضع الثعلب حجراً أمام باب المنزل ثم خرج يتجول.

أزاح الصوص والحجل بمنقاريهما الحجر من الباب، خرجا ثم هربا. قال الصوص للحجل هذه المرة!- لن نخدع ثانية.

* القراءة الكردية، 1938، الصفحة: 45.

• وصلتنا هذه القصة الفولكلورية للكاتب قدري جان من الاستاذ عزالدين ملا - مشكوراً - .

شعر

كم هي جميلة

كم هي جميلة هذه الحياة
بين الأهل والأخوات،
وهل القلب لا يئن
من جروح الرماح،
هذا الجرح جرح الرماح،
يثقل كاهلنا
وبلا كبد وفؤاد
أخوات الفاجعات
هذه صرختنا
والنوم ضرر وبلاء
نحن لا نشك أبداً
في نصائح الخلان.

* مجلة هاوار، العدد 1 السنة: 1932، الصفحة: 6.

مواساة (1)

إلى ترنم وصدى بدرخان

1

قم وانظر لحظة فيما حولك

انتظرنا كثيراً، طال نومك

كبير أنت، أيها الفتى الجميل

انهض يا بدرخان، هيا انهض

2

استيقظ اذن فالوقت جميل

أرض كردستان خزينة لك

اتعرف أن نهاية النوم ضرر

انهض يا بدرخان، هيا انهض

3

تسلل الذئب الغدار إلى الخراف

ألا تعرف الخراف؟ لهجة الكورد

اصبحنا هدف رماح الاتراك

انهض يا بدرخان، هيا انهض

4

إن كانت الحياة حاقدة

فالنوم لنا ليس بفضيلة

والمأوى ليس الفراش، بل الأرض والديار

انهض يا بدرخان، هيا انهض

5

اليوم، إما نشاط أو شرف

اصبحنا عبدة أمام أبواب الكهف

لاتقل كفى، المطلب هممة

انهض يا بدرخان، هيا انهض

6

إن كانت دورة الحياة نسيماً
فالبداية خنادق وكمين
افتح عينيك الرب كريم
إنهض يا بدرخان، هيا إنهض
7

لم لاتقول ما هي الأحوال
لم نعد نصبر على الألم والأين
هيا إنهض، فالميدان لنا كله
إنهض يا بدرخان، هيا إنهض.

* مجلة هاوار العدد 6 السنة 1932 الصفحة 2.

الجداد

حداد يعمل بجد ليلاً ونهاراً
يصنع سلسلة كي لا تقطع في الادبار
يشرق وجهه في كل ضربة
تكبر أحلامه كلما تعاظمت قوته
مضت الأيام، وهو يثير انتباهي
لاتلين السلسلة بالمطرقة الصغيرة
هل يمكن أن ينكسر، الحديد القاسي - السميكة! من يشعر به
ذهبت إليه، وطرحت عليه سؤالاً
بعد سؤالتي، بردت همته قليلاً
يا عمي العزيز، رخيصة نعمتك
نقطة من عرق جهدك، دواء لي
إنتبه إليه كل مرة، المطرقة والسلسلة
أصبح همه مرضاً، لا يمكن ذكر شيء
إلى متى؟ تطرق الحديد وتصرخ
تتحمل ذنب الحلقة لتصنع السلسلة
جئت على الرحب يا فتى الزمان
أنا الذي أنتظرك، وها أنت أتيت
لم يأت راغب حتى هذا الوقت
لم يقل ما هذا الصراخ والتعب
استمع يا بني، من الأفضل أن تظهر
إن أخفيت عنك سرّاً، فهذا جزائي
فرض عليّ آراء الاسلاف - الأجداد
قالوا كثيراً، فلتمطر عليهم الرحمة
هم قالوا: من لا يصبر يبقى عطشان بلا ماء
كالذي يحفر الجدول بالأبر

إن جهدي وعملي من نصائح الأجداد
إن لم ينته اليوم، فغداً سيسهل عمله
دون أمل لآحياة، هيا شمر عن ساعديك
لا تجهد نفسك كثيراً، ولاتئن من أجلي
لنضرب بيد واحدة، ويصبح الصديق ذو الجلال
ليكن طوق الأسر فولاداً صافياً
لنتخلص من لعنة الطوق، ومن الأسر
عندئذ فليتنظر، إما أن نكون ذئاباً أو خرافاً

* مجلة هاوار، العدد 7 السنة 1932، الصفحة 4، 5.

في صحراء

أنا وصديقي نمشي في الطريق
لمن جئنا وإلى أين نذهب؟ لانسأل
نعرف أننا مسافرون منذ الأزل
كلما مضى الوقت، وجدنا أنفسنا خارج المجال
اهترأت احذيتنا في أقدامنا، وتمزقت ثيابنا
طالت أظافرنا، وجدلنا شعرنا
فالأشياء التي كانت معنا، بقيت كما هي
الدلو، والعكاز مازالا صديقين لنا
الأشواك القاسية، تغرز أحياناً في أقدامنا
آلام الأشواك تلف قلوبنا
عندما يحل الشتاء ترتجف الاجساد العارية
وعندما يحين الصيف الحار، فلا تفيد الشكوى
تُجدد أجسادنا تدريجياً بشرتها الناعمة
يفهمون تماماً أنفسهم إن أرادوا أم لا.
هكذا نمشي دون وعي ولا شكوى
طريقنا الأبدي، نتقدم إلى البعيد البعيد
* * *

في يوم ما، لم نملك قدرة المتابعة
لا القرية ولا القرويون يفسحون المكان
لم يسمع صوت من بعيد
استمع إلى الصوت إنه صوت أنين عميق
احببت أن أقول: اسمع أيها الصديق
سمع هو أيضاً وقال: أيها الرائع
ما هذا الصوت الذي يئن؟ ترى في أي مكان يطن
قد يكون مثلنا قاشاً يابساً تذرره الرياح

هكذا بدا أنه كان صديق الآلام والجراح
كردياً سيء الحظ، يصرخ، طالباً النجدة
قلت له: ماهي احوالك يا أخي؟
لماذا اتكأت على الأرض تئن هكذا؟
رد علي وقال: مصيبي كبيرة
وقصتي طويلة، إن كتبتها فتصبح رواية
أنا من كورد (سرحدا) و(ملاز كورد) قريتي
خرجت منذ سبع سنوات برغبتي
لغتنا هي السبب، صارت لي مصيبة
جاء رجال شرسون يقولون لهم: أتراك
منعوا لغتنا الجميلة بالقوة
وفرضوا علينا لغتهم العوجاء المحشوة
كانت جريمة كبيرة، ألقوها بالكردية
لمن هذا التجاهل؟ السجن والنفي والأذية
إذن لم يكن غير هذا، فجهزنا نحن بعضنا
هجمنا على الأعداء وأسرعنا بأحصنتنا
لكن، القدر لم يحالفنا، وبقينا ضعفاء
كقبضة حمص ارتطمت بالصخر بقينا بلا أصدقاء
ضاع والديّ
- ارتمي صديقي الأول عليه -
ألم تعرف أبداً أين توجهوا؟
أيها الأخ زنار لم لاتعرفني
أنا أخوك فرزند، نحن من أب وأم واحدة.
تعانق الأخوان والآهات ترتفع والدموع تنهمر
اهتزت الأرض والسماء، واشتعلت النيران والاشياء تنصهر.

* مجلة هاوار، العدد 10 السنة 1932، الصفحة: 4، 5.

التابوت المدمى

- وفاة الشيخ عبدالرحمن الكارسي -

انظر إلى الأرض، أرى بقع الدماء
ماذا أرى أي أثر أقتني
الأشجار والأحجار كلها في حداد
دون وعي يصدر مني صوت
تابوت بين غيمة الدماء
سحبته الملائكة إلى السماء
سرت في اوصالي رجفة ففزعت
تعالى صراخي وأسودت الدنيا فهزعت
فالتابوت، تابوت عبدالرحمن
كان ضيفاً على هذه الدنيا الفانية
إن ترك الحياة، فالجنة مأواه
فرح جميع الكورد برحمته وأنا
ألف أسف عليك أيها الشيخ عبدالرحمن
جميع الكورد مهمومون بموتك
اعزف على وتر النجدة
فلن أرتوي من تلك النجدة
لم نر شهادة هكذا بلا عبوة
إن الجناية والخيانة رقيقة
في سبيل امريء صاحب الحماية
انا أدون تاريخ يوم عزائك.

* مجلة هاوار، العدد 11 السنة، 1932، الصفحة، 6 .

جگر خوین

عندما كنت أفقد الوعي
وصلتني البشرى تقول: اقرأ
أنا الملطخ، أنا الذائب
رأيت أن البشرى باسم جگر خوین
* * *

صديقي العزيز يمدح قريتي
يقدم لي الآهات والحسرات
جمرة نار تكويني من جديد
فالآلام والأمراض هراء يا جگر خوین
* * *

جميلة ديريك وتستحق المدح
ماذا أفعل، لا يمكن ادراكها بسبب السفح
مجروحون في القلب كورد هذا الجيل
لا أنا ولا أنت، بل الجميع يا جگر خوین
* * *

أليس أشجار البلوط قليلة في (معدن)
(عثماني) و(سيورك) و(موش) و(سرحدان)7
من جبال (طوروس) إلى سهول (روان)
كلها غابات، اعلم جيداً يا جگر خوین
* * *

أعرف أنك تعرف، أن الوطن جميل
هناك بعض المدن لاتراها بدلاً
فعرزة النفس للفتى الشجاع الأصيل
لوراها بعين شعر جگر خوین

⁷ بلدات كردية.

* * *

لتكن سليماً أيها الصديق وأفعل ما يحلو لك
بلاد الجنة دائماً بالحنها العذبة
اعزفها بأصابعك الناعمة
كي يعرف الجاهل أنك أنت جگرخوين.

* مجلة هاوار، العدد 12 السنة، 1932، الصفحة، 2.

حلم اليقظة

آه يا وطني... آه يا وطني
أشرقت عليه شمسنا بسرعة
كيف حال الأب والأخوات
لماذا لم نسمع منهم خبراً
حلمت الليلة حلماً مزعجاً
تفضل اسألني
إن بدأت مرة
فسترى كيف أنني حريص
رياح شمالية سوداء قادمة
تعصف في أذني
دون بكاء قدّمت ورقة حمراء
تتضمن الورقة شعرتين فقط
ذهبت إلى عرافة
قلت لها: افتح لي فالاً
قدمت روحي وجسمي
أوجدني دواءً لدائي
نهضت العجوز من أجلي
وضعت أمامها كأس ماء
تمتمت على الكأس ونظرت إليّ
ثم طأطأت برأسها
فالورقة ملطخة بدماء الأخوة
والشعرتان كانتا من شعر اختي
معانيهما عميقة
بدا من فال العجوز
أن اخوتنا قد قتلوا

واغتسلت بدمائهم
أرسلت الأخوات شعرهن
يعني (لماذا جلستم)
جسمي يؤلمني اليوم كثيراً
أعرف تماماً ما السبب
ماذا أفعل ليس هناك دواء
ولا حظ إلا الحظ الأسود
الدواء الذي اكتشفه
أنعشه بألمي
للعشاق الذين مثلي
أسود صفحات هاوار
قل يا قدرتي والأنين
اعقد السواد واجهش
لم يعد يوجد شرف واحترام
ما هذا المرض وما هذه الحال.

* مجلة هاوار، العدد 13 السنة: 1932، الصفحة: 11

الأم

ربيع حياتي خريف دونك يا أمي
والجنة حرام عليّ دونك يا أمي
تتأخر فراخ الحجل العرجاء عن الأسراب
إن كنت أنا فرخ الحجل ولم أبك
فهل يجوز يا أمي!
لا تتألّمي بعمق أيتها الأم، لم تترك لي الكبد
تركت مكان الضحك والزغاريد بالآه والأنين.
يرعبني البكاء، ويدمر الصدر والظهر
ينبعث الدم الوسخ أين النوبات يا أخي
كل ما بقي بعض من الأغراض والآثا
اربط جراحك باحكام
يصنع اطباؤنا الدواء لك
البعض منهم سكبان، ومنهم نافذ⁸ يا أمي
لم تبق دعوة إلا وقبلناها، إن كانت
نظيفة اليد أم لا
وقال كل من رأى وضعنا: (شحاذا متسول)
هيا تحمل هذا الألم والبؤس، ولا تغضب
لم يبق عقل ولا شعور، ولم يحافظ يا أمي
أقسمنا إن وجد الطعام والشراب أم لا
لم نستطع أن نبتلع لقمة واحدة بسهولة
رؤيتك ميسرة لم تكن صعبة
كل أيامنا وأوقاتنا صيام وحمية يا أمي
انهم خجل من شدة أخطائهم
لا تثن كثيراً، ننتظر منك الأمل
من عيوننا الذليلة تنهمر دموع الدماء
لا تبذر المرض أرجوك أيتها الأم باكية

* مجلة هاوار، العدد 14 السنة:1932، الصفحة: 3

جواب الفتوة للأُم هاوار

أمي، أمي يهاوار
فرحت كثيراً
وضعي جيد الآن
إن بقي الوضع هكذا
يزداد قاموسي دائماً
يتجمد الجليد هنا
يقول العم (هرجو):
لم تترك هاوار المدح
وامراء عشيرة كويان
يأكلون بشراهة
مع هذا العدم
أقدم تحياتي
يفعل الأخ (بوز)
نحن جميعاً كورد
عدت إلى وجهة نظري
توسع صبري كثيراً

سظرق الأتراك منها الغذاء
لأجلك أصبحت سائلاً
هذه الأرض خزينة لي
فلن نجد خسائر بعدها.
ويتعاضم كل يوم أبداً
يقص المقص القماش
قل للأُمير (جلو)
ورحل كل من كان صالحاً
مجموعة الفرسان المشاة
يجب أن يكونوا غرباء
مع هذا العدم
بشكل عشائري
لا تكن طليعيًا لنا
(دم الاتراك مباح لنا)
إلى فكري وهدفي
بكلام والدتي.

* مجلة هاوار، العدد 20 السنة:1933، الصفحة: 11

رسالة

. مهداة إلى شباب الجزيرة .
إن كنت بعيداً عنكم اليوم
فقلبي معكم كما كنت
تعرفون لما ابتعد عنكم
لا بد أن كل ذكي يعرف الخبر .
لا أريد غرام عطر الشام
فالأمراض قد تغلبت عليّ
صديقكم أنا، وإن كنت بعيداً عنكم
يزداد نصيبي من الألام
الأيام التي كنت أقضيها معكم
لم يذكرني بالأيام الماضية
رؤية (ماردين) و(برج البلك)
والله لن استبدلها بالحجر الأسود
لن استبدل ظفر واحد منكم
بألف زبير وعمرو
من الذي ألومه وأعاتبه؟
محتلونا راكبو الحمير
فليعرفوا أن لي يوماً سيأتي
وسيخرج من غمده القلم
عندئذ سينال كل ذي حق حقه
فقوة الكلبة من جرائها

1943/3/18

* مجلة روزانو العدد 1 السنة 1943 الصفحة: 2

مرثية

- إلى روح محمد سيّدا -

ربيع عمر الشباب كان بلا ورود ولا أزهار هذه السنة
براعم شجرة الفتیان لم تفتح بل تحولت إلى جفاف
ما هذا الحلم الفجائي الذي فرّقنا دفعة
ياليت كنت تعرف ياليت، أصبحنا بعدك شاحبين
روحك تتطلب كثيراً من البكاء والنواح
أسف على شاب، رفيع القامة وسيم المحيا
وفي لاصدقائه، محب لوطنه
لم أر في العالم أبداً صديقاً أفضل منك
تحياتي من بعيد على قبرك وجبل (جودي)
وأقدس من ماء الزمزم، نهر دجلة الصافي
إن كنت تتحسر على الأب والأخوة تحت التراب
فأنا بقيت وحيداً على الأرض، وأنين القلب
لا تتأسف على هذه الدنيا، لا. لا يا أخي
فانية لا نهاية لها، ولا تندم يا أبا جمال
إن مت مرة أنت، فنحن نموت يوماً مئة مرة
من شدة ظلم الزمن أصبحنا مجانين وبكماً
الموت أفضل من هذه الحياة المشردة مائة مرة
لم تسمح العبودية أن نقتنص الفرص
إن استطعت أن تلتمس من الله باسم الشباب
قل له بعتاب وشكوى: (كفى هذا الحال).

* جريدة روزانو، العدد 18 السنة 1943، الصفحة: 4

الطريق الجديد

تلك الستارة السوداء
مظهر من الليالي المظلمة
أنا... سحبت عن وجهي
ومزقتها عن ناظري
ورميته...

رميتها وراء الجبال
وراء آلاف البحار
غسلت اوساخ اذني بماء زمزم جديد
وقتلت جراثيم جسمي بدواء جديد
* * *

ذلك الصدأ في الرأس
الذي يمتص دماغي
أنا... اقتلعته من الجذور بالسكين
وأحرقته بالنار
ثم نظفته و(طهرته)...
نظفت منه رأسي
رميته من بابي
بعين بلا ستار، وأذن غير متسخة
أغذي الطريق الجديد بعقل غير صديء
* * *

ذلك العفن الطفيلي
الذي يرمى في القلب
أنا... أقتلته من جذوره
دمرت عشه...
ثم بددته...

في الأيام الماضية، والحقائق القديمة
للأصدقاء غير رفاق الدرب، حيّ في المرة الأخيرة

* * *

تلك الأوراق المهترئة، مزقتها من دفترتي
في صفحة جديدة، جمعت آيات جديدة

* * *

إذن... برؤيتي

وسمعي

بارادتي وعقلي

ومسيري أيضاً

معتنقاً

أصبحت انساناً جديداً، مريداً لدين جديد
وشيدت في مدينة قلبي قاعة جديدة.

1944/5/25 الشام

الأسد قادم إلى الوطن

الأسد قادم إلى الوطن
الأسد قادم إلى الوطن
أشرق يوم كردستان
بشرى لكم، بارزاني قادم
* * *

لا صوت لجبال زاغروس
لا لون للحدائق والبساتين
لا معارك في الوديان
الأسد قادم إلى الوطن
الأسد قادم إلى الوطن.
أشرق يوم كردستان
بشرى لكم، بارزاني قادم
* * *

بشرى لتلك الأماكن و
للريحان والورود والسنابل
على الجبال، في القلوب
أشرق يوم كردستان
بشرى، لكم بارزاني قادم
* * *

تحررت (السليمانية)
وغداً سيأتي دور (موش) و(وان)
(مهاباد) و(سنه) و(بانه)
أشرق يوم كردستان
بشرى لكم، بارزاني قادم
.....

* * *

سوّدوا وجوههم
أدموا قلوبنا
من أئداء امهاتهم
سحبوا خناجرهم

* * *

من ساحة الشرف
كالنعالب هربوا
بأسلحة اعدائهم
أراقوا دماء اخوتهم

* * *

لم تستمد الثورة قوتها منهم
ولم تضعف بذهابهم
لكن هذا الانقسام
جعلنا أضحوكة العدو

* * *

أصبحوا اليوم بزاقاً
ينفخون على ضياء الشمس
دمروا بيوتهم
أطفأوا ضياءهم

* * *

في تاريخ الوطن
لهم مآثر عظيمة
من ثورة كردستان
مزقوا صفحاتهم.

* * *

عاشت ثورتنا

ستعيش ثورتنا
بارزاني وجنوده
أحيوا الآمال الجديدة .

سيد آخر الزمان

صديقي...!
عدو جلدتي...
بكوات آخر الزمان
تلك السلة التي انزلتك
من السماء، لن تعود للهبوط أبداً.
تفسخ حبلها
وانقطع في منتصف الطريق
سقطت
وقعت في البحر الأحمر
وصار البحر الأحمر
قبراً
البحر الأحمر كفن
لفرعون وبعض الآلهة الصغيرة
موسى ومريدوه جميعاً
اجتازوا تلك البحار
دون جسر، ولا سفينة
تحرروا من الظلم
والحيف، غرق هناك
فرعون، ورقص عليه موسى.
* * *

نمرود الصغير
يرهبنا بالنار
ينفخ في القربة الفارغة
يا... قديم الزمان
ايماننا راسخ

وقوة أذرنا
أقوى من إيمان إبراهيم
ليست أقل منه
أعرف هذا
يا رسول اللص
صديقي...!
عدو جلدتي
سيد آخر الزمان
وتلك السلة التي أنزلت
من السماء لن تعود للهبوط أبداً.

* * *

العظمة...
ليست بالامتلاكات والأموال
ولا بتراث الأسلاف
العظمة...

في جوهر الإنسان
هي بالعلم والمعرفة
نعم، نحن فقراء بالأوطان
لكننا، أغنياء بالمناقب
أغنياء بالأفكار
صديقي...
عدو جلدتي
سيد آخر الزمان
تلك السلة التي أنزلت
من السماء، لن تعود للهبوط أبداً

* * *

قصرك الفارغ من البداية

الذي حفرت أظافر العمال
الملطخ بالدم
والجروح
شيدته، وتحت سقفه جلست
كثير من الفقراء ماتوا جوعاً
سينهار على رأسك
ولن تتأثر لوضعك
لكن، نحن نريد
ونتمنى من أعماقنا
أن نعمل بسرعة
أطفالك الأبرياء
عددهم تسعة أو عشرة
أنقذوهم من تلك المحنة
وجهوهم إلى الطريق القويم
الطريق الصحيح
طريقنا
هذا هو إيماننا
حطموا السلاسل
حققوا الهدف
القرن العشرين
قرن التاريخ القديم
يقول:
قل، لالتفت إلى أساطير العفاريت
لا تتأخر عن القافلة
قافلة الحضارة
والمدينة
الإنقاذ...

بداية ونهاية الفلسفة
فلسفتنا
ها هي
الدين... والمذهب، والايمان...
ليكن الانسان إنساناً
صديقي...
عدو جلدي
سيد آخر الزمان
تلك السلة التي انزلتكَ
من السماء، لن تعود للهبوط أبداً.

الشام 1942

* مجلة رونا هي، العدد 5-6 السنة الأولى، 1961، ص 33، 34.

الوردة الحمراء

الوردة الحمراء
ارتفعت إلى العلياء
فاح العطر حولها
الوردة الحمراء
الوردة الحمراء
انتعشت وراء جبل قاف
احبها العالم كله
* * *

الوردة الحمراء
جميلة لنا
منحتنا العقل
شذاها نشوة لنا
سنفرح بها بحرية
* * *

لطيفة
مفرجة الهموم
مزينة
وردة دون شوك
بين رياض (ايرم)
* * *

الوردة الحمراء
نتحلق حولها
نجتمع
نشمها
واحداً تلو الآخر .

الوطن مئخن بالجراح

الوطن مئخن بالجراح، لا وقت للأساطير
أمام الناظر مشانق، لا وقت للغربة
ياحضرة جناب پیره میرد، يا صاحب التجارب
لماذا أنت مهموم، لا وقت للثمل
أيتها الفتاة من چمچمال، الفتاة الكردية، المغناجة
لا تنني دائماً، لا وقت للدموع - للبكاء
أيها النالي المجنون، مفتون أنت من أجل قبلة
لا تقلل من شأنك، لا وقت للتضحية
الوطن مئخن بالجراح، المشانق أمام العيون
لا وقت للعشق، ولا وقت للسكر

*مجلة گه لاوین، العدد 8 السنة 8 آب 1947.

قائد الكرد... البارزاني

بارزاني...

بارزاني...

في معارك الوطن

في ساحات النضال

أنت البطل المغوار...

الشجاع...

أنت...

أصبحت...

حامي كردستان...

أرسيت بنيان كردستان...

أفضل

وأكثر

شباباً

من ذي قبل

بارزاني... بارزاني...

بارزاني... بارزاني...

من

لا يعرف

هذا

الاسم؟

كل من رأى

كل من سمع

في الشرق

في الشرق الأوسط

في الشتاء والصيف
من يحارب؟
من يناضل؟
يواجه عدة دول
أعداء الأمم
عدة دول استعمارية
من له هيبة وقوة؟
من يقف في وجه الاستعمار؟
* * *

عساكر نوري السعيد
ترحف كالجرذان
تحاول
تجاهد
أن تصطاد
ذلك الأمير
ذلك الأسد
جنود الترك وإيران
وطائرات ترومان
لم تستفد أبداً
ولم تحصل على شيء
أيضاً على الجبال
وفي الساحات
يتحدث
يحارب
بارزاني...
بارزاني...
* * *

هزم الجحافل
حطم آلاف الكمائن
في كل الأماكن
كالرعد والبرق
يلمع ... ويتوهج
ينخرط في المعارك
كأنها العرس
يجتاز الحدود
يخرق الجنود
عندما يصبح له رغبة
يغادر العراق
يجتاز تركيا
إلى شمال كردستان
يصبح سهماً
يشن هجوماً على إيران
هؤلاء العجم اصحاب الحشيش
والأفيون
يمسكون عن الغليون
يصابون بحمى الموت
ويقولون:
مرة أخرى
ظهر قابض الأرواح... بارزاني!
* * *
أيها الأخوة العجم
يا أخواني العرب الشامخون
واخوتي الديمقراطيون الاتراك

(الاحوة، قارداش*، برادر**)
نحن اخوة وجيران
أعداء الامريكان
الانكليز... الانكليز
حذار لاتكونوا اعواناً لهم
قائدنا البارزاني
ليعلم كل واحد
زعيماً للأحرار
من المشهورين الأحرار
هيا تحركوا
حواله اجتمعوا
قولوا: عاش البارزاني
منقذ الانسانية

1948 الشام

*حصلنا على هذه القصيدة من كتاب الأخ السيد مسعود البارزاني (البارزاني والحركة التحررية الكردية).

*وجدنا في نسخة أخرى بالأحرف اللاتينية من قصيدة (قائد الكرد البارزاني) هذا المقطع بعد المقطع الأول.

منذ السنوات

منذ الأشهر

عساكر نوري السعيد

ثم يأتي المقطع الثاني

من

لا

يعرف

هذا

الأسم ؟

.

.

.

من يحارب؟ من يناضل

سوى هذا البطل المغوار!

° تعني الأخوة باللغة التركية.

** تعني الأخوة باللغة الفارسية.

عوضاً عن (هزم الجحافل) في المقطع الثالث يضع في هذه النسخة:
هزم الجيشين
بدلاً (والأفيون) يضع:
قلوبهم خائفة.

عزاء القاضي محمد
(عزاء رئيس جمهورية كردستان)

يا للأسف
يا للأسف
يا للمصيبة الكبيرة
جرح بلا دواء
أنين من القلب
صرخة من الأفواه
ألف آه، وألف نواح
تنهمر الدموع من عيوننا
دموع الدم
تنساب مدراراً
* * *

يقولون إن الفرس - الغدارين
مدمني الأفيون
بأيديهم القدرة
نصبوا مشنقة الموت
قدموا رأس القائد أولاً (القاضي)
ذلك الموجه بلا نظير.
مع بعض وزرائه
سحبوه إلى المشانق
رفعوه عن الأرض!
في أفواههم الغلايين
في رؤوسهم الأفيون
قطعوا أقدام الأسود
أفعالهم منذ الأزل خيانة

وقتل وخذاع واضطهاد

* * *

لن تلقى خيراً يا جون بول
الانكليزي.

للغدارين اولئك

أحضرت لهم هذه الخدعة

وجهك الأسود

أيها الديوث

يا عديم الشرف يا ترومان

تكفي طائراتك

أذريجان وكردستان

فقد جعلت أطفالهم

وعائلاتهم دخاناً

* * *

استبشروا خيراً من الانكليز والامريكان

من الغدارين العجم وسلاطين الاتراك

إنهم يستطيعون قتلنا

لديهم المدافع والقنابل

يبيدون الأطفال والعائلات

لديهم الطائرات...

ليعلموا أنهم

مهما قتلوا الكورد

ستعيش الكردية

إن بقي رجل وامرأة.

سيأتي يومنا دون شك

يوم الحقيقة

في تاريخ البشرية

ويظهر صاحب الحق

* * *

يا شهيد كوردستان

يا إماماً مشهوراً

إن قتلك العدو

فسيبقى اسمك

الرائع إلى الأبد.

كلما كانت أقدامكم

تتأرجح على رؤوسهم

فروحكم ترتفع عالياً

أكثر نحو السماء.

نعرف...

أنكم لن تخافوا من أحد أبداً

وعلى أعواد مشانق الاعداء،

نعرف

كم كنتم تسخرون

من مشانقهم

وقنابلهم الذرية

لهيها من قلوبنا

لا يمكن أن تبرد أبداً

ولا تنطوي اكتافنا

أيها الشهيد الأبدى

مع ألف السلامة

احمل تحياتنا لهم

كلنا مسافرون في هذا الطريق

سيعيش اسمك

وستعيش كردستان

في روحك
تُحيي التاريخ والروايات.

1948 الشام

ذاهب أنا إلى موسكو

كلهيب النار في قلب متعبد يذهب إلى الحج
كحماس عاشق يذهب للقاء حبيبته
كعناد طفل يتسلق صدر والدته
أذهب إلى موسكو
فمي وقلبي يسبقاني دائماً
اطفالي الثلاثة يجتمعون حولي
يطلبون مني هدايا من موسكو
* * *

ركبت السفينة
مع خمسمائة صديق
كل واحد منهم أكثر تحمساً مني
البعض منهم عرب
والبعض أيضاً جراكس وكورد وأرمن...
فالجميع قلب واحد ولغة واحدة
لغة الصداقة والسلام
يذهبون كالأخوة إلى موسكو
بالاغاني والدبكات والرقصات
بعددهم الكبير
ومع أمواج واسماك البحار
هكذا وصلنا إلى الدردنيل
ثم إلى اسطنبول
موطن ناظم حكمت
اهتز ناظم حكمت الطفل
في ذلك المهد
والدته الرحيمة هناك

تغني لناظم الطفل أغاني الحرية
صوت ناظم حكمت الكبير هناك
أطلقه أمام الاستبداد
هذا الموطن اليوم حزين
لابتعاد ابنها المضحى
والوفي... إنه يئن...
تحت أقدام أمريكا وبائعي الأوطان
* * *

وصلنا إلى اوديسا
محشر الأخوة
انت مجموعات، مجموعات من الناس، نساء ورجال،
عجائز وأطفال ينتظروننا
تجمعوا وتجمهروا
نشاق إلى بعضنا
احتضن بعضنا بعضاً
تعانقنا مع بعضنا
تنهمر دموع الفرح والسرور
من العيون على الوحدة
صوت (عاشت الصداقة والسلام)
يرتفع إلى السماء
كان هذا في كل المدن
وأيضاً في موسكو
في وطن الجنة
أناس كالمملوك
قلوب صافية
مبتسمة
وجوه مشرقة

لا أعرف كيف تبحث أبادي النازية
الحمقاء عنهم!
التحية، بعدها هم... لكن سحبت أقدامها
سحبت أقدامهم منها،
هذه هي المعجزة...
عندما تطاول العدو
على هذه البلاد
تحولت خراف البلد إلى محاربين
* * *
وصلت إلى موسكو
كلهيب قلب زاهد يصل إلى الحج
كحماس عاشق قد وصل
إلى حزن حبيبته
كهيجان طفل ينهض إلى صدر والدته.
أنا وصلت إلى موسكو.

1957/7/26

القمر الأحمر

القمر الأحمر
علامة السلام
ارتفع عالياً
بشرى للصدقة
وصل إلى القمر ونجوم السماء
خرجت ...
دعوة للسلام والصدقة
بالفرح
بالابتهاج
أرقص معهم
في السماء
* * *

يتامى هيروشيما
و... ارامل ناغازاكي
... لايفزعون
القمر الأحمر
ولا القنابل الذرية
كالوردة الحمراء
ارتفع عالياً
تفوح حوله رائحة الصدقة
* * *

القمر الأحمر
وصل إلى السماء يتجول حول العالم
لا يرهب أحداً
بقلب أمين

يرسل لنا السلام (التحيات)
يستطيع ان يملأ داخله بالقنابل
ويهب نفسه لواشنطن
ولندن...
هيروشيما وناغازكي
دمر... لاتدع حجراً على حجر
اجمع رؤوس مشيري الحروب
حررهم من المصائب
الكورد البؤساء
العرب الفقراء
الكورد المضطهدين
هناك اناس لا ذنب لهم
يوجد تسعة أو عشرة ملايين
شخص
اناس لا ذنب لهم. للأسف
القمر الأحمر ليس قاتلاً
صنع من أجل البناء
علامة السلام
بشرى للصدقة
يعيش القمر الأحمر
يرتفع...
كالوردة الحمراء

الشام 1957/10/19

الرابع عشر من تموز

تموز.

مزقت الليالي المظلمة

مزقت الشتاء السوداء

الرابع عشر من تموز

يا أيها العيد المقدس

أنت موت للقتلة

لأفعى المستبدة

* * *

الأفعى المستبدة

تحركت

اهتزت

على أرض العراق

سحقت

تحطمت

تحت أقدام العرب والكورد

معاهدة بغداد

ذلك الميثاق الخائن

تلك المعاهدة

ذلك القرار

ذلك سم الأفعى

انياب الكلب الشرس

من لندن

أرسلوها هدية

للعلماء والسرطانات

مع بعض الدراهم

* * *

في سبيل موت طالبي الحرية
مثل الكورد والعرب والفقراء
من لندن...

نعم...

نعم...

من لندن...

أرسلوها هدية

ذلك قرار الحاكم

قضى على عملائه

ذلك القرار وتلك المعاهدة

أصبح دواء للشعب

للعرب والكورد

أكثر من ذي قبل والأكثر

للوطن

للتحرير

للأصدقاء والاخوة الخلان.

جمهورية العراق

يا نجمة الضياء

جمهورية العراق

أضيء الوطن بك

انبعث نورك ولف الكون

الى الأعلى والى الاسفل، في اليمين واليسار

الفرس والترک والكرد والعرب

مسرورون بهذا اليوم

سعداء بهذا العيد

وكل الذين يطالبون بالحرية
يفرحون لك
يا قاهر العملاء
يا صاحب (كوزي) الثقيل
قهрман...!
مرحى، ألف مرحى.
عاش حاكم العراق
مع الاصدقاء الاوفياء
حررتهم الوطن
بغداد، وجزءاً من كردستان
إلى الأمام، إلى الأمام، إلى الأمام
أشرق الشمس من زمان
كنا ننتظر هذا اليوم
نتمنى هذه الغاية
الحرية، والأخوة
السلام
بين جميع البلدان
في كل مكان، تتولد
صداقة أزلية
بين شعوب العالم
تصبح قانوناً ودستوراً
بين الأمم الصغيرة والكبيرة
من القلب والروح والكيان
الانسان، شقيق الانسان
الانسان شقيق الانسان.

الشام 15 تموز 1958

* مجلة هيووا، العدد 3 السنة الثانية، 1958، ص 49، 50.

قافلتنا

لم نكل ولم نمل أبداً
على هذه الطريق البعيدة
على الطريق الصعبة
نمضي وسنمضي
باتجاه هدفنا

على بحار الدماء
في الجبال المشجرة والادغال
في السهول والأشواك والمصائب
الوديان الضيقة والمظلمة
اجتازناها

تحت الامطار
على الثلوج
مع الرياح والهواء
في الكهوف
رأينا كل شيء
حفاة

عراة

تمضي قافلتنا
باتجاه هدفها

مع الحيوانات البرية يداً بيد
مع العفاريت وجهاً لوجه
حاربناهم
هم قتلونا

نحن قتلناهم

لم نخف

لم نفر

تمضي قافلنا

باتجاه هدفها.

* * *

وصلنا إلى جبل القاف

اقترب، اقترب الهدف

لاحت جنة الكرمانج

آه...

لن تصل بسلام

ورود تلك القافلة

تأخرت

والفقراء الضعفاء

ظلوا... عن جنتنا بلا نصيب.

الشام 1959/9/28

* مجلة رونا هي، العدد 11 السنة الأولى، 1960، ص 151

رسالة إلى إذاعة طهران

الأمان...

إذاعة طهران

أيها الاخوة الكورد منذ الازل

يا صوت الاسير

أيتها اليد المقيدة بالسلاسل

الأمان...

لا تصرخ

في سبيل كورد العراق

الكورد المتحررين

لا داعي للإستغاثة والابن

في العراق

الكورد والعرب

مزقوا معاً

جميع المعاهدات والمواثيق

المواثيق الاستعمارية

يعيشون بحرية

في الوطن المقدس

دون مرتزقة ولا جواسيس

دون آه... ولا أنين

الأمان...

إذاعة طهران

أيها الاخوة الكورد منذ الازل

يا صوت الاسير

أيتها اليد المقيدة بالسلاسل

الأمان ...
لا تصرخ
في سبيل كورد العراق
الكورد المتحررين
لا داعي للأستغاثة والأنين
* * *

أبك... أصرخ
في سبيل الإمام
لا تبك لإناس متحررين
أبك في سبيل مها باد
أبك في سبيل العاصمة التي أبيضت
أبك على التقسيم: الوطن المجروح
اذرف الدموع
من العيون
لا تبك
اذاعة كوستاخ
الصوت المدمر علينا
الأمان ...

لا تصرخ
في سبيل كورد العراق
الكورد المتحررين
لا داعي للأستغاثة والأنين
* * *

الثورة في العراق
سوّدت وجوه جواسيس العالم
الكورد والعرب أخوة
على طريق السلام

بقلب واحد وروح واحدة

حرروا الاوطان

الأمان...

لا تصرخ

في سبيل كورد العراق

الكورد المتحررين

لا داعي للأستغاثة والأنين

* * *

يا حماة الشاه

انظروا إلى الرقبة - الرقبة المشدودة

اليد المقيدة

أيها الاخوة الكورد منذ الازل

ابكوا، في سبيل داء بلا دواء

ابكوا وتأوهوا

في سبيل الارامل والاطفال

في سبيل اليتامى بلا مال ولا مأوى

ابكوا في سبيل الجائعين

ابكوا في سبيل الدموع المنهمرة

والقلوب الحزينة

ياترجمان الشاه

ابك في سبيل (وان) و(بدليس)

لا تبك في سبيل الشيطان والإبليس

الأمان...

اذاعة طهران

أيها الاخوة الكورد منذ الازل

يا صوت الاسر

يا أيتها اليد المقيدة بالسلاسل

الأمان...
لا تصرخ
في سبيل كورد العراق
الكورد المتحررين
لا داعي للأستغاثة والائين.

1958

* جريدة آزادي العدد 46 - 1959/12/18 الصفحة 3.

عيد اكتوبر

في بلاد القياصرة قبل
ثلاث وأربعين سنة خلت
اندلعت ثورة اكتوبر بزعامه لينين
رفع الكادحون
والعمال، والفلاحون
كأمواج البحر
راية ماركس
ولينين العظيم
في المقدمة
هجموا على القلاع والاسوار
التي شيدت منذ آلاف
السنين
عمل على إسكات صوت المدافع
بالمنجل والمطرقة
وانهارت المتاريس الفولاذية
الواحدة تلو الاخرى
داس الشعب
على جثث القتلة
حرروا الشعب المقيد
من أسر الاقطاعية
يحتفل جميع كادحي العالم بهذا العيد
تستمد بلدان العالم من شعاع اكتوبر
ضياءها، شرقاً وغرباً
حتى كوريا وبكين
تحول جحيم القياصرة

إلى جنة
تتناغم النجوم الحمراء في السماء مع القمر
في عصر الذرة، وسنوات
الاحلام الحمراء
يرفع فرعون رأسه
من مومياء القبر
كأسلافه يقتني أثرهم بالدم والدمار
فتح جبهة في خاصرة مصر وسوريا
آلاف من الجراح
منذ ثلاث شتاءات
يطالب محبو حرية البلاد
رموا فرعون آخر الزمان إلى السجن
صنعت اليد النظيفة الغابات
وحوّلت المتحررين إلى أمراء
تناسى فرعون نهاية هتلر وموسوليني
سنبارك اليوم رغم الجدران السمكية
عيدنا، عيد أكتوبر، فالخلاص
قريب، وليس بعيداً

سجن مزة 1960/11/7

ثورتنا في السجن

بصوت منا، هززتم السجن
بصرخة منا دمرتم القلعة
سترون ضربتنا أيها الجلادون
من خلف القضبان كسرنا هيبتكم

* * *

أرتديتم جلد الاسود كالشعالب
أخفتم أطفالنا وعائلاتنا
قالوا ربما انسحبوا من ساحة النضال
اليد المقيدة نزعت القناع عن وجوهكم

* * *

صبرنا كثيراً عليكم
كل يوم تزدادون نذالة
مسح قليل من الغضب عنكم
سفينة كرامتكم غرقت في بحرنا

* * *

رأينا البرد، ولم تبرد هممتنا أبداً
لم ننحن من شدة حمل البراميل بعد
لم نفقد بصيرتنا في السجن ليلاً ونهاراً
بقوة ارادتنا مزقنا حناجركم.

* * *

عاشت وحدة معارك الاقفاص
أصدقاؤنا يرفرفون في السماء
نحن ضياء لظلمات العالم
زرع لبنين بذور السلام.

مرثية جلادت بدرخان

أمير الكرد
ابن كوردستان البار
حفيد بدرخان
جلادت يا صاحب التضحيات...
إن كان جسمك قد أودع الثرى
فإن روحك سرمدية
تعلو إلى باربها وتحمل في ثناياها التضحية
في سبيل الوطن ومن أجل العهد والميثاق
كانت روحك قرباناً وفداءً
ولتبق في وجداننا خالداً أبداً.*

* هذه القصيدة - مرثية منقوشة على شاهدة قبر الأمير جلادت بدرخان، نظمها الشاعر قدري جان.

* حصلنا عليها من كتاب - حي الاكراد - للأستاذ عزالدين ملا.

ترجمة

شعرة بيضاء

على أثر المنفلوطي

وقفت اليوم صباحاً أمام المرآة، لاحظت شعرة بيضاء انتصبت بين غابة سوداء، لمعت كالبرق في ليلة ظلماء، ارتعبت، وكأن سيفاً بتاراً هوى على رأسي فجأة، أو كأن كائناً يرتدي البياض قد هبط من السماء وفي يده راية بيضاء يبشرنى بالموت... اعرف أنه الشيب داء بلا دواء، أو خيط من نسيج الكفن.

أيتها الشعرة البيضاء، لم أر بياضاً أكثر من بياضك المشؤوم، ولا نوراً أكثر من نورك المظلم، أنت التي تحولين كل بياض ناصع إلى سواد قاتم أمام عيني. تحولين ضياء القمر أسود، وأشعة الشمس وضياء عيني أسود، يتحول بياض إلى سواد مظلم داكن كغراب أسود. وقلب أسود وحظ أسود... أسود...

أيتها الشعرة البيضاء! من أين تسللت إليّ؟ وكيف وصلت إلى صدغي؟ بأي خديعة دخلت؟ كيف تبقيين وحيدة دون صديق أو أنيس ضمن هذه الغابة المظلمة؟ ألم تخشي من الظلام الدامس؟ كيف تجرأت واستوطنت هنا؟

أيتها الشعرة البيضاء! من أنت؟ ماذا تنوين؟ من أرسلك إليّ؟ ماذا تفعلين بين الغابة السوداء؟ أراك تتمايلين وتهمسين في أذن جيرانك وتقنعينهم أن يرتدوا البياض، هل سترمين فتنة أو معركة فيما بينهم؟ أنت كالانسان الأبيض الذي يحتل (يستعبد) الانسان الأسود وتجعلينهم عبيداً لك.

إن كنت ضيفة فمن سمح لك بالدخول؟ كان عليك أن نستأذني. وإن جئت إليّ كصديقة، فأنا لا أريد الصديق الذي يسهل طريقي إلى القبر. قسماً إنك كالأفعى السامة تبثين سمومك في من تصادفين. وتعرفين ماذا تريدن.

أيتها الشعرة البيضاء! لقد تدمرت منك كثيراً، لكن أرى من الصواب أن تبقي كما اخترت مكانك. وستبقيين كما أنت معرزة ومكرمة. وسيبقى جلالك ووقارك يسبق اسمك... ها هو رأسي أقدمه لك مرتعاً، تسرحين وتمرحين كما يحلو لك.

أعرف أنك نذير الموت، نذير تلك الطريق التي لا مفر منها، استميحك عذراً عما بدر مني من اهانات... لا يحق لي أن أغضب، ولم أر الخير في شبابي وعنفواني، كي أخاف من شيخوختي؛ ولم أتذوق حلاوة الدنيا كي تعكر مرارة الآخرة حياتي.

جئت على الرحب والسعة أيتها الشعرة البيضاء.

الجديدة 1943/3/3

* مجلة روناها العدد 13 السنة 1943 الصفحة 7.

في بلاد الزنابق البيضاء

الكاتب: كريكوري بتروف

ترجمة: قدرى جان

مقدمة

ترجمت هذا الكتاب قبل خمس سنوات بتشجيع من الدكتور أحمد نافذ بك إلى اللغة الكروانجية، كنت أتمنى أن ادفع الكتاب إلى المطبعة ذات يوم، وأقدم هذه المقالات في كتاب خاص مستقل للوطنيين الكورد وخاصة الشباب الجدد، لكن للأسف، لم يتحقق الأمل المنشود الذي كنت أنتظره حتى اليوم.

لاحظت أن السنوات تمضي كسيل الماء الجارف، وأن الصفحات (الأوراق) التي كتبت عليها بدأت تتمزق وتهترأ تدريجياً، تأكلها العث والفئران. من جهة أخرى لا يعرف المرء متى تدركه المنية، لذا كنت أخشى ألا يتحقق أملي الذي كنت أجاهد من أجله بعد عمل طويل وتعب مضمّن دام طويلاً، قد تضع المقالات أو قد تتمزق، لذلك أردت أن أنشر الكتاب كله في حلقات على صفحات هذه الجريدة (روزانو). وإن يسر الله فستضم هذه المقالات ذات يوم في كتاب، وتجد النور أيضاً.

لست بحاجة إلى أن أمدح هذا العمل، بل سيعرفه قراؤنا عندما يقرأونه أن له أهمية كبيرة لمجتمعنا. وأملّي أن يقرأه الوطنيون ويأخذوا منه العبر.

قدرى جان

العبرة من التاريخ

ظهرت فجأة قبل (50) سنة تصدعات في جدران قصر من قصور الدولة في موسكو، وكانت التصدعات ظاهرة للعيان من الأسفل إلى الأعلى، يوشك القصر ان ينهار فجأة، ويظمر كل شيء في الداخل والخارج معاً.

حضر المهندسون، وفتشوا عن أسباب التصدع، فتحوا عدة أماكن في أسفل القصر، ثم اكتشفوا أن قصر موسكو الكبير قد اهترأ وانتهى عهده ولا بد أنه سيهدم لأنه بني في زمنه على أساس (أرضية) هشة.

عندما بوشر العمل في ترميم القصر، وجدوا أن الأرض التي بُني عليها القصر، هشة، لذلك نصبت عليها أعمدة هشة، ووضعت الأحجار الكبيرة على شكل جدران، مدعمة بالأعمدة والأتاد.

لقد كان أساس البناء في تلك الفترة قوياً، كانت جدران القصر حقيقة قديمة منذ سنوات، ورغم ذلك لا يمكن أن يستمر القصر مهما تقدم الزمن، تصدعت تلك الأعمدة الكبيرة تحت الأرض لذا ... فقد ترك آثار تصدعات على جدران القصر.

قال المهندسون: ماذا نفعل جراء هذا الخطر؟ فكروا كثيراً ثم اهتمدوا إلى فكرة التخلي عن ترميم القصر، حفروا الاساسات من الاطراف تدريجياً، وأخرجوا الأوتاد المهترئة، استبدلوها بأحجار ثقيلة، هكذا غيروا وجددوا أساسات القصر... وأصبح القصر القديم باساسات جديدة، بجهود مهندسين مبدعين، ومازال القصر حتى الآن قوياً غير مهدد بالانهيار.

إن تاريخ الدول، وحياة الشعوب، يشبهان في ذلك قصر موسكو، إنه أساس انظمة الدول وأشكال إدارة الشعوب القديمة، قد يبدو للناظر جميلاً أثناء بنائه وقوياً أثناء انشائه، لكن يضعف مع مرور الزمن، وتضعف معها ادارتها وأساسها، وتبقى بلا فائدة.

قال الأسلاف قديماً: (إن المجتمعات الحديثة تجلب معها ثقافتها الجديدة) كلما مضت الأيام قدماً، تغيرت الأجيال وتجددت الانسانية. يبسط كل قرن (حقبة) معه أفكاراً جديدة، وتغييرات حديثة وتطورات تلائم الفترة الزمنية، لن يقبل، بل يرفض كل الحقائق القديمة، والأصول والعادات الماضية، يتطلب للجيل الجديد قواعد جديدة وبنية قوية.

إن كان زعماء الشعب ذوي الارادة القوية يتلقون ثقافة جديدة، ويتخلون عن الاشياء القديمة كي ينقذوا أنفسهم من الانهيار، مثلاً ترميم الأبنية، تغيير الانظمة بحكمة وترو وعدل. لاتريد بعض الدول أن تفهم، أو أن رجالها لا يريدون أن يفهموا التربية الحديثة وديناميكية الشعب،

عندها ستتدمر وتنهار جدران قصر الدولة، ويزداد التصدع، بل يتعمق أكثر في جميع أطرافه، ولا يهتم أحد به... يظهر وجه الدولة القوي من الخارج في سبيل تحقيق أهدافها، ويجب ألا يهتم المرء ولا يحترق أو يقلق لهذا الدمار والخراب. كانت إيران القديمة، وروسيا الكبيرة مليئة بالذهب والنحاس، وقد تدمرت المانيا بسمارك وويلهلمان وانتهت.

قيل في الكتاب المقدس: (وجدت بين جدران سراي حكومة ظالمة وقاهرة كلمات مكتوبة بالنار في زمن ما... Maneteki Faresi لم يفهم أحد معنى هذه الكلمات، وقد فسر دانيال الحكيم هذه الكلمات. (تشير هذه الكلمات النارية، أنه سيحدث شيء غريب جداً، يعني إن الدول القديمة ستنهيار قوتها الحياتية، ومهما يكن فإن مصيرها الزوال والانحلال).

أصبحت امبراطورية روما، والدولة البن، وسلطنته الاسبانية، وحكومة لويس الخامس عشر في فرنسا، ورومانوف الروسي، وهوهنزولرن الالمانى، وهابسبورغ النمساوي ضحايا الكوارث وفي حكم التاريخ المندثر لذلك: (Manetekel faresi).

فكروا بهذه القضايا جيداً، لا يتمرغون كالديدان والصراصير في مستنقعات أمراضهم وآلامهم. فكروا بتجديد بنية الدولة عوضاً عن هذه الأشياء ثم فكروا باستعادة تربية الشعب. يكتب التاريخ نتائج وهزائم (فجائع) لبعض الدول والشعوب، لأجل رقي وتطور عدة دول وشعوب تمتليء صفحاته الغنية بأسلوب قوي...

التاريخ علم ينقذ الانسان الذي يشبه قطيع الحيوانات من حياة النمل والصراصير التي لا شعور لها، ويظهر لهم حياة رغيدة سعيدة، ويعلم الانسانية كيفية اتقان مئات المهن، وتهيئة قوة الدولة، ويوضح لنا تربية المجتمع.

الرجال الأبطال والشعب

تمضي الحوادث الغريبة على الدول، أو يتبعون أيضاً، وتحقق بعض الشعوب الأخرى حياتها في رخاء بين الحكام. يجب ألا يرتبط الحكام والوزراء والمبعوثون بهذين المثاليين فقط، يجب أن يهتم أفراد الشعب جميعاً بهذين المثاليين.

يجب أن يعمل الرجال والنساء والشبان والعجائز والقرويون وأهل المدن، والذين يعملون بالفكر والذين يعملون عملاً يدوياً، والجميع يفكر بهذه الأشياء.

لا تتطور الدولة بقوة الرؤساء أو ضعفهم، ولا يرتبط تخلف المجتمع أو تقدمه بمعرفة الرؤساء أو جهلهم، لا... مهما كان الرئيس متعلماً أو جاهلاً، جيداً أو غير ذلك، ظالماً أو عادلاً يبقى مرآة لمجتمعه، محدود بروح شعبه، لأنه يخرج من الشعب، مثلما يكون الشعب كذلك يكون الرئيس. لذلك يقولون: (كل شعب يجد لنفسه ادارة مناسبة).

أتمنى أن تسمحوا لي، بالتوقف حول هذه الحقيقة التي لم يعرفها أحد، وأسلط الضوء عليها. لماذا رويت هذه الفكرة التاريخية والفلسفية منذ القديم، وقد حدثت مناقشات حولها. هذه هي الفكرة:

من يصنع تاريخ الشعوب؟ تجري أحداث عظيمة بين الدول والبشرية، من يطورها؟ من يقودها؟ ماذا يصنع الفرد لوحده؟ يقول المفكر الانكليزي كارليل: من يصنع التقدم والتطور، الأبطال أم تتم بخيرات أفراد الشعب وبحماس روحهم؟ تبني كارليل الفكرة الأولى وقدم لها الاثباتات. وقد دافع ليف تولستوي عن الفكرة الأخيرة.

ينشر كارليل في كتابه (الأبطال، وتاريخ الأبطال) أن مذهب الأبطال هو ثقافته، وتهذيبه.

يرى كارليل: أن المجتمع يشبه طبقة الغضار، إن لم يتدخل أيدي الصانع فيبقى بلا شكل ولا حركة. لكن الصانع والأبطال مثل سيزار ونابليون، وبطرس الأكبر، وسقراط ومحمد... يستطيعون أن يحولوا معالم الكتلة بين أيديهم، ويصنعوا منها شكلاً جديداً. جمع جنكيزخان من سهول آسيا ملايين الناس حوله، وأحتل الصين والهند، وروسيا القديمة وإيران، جعل بيتر اميسوسكي أوروبا الكاثوليكية كلها تثور، بل أقام أوروبا ولم يقعدها في سبيل احتلال القدس من الاسلام، صنع مارتن لوثر النهضة Reformation، استولى نيرون وكاليجولا على روما القديمة ودمراها، هزت سياسة بسمارك، وهونزولرن المانيا كلها.

المنقذ هو الذي يصنع تاريخ الشعوب وحتى تاريخ البشرية كلها. العقلاء والاقوياء معنوباً هم الأبطال، رمسيس ورومولوس وThemistokl ولوثر وبسمارك وآخرون. يطرح ليف تولستوي عكس

هذه الفكرة ويقول: (إن الذين يصنعون التاريخ ويدونون الاحداث والنتائج ويحددون أشكال وملامح الاحداث ليسوا نابليونيين، بل هم المجتمع (الشعب ذاته) من جهة أخرى يقول توماس كارليل: إن الشعب مثل التبن المرشوش على التراب، فالأبطال يعني العظماء كالعاصفة يهبطون من السماء يجمعون التبن، ويبثون روح الحركة في المجتمع... يفسر ليف تولستوي بشكل آخر إذ يقول: تصوروا أن سفينة كبيرة تتحرك في البحر، وتدفع أمامها شريطاً من الماء تبتعد دائماً، من يستطيع أن يقول أن شريط الماء يسحب السفينة وراءه؟ واضح أن حركة الماء تصنع من شدة السفينة، ويبتعد الماء عنها، فالقوة كامنة في السفينة. هكذا يقول تولستوي.

تظهر قوة الحركة لدى شعب ما، يتحرك لنفسه، وتبتعد الماء التي أمامها، تختار شخصاً من بين المجتمع وهو الذي يحيي حياة المجتمع.

لو أن صاحب رواية (الحرب والسلام) ليف تولستوي وافق على فكرة كارليل التي تقول أن برقاً يهبط من السماء أو فكرة البطل لكان قال هكذا: نعم، الرجل العظيم بطل، عاصفة (برق) لكن المجتمع ليس طبقة من الغضار، وليس تبناً مرشوشاً. (المجتمع) هو صاحب ذلك البرق الذي خرج من بينه (أو صنع بينه) عندما تمتليء الغيمة أو الغيوم بالكهرباء يتولد البرق بذاته. إن لم تكن الكهرباء في الغيمة، لما وجد البرق أيضاً، لاتجتمع الغيوم إن لم تكن من بخار الماء، والشعوب هكذا. إن وجد العظماء والأبطال في المجتمع يخلق البرق من المجتمع ويخرج منه الأبطال.

من خلال نظرة أولية نلاحظ أن النظريتين متضادتين. ويجب أن يختار المرء أحدهما. ترى من يقول الحقيقة كارليل أم تولستوي؟ إن هذا التضاد الموجود بينهما واضح وصريح. والصراحة أن النظريتين ليستا متعارضتين متعاكستين، فالنظريتان تكملان بعضهما. يجب ألا يقول المرء: إن كارليل يقول الحقيقة ولاتولستوي، فالاثنتان صحيحان. الاثنان وجهتان لعملة واحدة، كل واحد منهما يمتلك نصف الحقيقة.

يبعث الأبطال روح الحماس في الناس، لكنهم يستمدون الهيجان وقوة النيران من المجتمع ويحرقونها. كما لو أننا نحمل عدسة (محرقاً)، لقد صنع المحرق هكذا، مهما توزعت الأضياء على سطح المحرق، فتجتمع في نقطة واحدة. تلمع آلاف الشعاعات الشمسية في نقطة واحدة، تحرق تلك النقطة بقوة حرارتها أشياء كأوراق الصفحات والتبن والحطب، وتسخن الحجر والزجاج والحديد.

إن أبطال الشعوب يشبهون المحرق يجمع هو (شخصه) قوة ووصايا الشعب، ويشكل بهذه القوة روح ملايين الشعب، لكن إن تحول إلى غيمة، فيحرم من شعاعات الشمس، عندها لا توجد أي عدسة تذيب الثلوج، ولا تستطيع أن تسخن نقطة ماء.

يصنع السويديون الجبن من أبقار الجبال، فالرجال الذين خرجوا من بين الشعوب المختلفة والأزمان المتعددة هكذا يكونون، إنها تشبه رائحة ورود الشعوب المتفتحة حديثاً.

لم يخرج نابليون من الصين القديمة مسالماً بل خرج من فرنسا، ربت انكلترا داروين الذي قدم نظرية بعنوان (أسد الحياة). وأخرجت روسيا تولستوي إلى الساحة.

إن هذا يجري في كل زمان وفي كل مكان، لم يدفع ويلهلم المانيا إلى الحرب الكبرى، بل روح المانيا الغاصبة والمحاربة، كانت افادة ويلهلم وبسمارك وهينزبورخان نيرون وكاركال روما القديمة أنهم لم يدمروا روما القديمة. كل شعب يقدم رجلاً يستحق التقدير لادارته، عندما يأتي أحد منهم فيرتفع معنوية الشعب. هل يوجد بين الشعب شيء له أهمية أم لا؟ أم يتكون؟ يتطور وعي المجتمع أو لا؟ هل يتجه إلى نوع من الدمار؟ ويقبل بحياة فقيرة تعيسة؟

يظهر هنا شخصية كل واحد منا، ويتوضح عمل كل واحد منا. ماذا نفعل في بلادنا؟ أي دور نتخذه في سبيل اهداف مجتمعنا؟

توجد في البحار السفلى بعض المستعمرات المرجانية، يتكون المرجان من الكلس، يفرز حيوان صغير من داخله مادة تدعى (pop,p)، لا يتذكر أحد أنه يصنع من هذه الافرازات مع مرور الزمن جزيرة (مستنقاعاً) حتى أن الانسان يسكن ويستقر على هذه الجزر. أيضاً توجد في العالم الآخر مستعمرات من النمل الصغير، ويصبح النمل آفة لأولئك الناس، يأكلون مايتوفر في البيوت ويضطر الانسان أن يهجر منهم.

سنأتي هذه المرة إلى وضع بلادنا، ما هو عملنا في الوطن؟ هل يتجه هذا العمل نحو الهاوية أو للاعمار؟ نستطيع أن نضرب مثلاً لبلد صغير وفقير بأن سعادة الوطن ورفاهيته، واحترام الشعب وشرفه مرتبط بارادة الناس. إن ذلك البلد الذي يقطن فيه مليونان من السكان هو فنلندا تقع فنلندا في شمال أوربا، مناخها جاف وضبابي دائماً، يتجمد ماؤها في الربيع، يبدأ البرد والصقيع في شهر آب، أرضها قاحلة وعرة. وقد شيدت أماكن كثيرة بالصخور الكبيرة. ولا يوجد في البلد ثروات معدنية، أما الزراعة فيها صعبة جداً، ولم يتمتع شعبها مرة واحدة حرية الاستقلال بالكامل. كان يحكمها كل مرة دولة استعمارية، يطلق الفنلنديون على أنفسهم (سوم)، ويطلقون على بلدهم الجميل (سومي) أو (مستنقع).

تاريخ سومي (فنلندا)*⁹

زرت فنلندا كثيراً وتجولت فيها، وعشت في المدن الكبيرة وفي الجبال والبحيرات. حيث رأيت كل شيء في فنلندا ألعابهم وطريقة حياتهم اليومية، واحترمت ألعانهم وأغانيتهم، ورساميتهم ومسرحيتهم وأدبهم وذكرياتهم، أقول هذا بكل احترام واجلال من القلب وكلما مررت بجانبهم كنت أحتار أكثر. احترمت كثيراً وقدرت جهود هذا الشعب الصغير غير المعروف كثيراً، يوجد لدى الشعب الفنلندي شيئان يستحقان الكتابة والتوقف عندهما:

1 - لم ير الشعب الفنلندي حتى ثورة 1917 استقلاله في حياته في ظل قيادة روسيا.
2 - لم يخلق هذا الشعب زعيماً كبيراً وحيداً بعد، إنما العمل والحضارة تتأتى من أفرادها فقط.
يقع الشعب الفنلندي في شرق وشمال روسيا في الزاوية الأخيرة، يحدها من الجهة الأخرى السويد، كان الشعب الفنلندي تحت حكم السويديين حتى عام 1811، كانت معاملة السويديين مع الفنلنديين تشبه معاملة النمسا مع الصرب والبوسنة والهرسك والفولفويدينا في ذلك الوقت، أو كمعاملة الاتراك في زمن الامبراطورية العثمانية مع البلغار، كانت الوظائف الحكومية والمراكز القيادية والادارية، والوظائف التجارية والمصانع والمدارس تحت سيطرة السويديين، وكانت الوظائف المأمورية والادارية والحكام والضباط والرهبان تختار من قبل السويديين أيضاً. كان السويديون يتباهون بحضارتهم، وينظرون في نفس الوقت إلى الشعب الفنلندي بعين الاحتقار وينفس الاسلوب كانوا يزعمون الفنلنديين.

كان الشعب الفنلندي يشبه السويدي في حقوقه السياسية، لكن من ناحية الفكر والاقتصاد والاخلاق فقد كانوا أقل منهم ومتخلفين عنهم، وقد أثر هذا الوضع على دفع عجلة الشعب الفنلندي إلى الامام. كانت الوردة الفنلندية منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتى عام 1810 محبوبسة في مخزن لاتنشق الهواء، ذابلة دون رائحة. عندها لم يكن بعض الفنلنديين يعرفون سوى القراءة والكتابة.

دارت معركة بين روسيا والسويد في عام 1808 واستولى القيصر الروسي الكسندر الأول على نصف فنلندا ثم جرى اجتماع في مدينة فنلندية (Borago) دعى الفنلنديين إلى الاجتماع وسألهم:

⁹ فنلندا Finland, Suomi: جمهورية في اوربا الشرقية الشمالية على بحر البلطيق. تقع بين الاتحاد السوفيتي (سابقاً) والنرويج والسويد. عاصمتها هلسنكي. يقوم اقتصادها على الغابات (ثلاثة أرباع مساحتها) والحديد وتربية الأنعام. (المترجم).

- ستمنحك روسيا استقلالاً داخلياً، هل تريدون هذا الحكم أم حكم السويدي؟
وافق ممثلو فنلندا جميعاً على حكم روسيا (ادارة روسيا)، لذا أقسم الامبراطور الكسندر يميناً
أنه سيفي بوعده.

كان الحكم الروسي أفضل حالاً من الطرفين، لأن فنلندا ذاتها دولة فقيرة، كما تناسب
انكلترا قيادة الهند ومصر، ولكن لاتقدم فنلندا فائدة لروسيا، إن فنلندا تشبه القفقاس والقرم
وتركستان وروسيا، لم تستفد روسيا من احتلال فنلندا اقتصادياً ولا مادياً، لكن من جهة
أخرى، إن لروسيا فائدة وهي:

تبتعد عاصمة روسيا أربع ساعات عن فنلندا، إن استطاع أعداء الروس أن يصلوا أو يحتلوا
الأراضي الفنلندية في يوم ما، فسيهددون أمن وسلامة روسيا، لذلك إن استيلاء روسيا على فنلندا
كان ضرورياً من أجل حماية أمن العاصمة الروسية؛ من جهة أخرى فرحت فنلندا كثيراً
باستقلالها وحققها المعتصب.

بعد انتصار روسيا، طلب الكثيرون من سكان السويد البقاء في فنلندا، لكن ليس كما كانوا
يحكمون بالقوة. بل كمواطنين عاديين. دافع هذا الشعب من جديد في سبيل تقدم وتطور وطنه
بجد واخلاص، لقد كان الذين يدافعون عن الوطن قلائل من قبل لأننا يمكن أن نعد المتعلمين
والرهبان والاساتذة في فنلندا على أصابع اليد، لكن لم تتأثر القوة المعنوية للشعب الفنلندي بهذا
الوضع، بل كانت تدفعهم وتتعاظم أكثر.

سنلمان (Senelman)

كان هناك رجل فنلندي يدعى سنلمان (Senelman) في عهد القيصر الروسي الكسندر الأول يتزعم جمعية الثقافة في فنلندا، لذلك سنتحدث عن تاريخ حياته ونضاله.

ولد يوهان فيلهلم سنلمان في 12 أيار 1806 في استوكهولم، وتوفي في 4 تموز 1881 في دانجاري. كان سنلمان عالماً كبيراً وفيلسوفاً عظيماً وسياسياً مشهوراً، ناضل كثيراً في سبيل تطوير الثقافة القومية والأكاديمية الفنلندية التي قدمها للناس.

حاول سنلمان وأصدقاؤه أن يقدم أعمالاً لوطنه المؤلف من مئة جزيرة، وطن الزنابق البيضاء. تعهد ذلك الفنلندي الذي أراد أن يعمم هذه الحقيقة بين الفنلنديين طالما كان حياً يرزق: كانت فنلندا دائماً تحت سيطرة الاحتلال الروسي والسويدي، ولكي نقاوم الأعداء الكبار والاقوياء يجب علينا أن نرتفع بمستوى ثقافتنا أكثر منهم.

أصدر سنلمان جريدة بعنوان (Sayma)، كان يكتب لمواطنيه دائماً في صحيفته هذه الكلمات: عندما يتقدم شعبنا الصغير أكثر من الشعوب المجاورة الكبيرة والمتحضرة، عندها لن نقع في خطر ونحصل على استقلالنا.

عمل الفنلنديون سنوات طويلة من أجل التقدم والتطور الثقافي لأنفسهم، واليوم هم أكثر الشعوب الأوروبية تقدماً وحضارة وأصبحت فنلندا من الدول الحضارية والمدنية أكثر من الدول المجاورة لها ولم تعد تخاف من أي شيء.

تحول سنلمان بين المتنورين الفنلنديين الحديثين إلى نموذج مثال، ونصب له تمثال، أعلن هذا الرجل تغييراً عاماً مع بعض المحامين والاساتذة في سبيل نشر المعرفة مثل الصليبيين الذين توجهوا إلى القدس. كان يقول هو وأصدقاؤه:

المتنور ليس ثياباً أو غطاء يرتديه المرء، فالمتنورون هم عقل المجتمع، لم يمنح المجتمع لكم فرصة الدراسة كي تذهبوا إلى المقاهي والخمارات بعد الدراسة، وتلعبوا القمار (الميسر) على الطاولات والدمينو. إن المتنورين الذين يفعلون هذا هم المتنورون الفاسدون، المتعلمون هم مديونون لأنكشاف عقل الشعب، مديونون لاستيقاظ وجدان الوطن، مديونون لارادة قومية.

اوضحوا للقرويين والعمال والطبقة الصغيرة طرق الحياة كي يتمكن الشعب من فهم قوة الحياة والحفاظ عليه بشكل جيد. عرفوا القرويين والعمال في وطننا على حياة أكثر بساطة وأكثر صحة، وأكثر معقولة. علموا الشعب كيفية العمل، واجعلوا أن يصنع بيوتاً مناسبة لأجل الحفاظ على صحتهم وصحة أولادهم، جهزهم لوطن سعيد كي يعيش الرجال والنساء والأطفال مع بعضهم

بسعادة، وعلموا النساء كيفية تربية ورعاية الأطفال، علموا الشعب بأن أي عمل يجب أن يتم في وقته، ويتطلب النظام والانتظام في كل شيء، وليطيعوا حقوق الانسان، وكونوا نماذج صالحة في هذه الحقوق وكونوا مربين بينهم وبين الشعب. ليكن الوطن Suomi بيتكم، والشعب Suom عائلتكم، لتذكروا دائماً أن العامل والكادح والأرامل هم مواطنوكم، هم أخوة وأولاد عموميتكم، إن تربيتهم وتطورهم وتقدمهم يقع على عاتقكم أنتم، لاتنسوا أن أمراض المجتمع من الجهل، وعدم المعرفة، والأمراض السارية والسكر، والفقر المنتشر بين الشعب عار عليكم وأنكم مسؤولون عنها. كان المتنورون الفنلندون ستة أساتذة ومأمورين ودكاترة يقولون هكذا دائماً، ويكتبون وكان أكثرهم تأثيراً وأهمية وحضوراً هو سنلمان. كان سنلمان يتجول في البلاد ويرشد الناس، ويرتدي في الشتاء حذاءً وفي الصيف أحياناً حافياً. أينما وجد رجلاً في الجبال أو الوديان أو القرى، كان يتحدث معه طويلاً ويرشده، يوزع الكتب، ويأخذ العناوين، يرسل لهم الرسائل، ويستلم الرسائل. لم يدع سنلمان مكاناً مظلماً متخلفاً أو جاهلاً إلا وأدخل النور إليه، كان دائماً يقول: من أجل تنوير الوطن لاتكفي ثلاث أفنية - جداول، إن المناطق البعيدة تتطلب مياه الينابيع والبحيرات، هكذا يكون ظمأ معنويات الشعب، يجب أن تكون الينابيع الجديدة في كل الاماكن كيلا يعطش الشعب. أينما التقى سنلمان برجال يملكون العقل، يحاول ايقاظهم واحياء روح الحياة فيهم ومجادلتهم، كانت الرسائل التي ترسل، تنتقل من مكان إلى آخر بنفس الأسلوب، وتقرأ لأناس كثيرين، كان أصحاب الرسائل يقدرون ويحترمون مواقف سنلمان، فيعرض لهم مهام جديدة (أي يوجههم من خلال الرسائل) كان سنلمان يجمع أصدقاءه حوله في أي مكان يصل إليه، ويتخذهم أصدقاءً له ثم يرشدهم.

انظروا! كيف ينسج الحبل من نبات الجوت؟ أو نبات الحندق يحضرون أولاً قشوره الرفيعة ويصنعون منها حبلاً رقيقاً، ثم ينسجون عدة حبال رقيقة، ويصنعون منها حبلاً سميكاً، ثم يربطون عدة حبال سميقة بحيث يصبح حبلاً سميكاً جداً يستخدمونه في البواخر. إن نضالنا يشبه هذا العمل، يجب علينا نحن أيضاً أن نجتمع المتنورين الموزعين، ونصنع لشعبنا الذي يقدر بملونين نسمة قوة جبارة.

جمع سنلمان في نهاية فصل الصيف الاساتذة الذين كانوا حوله في مكان ما، صنع لهم قرصاً (كوخاً من قش القمح) انضم إلى هذه البيوت أكثر من مئة استاذ، كان المنحازون في البداية قليلاً، وقد مل غالبية الاساتذة من أعمالهم في زوايا البلاد في الشتاء، ولم يكونوا مسرورين من أعمالهم. وانضموا إلى البيوت دون موافقتهم (مضطرين) يقول البعض منهم:

من أين جاء البيت، وأصبح مصيبتنا؟ من يتذكر هموم الاساتذة؟ هكذا كانوا يتشكون. كان سنلمان يعرف كل هذه الاشياء، ورغم ذلك لم يغضب، كان ينظر إلى الانسان كطبيب ويقول لهم: أصدقائي الرائعون، أعرف أن عملكم صعب جداً، وأعرف أيضاً أن هذا العمل الشاق لا أحد يقدره من الناس، وأفهم تماماً أن حياتكم المادية صعبة جداً، لكن ماذا نفعل؟ لاتنسوا أننا نقوم ببناء مجتمع، أننا نعي شعبنا، وها نحن الآن بدأنا بهذا العمل الكبير.

نحن طليعة الشعب، نحارب جهل المجتمع، علينا أن نتحمل أكثر منهم، ربما لايحترمونا، ولا يقدرنا عملنا للمرة الأولى، لكننا سنضحي، ونقدم الضحايا، وهذا ضروري لأي مجتمع، لايجوز أن ندير ظهرنا لهم ونبتعد عنهم، أدعوا إلى ذلك الاشخاص الذين إن أرادوا أن يضحوا بأنفسهم. لاتهتموا لأخطائنا، يقولون: كما يوجد في كل قضية، يوجد بين الاساتذة كثير من القضايا الغريبة، هؤلاء يرون قضيتهم بعين حقيرة، لأنهم يعرفون أنفسهم كعمال ميامين. أنصح هؤلاء بصدق وقلب صاف: اتركوا الاساتذة أيها الأخوة، ابحثوا لأنفسكم عن أمور أخرى، كونوا تجاراً، وموظفين في المكاتب، يجب أن يكون في أماكنهم أناس لايملكون الروح والوعي، أشخاص بلا ارادة، هذا بناءً على طلبي وأملي، لقد جهز علماء الوطن لكم بعض الاجتماعات، فانقسموا إلى مجموعات حسب معرفتهم وعلمهم، وعندما تعودون إلى مدارسكم علموا تلاميذكم العلم بمتعة لاتفوقها متعة.

كي يتمكن الاساتذة من تطوير معرفتهم، التجأوا إلى الدراسة أكثر وأفتنوا أثر معلمهم سنلمان، وخلال فترة زمنية قصيرة أصبح كل واحد منهم قوة ثقافية، وأصبح مئات سنلمانات في المجتمع. لم يعلق سنلمان آمالاً كبيرة على يقظة فنلندا بمعرفة الاساتذة فقط، بل كان يجد أيضاً في اجتماع للمأمورين والتجار والأطباء وبمجرد أن يسمع بهم، كان يذهب لحضوره فوراً دون تردد ويقول لهم:

لاتنسوا الشعب، أنتم من الشعب، ماذا تفعلون الآن؟ أتدرون أنكم تهربون من أخوتكم الجهلة؟ ماذا تفعلون في سبيل يقظة الشعب، وتطوير ثقافته ورقي مستواه التعليمي والمعيشي؟

المأمور المربي

انضمت فنلندا إلى روسيا في عام 1816، واشترطت روسيا أن تصنع لهم تشكيلة أساسية. وأن تمنحهم بعض الحقوق.

وعد بل تعاهد القيصر الكسندر الأول في بيان له : يجب ان نقدم أنا والذين سيأتون من بعدي لتلك البلاد حلاً.

جرى ذات مرة اجتماع عمومي مفتوح لبلاد (لشعب سومي) للمأمورين، وكان سنلمان موجوداً في ذلك الاجتماع تحدث فيه سنلمان منذ عهد السويديين حتى زمن الفنلنديين عن تاريخ المأمورين ووظائفهم.

كان السكان السويديون إناساً طيبين يملكون الشرف، ومع ذلك فرحت كثيراً بانقضاء بلدنا المغتصب الفقير، أرى أن انقضاء بلادنا من سيطرة المأمورين عمل جميل، كيف كان وضع مأموري السويديين في فنلندا؟ كانت مصيبة لفنلندا وللسويد. يوجد في السويد مأمورون جيدون، لكن الذين كانوا يرسلون إلى فنلندا لم يكونوا بمستوى المسؤولية لأن حكومة السويد كبقية الحكومات لم تفكر إلا بمصالحها تترك المأمورين الجيدين في بلادها، وترسل إلى فنلندا مأمورين سيئين كما هو موجود بين كافة الشعوب وبين العائلات الكبيرة وأغنياء السويد أيضاً كذلك يوجد بينهم رجال لا يملكون الشرف وغير مرغوب بهم ذلك الشباب الذين طردوا من كل المدارس، وغير مرغوبين في الوظائف، وقد فشلوا في المجالات التجارية والمهنية، فهم لم يريدوا أن يتعلموا، وبنفس الوقت يهدرون ثروات آبائهم، وكان آبائهم يقولون لهم:

(لا أعرف ماذا أفعل بهذا الولد الطائش؟ بعد ذلك يعملون مع الحكومة ويصبحون مأمورين في فنلندا الآن تستطيعون أن تتأملوا الأمر جلياً: (إن هؤلاء الشباب الذين يأتون إلى وطننا، ما الفائدة منهم؟ هؤلاء الذين درسوا سنتين أو ثلاث سنوات في المدرسة فقط أو أنهم لم يدخلوا المدارس أبداً وفشلوا في أولى مراحل عمرهم المأمورون الكاذبون، لم يتقيدوا بالوظائف، ولم يتقيدوا بالدوام في الدوائر، إنما يلتجأون إلى الخمرات وأماكن اللهو والدعارة، هؤلاء هم الذين لم يرغبوا في العمل ولا حتى يعرفون سير العمل. لم يكن يفكرون بالعمل، طالما أنهم يهتمون بوظائفهم، كانوا يتبعون أمام الناس، إنهم أنانيون، يصلون إلى الوظيفة متأخرين، ويتركون العمل باكراً. إن ذهب أحد إليهم لأجل مشكلة، كانوا يتركونه ساعات طويلة واقفاً، وقد كان حراس الأبواب (الفراشون) الذين يقفون أمام أبوابهم يقولون للناس بغضب: إن حضرة جناب (غرينندا) مشغول،

لايستطيع أن يستقبلك لديه مهمة ، أما الذين كانوا يدخلون ويجتازون البواب ، فكانوا يجدون أن المأمورين يغلبهم النعاس ، ومازال قذى العين قد جف على عيونهم ، أو يسيل على وجوههم ، يراودك أنهم ديوك هندية ، ورغم ذلك لم يستطع أن يقدم المشتكي شكواه فقد كان المأمور يقول :

- لدي عمل اليوم ، تعال غداً.
- أتمنى أيها الافندي أن تجد لي حلاً ، لأنني قادم من بعيد.
- ها ، قلت لك (غداً) ألا تفهم؟
- أنا لا أملك نقوداً لذلك لا أستطيع أن أبقى هنا أكثر.
- قلت لك غداً ، هيا ، أخرج.

ثم يخرج المأمور أفندي من الغرفة ، ويذهب إلى ملذاته ، إلى الشراب الذي يفوح منه رائحة النهر العفن ، تتجمع النساء حول كل واحد ، وقد كان المأمور يعرض عليهن مبالغ طائلة كي يتمادى في ملذاته ، فمن أين يأتي المأمور بالنقود؟ كان يرتشي ، والذين يسمعون هذه الحوادث كانوا يقولون فيما بينهم : ماهذا؟ كيف يرسلون هذا الفاسق من استوكهولم إلى هنا؟ هل يستمر الوضع هكذا؟ كان الناس يتألمون ، ويتجولون ، ويشتكون ، ويغضبون ثم يقولون طالبين من الله تعالى : إن كان مأمور الحكومة يفعل هذا؟ ماذا سنفعل؟ واختتم سنلمان حديثه بهذه الكلمات : شكراً لله ، إن وضع المأمورين ليس كما في السابق ، وسينخرط موظفونا الفنلنديون تدريجياً إلى كل الأماكن والوظائف أما المأمور السويدي الجيد فنحن سنختاره.

قدروا أهمية هذه المرحلة ، أينما توظفتم ، فمنذ اليوم الأول أبدأوا بالقوانين الجديدة واتركوا أساليب الادارة القديمة. لانريد أن يبقى من تلك المرحلة الفاسدة أي شيء وليفهم جميع الناس أن الموظف الآن هو خادم الشعب ، عندما يتوقف عمل أحدكم ، لاتنظروا إليهم كأنهم ذبابات تزعج الانسان ، قدّموا لهم كل التسهيلات ، واستقبلوا الناس بوجه بشوش وصدر رحب ، صدقوني ، عندما لاينهي الرجل عمله فلا يتهمكم أن الموظف لم ينهه ، بل ليعرف أن عمله لم ينته حسب القانون والنظام.

افهموا أيها الموظفون إنكم لستم أقل تربية ومشاركة من الاساتذة ، أنتم أيضاً تعرفون من هم الاساتذة الذين لايطبقون القانون ، إنهم الموظفون ذاتهم ، فلايتعلمون القانون لإطاعة السكان ، في سبيل هذا الهدف ، أتأمل منكم باسم الدولة الفنلندية : أنتم رجال القانون ، علموا السكان تربية وإطاعة القانون ، اغرسوا روح العدالة في نفوس السكان.

لم يكن هذا الحديث، حديث سنلمان الأول ولا الأخير، بل تحدث كثيراً مثل هذه الكلمات من قبل ومن بعد.

انتشر هذا التفكير بين الموظفين، واستجاب السكان لهم في كل مكان، ظهر عدد قليل من الاجيال المتأخرة، وهم أصناف من الموظفين الفنلنديين الجدد، وارتفعت مكانة الموظف اخلاقياً، حتى أصبح نموذجاً مثالياً للعالم أجمع، يفتخر الناس الآن بالمأمورين ويمدحونهم في كل المناسبات.

الثكنة مدرسة الناس

كان يوجد قانون تشكيلي أساسي فنلندي في عهد سيطرة السويديين وحسب هذا القانون الوطني الذي يدعى syme كان للفنلنديين نقود ودراهم خاصة وكان لهم جيش. وبعد أن وقعوا تحت الحكم الروسي أيضاً حافظ الفنلنديون على جيشهم، لكن كان المأمورون السويديون يحكمون كل الجيوش في عهد السويديين، كان الشعب الفنلندي سنداُ ودعماً في سبيل احياء الثقافة السويدية.

وقعت فنلندا التي تدعى Suom تحت سيطرة الحكم الروسي، وقد باشروا بالعمل في سبيل احتلال تلك المناطق، وكي يصبحوا أصحاب وطن. بدأوا أولاً بالاعمال الصغيرة، وتدرجياً احتلوا أماكن اساتذة المدارس المتوسطة والعالية، وأختير تدرجياً أطباء وحكام وموظفون من الفنلنديين للمناصب.

تحول الجيش الفنلندي الصغير إلى جيش وطني، وكانت غالبية الأفراد من الفنلنديين في عهد السويديين، وكانت معاملة الضباط مع الأفراد كمعاملة الجيش السويدي في البلاد. فالشعب السويدي شعب بطل، ارتفعت مكانة الجيش السويدي إلى مرتبة عالية في أوروبا في زمن ريفرميشن Reformation وغوستاف، وأدولف، وكذلك في زمن بطرس الأكبر، وملك الثاني عشر، وقد كان قوة الجيش السويدي بيد الطبقة الارستقراطية. نشأ في البلاد جيل من الجنود يدعى (Kast)، وكل من كان ينتمي إلى هذه الطبقة ينظر إليه بعين التحقير وبالمقابل ينظر إلى التجار والمنتورين بعين التقدير والاحترام، وقد كان الأفراد يعيشون في ظل نظام قاس.

لم يعرف الضباط في وظائفهم شيئاً آخر سوى التعليم والاستيراد، وارتباطهم بحياة الثكنة وعلاقاتهم، وعندما كانوا ينصرفون من الوظيفة، يلتجأون إلى الشراب، ويلعبون الميسر، ويرقصون في الملاهي، وغالبيتهم جهلة لم يتعلموا في المدارس، ومنمن أنهم كانوا يتركون نهائياً المطالعة والقراءة، لم يكن لديهم أفكار وطنية ولا اجتماعية، فكانوا يعرفون كيف يتبجحون ويلفظون الكلمات السيئة - البذيئة. وعلاوة على ذلك كانوا يصرفون نقودهم، ويتجولون مع On,formeyn. دائماً، يرقصون في الصالات بمهارة، ومنهم من أصابه داء القمار وشرب الخمر، يظلمون الأفراد كثيراً ويقولون لهم: (ثيران الثكنة) ويعاملونهم أنهم فعلاً ثيران. اهتم سنلمان والشباب الفنلندي المتعلم بالجيش قدر الامكان، سيما كانوا مرتبطين بالتعلم وتربية الأفراد، أما الشباب الذين قد انهموا الليسه والجامعة كانوا ينخرطون في المدرسة العسكرية

أيضاً ويصبحون من أفراد الجيش. فقد كانت الخدمة تطول حتى عشر سنوات ورغم ذلك لم يترك الشباب دراستهم الجامعية أثناء الخدمة العسكرية.

أصبح سنلمان مترجماً مشهوراً لذلك الشباب في الاجتماعات وأحياناً في كتاباته، كان دائماً يطور أفكاراً نظرية، كيف يقضي أي شعب حضاري لم يصل بعد إلى درجة عالية حياته بين الصلح والسمت. يقاد الحقد والغربة المتبقية من الماضي القديم كأموج البحر إلى الأماكن المنخفضة وتتلاشى ويخلق في الانسان. يصنع الانسان حاجزاً كي يحافظ على نفسه، ومهما كان فالدم يسيل كالسيل الجارف.

الجيش الذي يدافع عن وطنه، ويتمترس في الخنادق هو جيش رائع يستحق الاعجاب وكذلك الجيش الذي يتجه إلى الحدود ويترك بعده المجتمع في سلام وحرية، كان سنلمان يقول لهذه الجيوش.

- الجيش كالرهبان، لسنا جنوداً، نحن نبعث روح الأمل في الاجساد التي لا أمل لها.

- أنشأنا الجيش لحماية الوطن - والذين لا يعرفون جيداً، إن حبات الرمل التي تستقر في الاجساد ويحيي انساناً له روح - إن استيقظت، وكل حبة من الرمل تضحي بنفسها من أجل حريتنا وسلامتنا.

عندما ألتقي بضابط في شارع أو في مطبعة، أو في محل أتمنى أن أسلم عليه من كل قلبي وأقول له: أخي العزيز، حملتم هذا العبء من أجل حريتنا وسلامتنا، فليساعدكم الله).

فكروا مرة، إن كل واحد من جنود الثكنة قطعة من الماس، يجتمع هؤلاء الشباب كل سنة مرة واحدة في مكان ما، ويدافعون. يحتل كثير من هذه القطع الماسية أو المدورة (الدائرة) أو المكسرة أماكنهم.

يقول هؤلاء الضباط تلامذة سنلمان: جيشنا جديد، وروحكم أيضاً جديدة. ويجب أن تكون اساليب الخدمة العسكرية حديثة أيضاً، الفرد ليس ثوراً كي يترعرع في الثكنة، الأفراد اشقاؤنا قد يكون أقل منا في الدراسة واصغر منا أيضاً. أرسلته (الأم - الوطن) لأجل التعليم والتربية إلى الثكنة. وعندما يتحرر الفرد ستسأل (الأم - الوطن) من الضباط:

- من جهزتم وكيف؟ قدمت لكم آفاً من الشباب الغر، كيف ربيتم؟ الضابط ليس شقيق الفرد فحسب، بل أستاذه أيضاً، يتوجب عليه تربية الأفراد، حياة الفرد أمانة في يد الضباط، لذلك فهو مسؤول عنهم في كل المجالات، عن صحتهم وفتح وعيهم، وعن تطور أفكارهم، جاء الفرد إلى الجيش ليخدم، يرتبطان ببعضهما بعلاقة عضوية قوية، يعلمهم الضباط نبل الاخلاق،

وآداب التعامل، وحب الوطن، لم يخف الضباط الفنلنديون الشباب من تلك الوظائف والمهام، كانوا يقولون:

- نستطيع أن نقدم الفائدة في كل الاوقات لوطننا، ليس في زمن الحرب فحسب بل في أوقات السلم نضحي في سبيل الوطن، نقدم الفائدة لوطننا في الثكنة أيضاً، كل نظرة إلى الفرد ترافقه فائدة عظيمة، لقد اشتهرت الثكنة حتى الآن بين الناس الفنلنديين أنها مدرسة للفسق، منذ القديم إن كان هناك شيء سيء كانوا يقولون عنه:

- هل أنتم تعيشون في الثكنة أيها الافنديون؟

- تفوح منه رائحة الثكنة.

- لقد دمرته الثكنة.

كان الضباط الفنلنديون الشباب يقولون عند سماع هذه الكلمات المعيبة: إن ثكنة هذا العصر جديدة، ويجب أن يكون لها أسلوب آخر، وسيكون. سنحول الثكنة إلى مدرسة للناس. حتى أننا سنحولها إلى جامعة، ليتذكر كل فرد الأيام التي قضاها في الثكنة، ويشكر حياته الأولى، ويتذكرها، سنحول الثكنة إلى كل شيء ليقول الناس:

- الحمد لله تم اصلاح حياة الثكنة.

- لقد استلم هو، الرتبة من الثكنة، كان شريفاً وذكياً ومناضلاً ونزيهاً في الجيش. هكذا عرف هدف العسكرية، فتش الضباط الفنلنديون الشباب عن الطرق والاساليب السهلة ليحققوا أحلامهم.

اعتباراً من اليوم لم ينظر ضابط إلى الأفراد كالسابق نظرة تحقير، فقد غيروا أساليب معاملتهم.

كانت الثكنة مليئة بالاوساخ في زمن السويديين، لم يستطع أحد الجلوس فيها، كان هوائها قذراً، وثياب الأفراد وسخة وبالية، وتبقى غالبية الأفراد جائعة من قلة الطعام المقدم لهم، والمرض الذي تغشى بهم، لأن الضباط والرؤساء كانوا يأخذون حصتهم ويغتصبون حقوق الأفراد ولا يهتمون بهم، لذلك تحولت الثكنة إلى مأوى الفساد.

تغير كل شيء الآن من اساسه، نظفت الثكنة بحيث أصبحت جدرانها بيضاء نظيفة، وجدد هواءها بعد فتح النوافذ، وزرعت الورود والأزهار في الزوايا، وعلقت الستائر على النوافذ ومن يريد أن يدخل إلى الثكنة عليه أن ينظف أقدامه من الأوحال أمام باب الثكنة، وكل فرد يريد أن

يتحتم في الثكنة بامكانه التحم، حتى رافقت تنظيف أجساد الأفراد مع أخلاقهم. كانت الثكنة في عهد السويديين يضرب بها المثل لكثرة الأخطاء والسيئات:

- سكارى السويديين.

- إنه يكفر مثل أفراد السويديين.

كان جميع أفراد الثكنة في عهد السويديين سكارى، لم يتركوا سيئة إلا وفعلونها يهاجم الأفراد بعضهم، يتحدثون عن بعضهم بالسوء، يقذفون بعضهم بأقذع الكلمات، وعندما كانوا يتقاتلون مع بعضهم. يشتمون أبائهم واخواتهم دون حساب، فيشتمون الانس والجن والنهار والسماء.

وزع الضباط الفنلنديون الشباب الصابون على أفراد الثكنة، وقد كانوا يجبرون الأفراد أن يغسلوا أيديهم بالماء والصابون صباحاً ومساءً وبعد الطعام، ويقدمون لهم مناديل نظيفة ثم وزعوا للأفراد فرشاة أسنان، وعلموهم كيفية تنظيف الاسنان بالفرشاة، وكذلك تنظيف اللسان من الشتائم، لم يعد يشتم الضباط أبداً. فقد علموا الجنود حياة القسوة وعدم التسبب حتى انتظم الأفراد والتزموا بالانضباط دون شتائم.

كان الضباط والأفراد يتقنون فن الشتائم فيما مضى، وكانت الشتائم في الثكنة رجولة لقد غير الضباط الفنلنديون الشباب حياة الثكنة والأفراد بشكل أجمل قالوا:

- الثكنة، مأوى عائلتنا، ماهي المدرسة بالنسبة للاساتذة والوجهاء؟ كذلك تكون الثكنة لنا. يجب أن نحافظ أكثر من النساء على تربيتنا ونزاهتنا، كان الضباط يبرهنون كل هذه الأفعال للجنود قولاً وفعلاً.

- لاتحولوا الثكنة إلى خمارة للسكارى، ومأوى للكفار (للكفر)، لاتبصقوا على الأرض، ولاتلوثوها بالأوساخ، ولاتفسدوا مناخ الثكنة بالشتائم، نظفوا لسانكم، ولاتزعجوا آذان رفاقكم بالكلمات البذيئة، فالشتائم أكثر بذاءة من عواء الكلاب، إن الشتائم تدل على الجهل إن أردتم أن تظهروا رجولتكم، أضيفوا عليها أعمالكم الشجاعة والنبيلة.

- اهتموا بالرياضة والسباحة، والالعاب والرمي، تحدثوا بين الناس، كلمات مهذبة وجميلة، لاتقرأوا الكتب التي لافائدة منها، ولاتنسوا كل ما قرأتم وكتبتكم.

فيما عدا ذلك، وبعد استلام الهدية العسكرية، كيف تتم الواجبات العسكرية، وكيف تدافع عن الوطن، كان الضابط يعلمهم كل هذه الواجبات، ويقول لهم:

- إن المكان الذي جنّتم منه، يدخل رجاله كالخلد تحت التراب، لم يجدوا حياة انسانية سعيدة، ليسوا متعلمين، ولم يسمعوا، أنتم كالخلد قادمون من هناك. إن ذهبتم مثل الخلد الى جحورهم فهذا عار عليكم، سترجعون كمبشرين للحياة الجديدة إلى هناك، كيف يتحمل جسم الانسان تلك الجحور المظلمة والضيقة، هيا ايقظوهم (أخبروهم)، أن يؤسسوا جيشاً جديداً هناك كي يصبح هذا الجيش، جيش الصلح والاعمار والمدنية.

يوجد في الجيش بعض الطوابير اشتهرت ببطولاتهم، أطلقوا على أنفسهم طابور الموت، وكل واحد كان يطلق عليه هذا الاسم، ان نهضت تلك الطوابير فلايديرون ظهورهم للموت حتى إن مات فرد منهم، إنهم أبطال.

الدافع في سبيل تطوير الوطن، والموت في سبيل الوطن، موت مقدس.

- كيف تخرثون الأرض؟ كيف تزرعون القمح وتحصدونه!

- كيف تستفيدون من حليب الحيوانات، ومن حطب الجبال؟

- كيف يقضي رجالكم أوقاتهم مع زوجاتهم؟

- كيف يربون والديهم وأولادهم؟

تعالوا الآن، سأروي لكم هذه الأشياء عند المجتمعات المتطورة، وكيف تتم، سأحاول أن أفهمكم، لماذا يجب على كل واحد منا أن يقتني على أقمشة انكلترا، وكريستال تشيكوسلفاكيا ومعلبات (سمك) فيلمنغ، وأحصنة ايرلندا، وشراب فرنسا وزبدة دنمارك ودانتيل بروكسل، والمعاطف الروسية، وكبريت وكرتون السويد.

- لماذا تصنع هذه الأشياء عندهم بشكل متقن، حاولوا أنتم وأصنعوا مثل هذه الأشياء في بلادكم.

- من سيصنع تلك؟ من يستطيع أن يعي أهله في القرى؟ من يتجرأ أن يصل إلى مكان المستنقعات.

كان الضباط المرشدين والمربين يسألون جنودهم هذه الأسئلة، وكان الضباط هم أنفسهم يجيبون على نفس الأسئلة.

- أنتم، ستصنعون أنفسكم قبل كل شيء، عندها لاترى عائلاتكم أن وجودكم في الثكنة مضيعة وقت ودون فائدة. سيعملون أكثر، والأشياء التي أخذتموها منهم، سترجعونها إليهم أكثر. جنّتم إلى الثكنة أغرار، أما الآن سترجعون إلى قراكم كشعب جاهز، كإنسان ناري. تلك

فنلندا التي حرمت من الهبات الطبيعية، بينها ضباط فنلنديون شباب أصبحوا دواءً مفيداً، يخرجون الناس الأذكياء والاقوياء من مصانعهم.

كان الجنود يحترمون أصدقاءهم الكبار ويظهرون لهم محبتهم، لم يردوهم خائبين في المهام العسكرية، يفتشون رفاقهم المهملين، عندما يسرح الجنود من الجيش، يرسلون الرسائل لضباطهم يمدحون حياة الجيش بسعادة، وينظرون إلى الحياة نظرة جديدة، كانوا يطلبون من ضباطهم التعليمات والخير والبركة من أجل تعليم القانون وقواعد بلادهم، وكان الضباط يرسلون لهم كتباً ومجلات وجرائد.

كانت تتأسس في البلاد أمور صحية وثقافية.

الثكنة ليست حاجزاً في وجه تقدم المجتمع، فقد كانت مكان الارشاد، حتى أن القرويين كانوا يقولون لأولادهم العنيدون: لتأت مرة فترة خدمتك العسكرية عندها تستطيع الثكنة أن تردك إلى صوابك.

نعم كانت الثكنة تتكفل بأصلاحه، وتؤدبه خير تاديب، شكراً لله، فالشباب الجدد تعلموا أساليب الحياة تماماً.

بهذا الأسلوب ترتفع مكانة الثكنة فكرياً واخلاقياً، كما الخميرة ذات الفعالية العالية تنتفخ العجين أيضاً.

كرة القدم

لم تتوقف الحرب في أوروبا بعد استيلاء نابليون على عرش فرنسا، لقد حارب نابليون مع أوروبا كلها، تغلب على الانكليز في البداية، وحاولت انكلترا إسقاط نابليون عن العرش، وبنفس الوقت كان نابليون يهدد روسيا.

تخلت روسيا عن الحرب بينها وبين السويد في عام 1808 خوفاً من حرب نابليون، وجرت معركة مشهورة وكبيرة بين فرنسا وروسيا، جمع نابليون قوة عسكرية مؤلفة من عشرين شعباً، وهجم على روسيا، احتل روسيا حتى موسكو، لكنه انهزم في النهاية شر هزيمة، وعاد إلى فرنسا دون ثأر. عمل لاجل سمعته المشهورة، ولكن هذه الحادثة جعلت انكلترا من أوروبا كلها أصدقاء لها وهجموا على نابليون، وقع نابليون في الأسر ونفي إلى سانت هيلين.

فرح الأوروبيون الذين أشمأزوا من حروب نابليون كثيراً وخاصة نهايته، واندھشوا من قوة وانتصار انكلترا، وتأثروا بالانكليز حتى أصبح أي عمل انكليزي عادة وموضة لديهم. أحياناً يأخذ الأطفال الصغار عادات سيئة من الكبار. كالتدخين، وتناول الخمر، والتحدث بصوت عال. اقتبس الشعب الذي كان متخلفاً دون علم ومعرفة من الانكليز بعض العادات السيئة.

صرف الرجال أولئك الذين يملكون أوقات وبنفس الوقت أغنياء، كالانكليز، الكثير من النقود لسباقات الخيول، يتناولون الويسكي والصودا كالانكليز، ويقلدونهم في حلاقة الشعر وكذلك في طريقة التمشيط والتزيين.

أخذ الشبان عادة لعبة كرة القدم من الانكليز، أولئك الشبان الذين لم ينهوا دراستهم بعد، فتعلقوا بلعبة كرة القدم حتى عبدوها، واعتبروها علماً ومهنة، أما الكتاب فارغو الرأس الذين يستطيعون أن يلفتوا أنظار الناس من الشوارع إلى الحماس الرياضي، في صحفهم من خلال مقالاتهم، عن كرة القدم، وافتتحوا زاوية خاصة لرياضة كرة القدم، ومدحوا فيها عن أصحاب السيقان السمينة كسيقان الجواميس.

لقد أنتشر هذا الهوس بالكرة في زمن سنلمان في فنلندا أيضاً، لم تكن الأفكار الجيدة منتشرة بين الشبان في فنلندا عندها، ولم يعرفوا التفكير الصحيح، وبعد أن وقعت فنلندا تحت الحكم الروسي، انتشر بين الشباب الفنلندي احساس الثأر للسويد. اتجه الشباب الفنلنديون الذين لا يملكون تفكيراً إلى كرة القدم، وانتقلت عدوى كرة القدم كمرض بين شبان المدن، حتى أنها

انتقلت إلى القرى الكبيرة أيضاً، انتشرت الجمعيات والنوادي الرياضية بكثرة كالدامل في جسم المريض، كحشرات المستنقعات، يمجدون السيقان السمينة - كسيقان الجواميس.

لم يحب سنلمان وأصداؤه أن تحتل السيقان السمينة مكان الرؤوس الكبيرة، لم يرغبوا أن تنتقل قوة الرأس إلى الأقدام ويبقى الرأس فارغاً. كانوا يريدون دائماً تطور ورقي الفنلنديين ويقولون: ماذا تصنع السيقان والزود الرفيعة؟ ماذا يستطيعون أن يقدموا للوطن؟

كان سنلمان يذكرهم، في زمن ما في اسبانيا تولع البعض بقراءة الروايات، وقد ظهرت هذه السخرية في كتاب دون كيشوت، كان سنلمان واصداؤه يقولون: اولئك الثرثارون الذين يقرأون الروايات الرخيصة، يجب ألا ننساهم، ونحاربهم ونحارب أمراضهم.

كان سرفانتس مؤلف كتاب دونكيشوت يقول لقرائه:

(إن قراءة الروايات السطحية، دلالة على التفكير الضحل).

لم يكن الاسبان في ذلك الوقت يدركون التقدم والتطور العلمي والمعرفي والاقتصادي في بلادهم ولم يكن يبحث عن حلول أو يسأل عنها. لأنهم لم يوافقوا أن يعملوا في هذه الطريق بالعلم والارادة. كان هناك رجال يقرأون أياماً بل سنوات روايات سطحية ورخيصة، واعتقدوا أنهم يفعلون شيئاً بقراءة الروايات. في البلدان التي لاتوجد فيها الثقافة، يتبدل عقل الناس وينتشر فيها الجهل والأخطاء. ومع ذلك يزداد الفقر والبؤس. وتضعف قوة الدولة، ويؤدي بالاخلاق والفكر والاقتصاد إلى الافلاس. والذين يفهمون أيضاً اتجهوا إلى قراءة الروايات الرخيصة، كالسكاري. يقول سنلمان: (لاتعرف بلادنا أهمية الكتاب، ويجب أن يكون بيننا رجل مثل سرفانتس، ويجب أن يغني الجانب الأضعف من جوانب حياتنا بقلمه وفكره، فليخرج رجل مثل سويغت ويبحث في روح الانسان الضعيفة، ويبحث في العقل البكر - العقيم.

يحزن سنلمان وأصداؤه ويقولون: لا يوجد بيننا داهية مثل سرفانتس. ولا نستطيع أن نصنع كتاباً مثل سويغت، لكن نحاول قدر الامكان وبقدر فهمنا وعقولنا وقوتنا نستوعب تلك الأشياء في بلادنا ونصنعها. لماذا لا يمكن للمرء أن يرى جراثيم وباء الكوليرا بالعين المجردة؟ رغم صغر الجراثيم، فإنها تدمر بلداً (وطناً) وهناك جراثيم معنوية إذا داهمت شعوب ومجتمعات فإنها أخطر من جراثيم وباء الكوليرا.

جرت محاربة الأمراض التي كانت متفشية في المجتمع الفنلندي في زمن سنلمان، لأن فنلندا بلد كثير المستنقعات، لذلك كانت مأوى الأمراض والحمى، وكان الناس يموتون بها ولم يتحملوا تلك الأمراض، لذا كان سنلمان يقول: هذا ليس جميلاً، ماعدا هذه الامراض، يوجد بيننا أمراض

العقول وأمراض الارادة وأمراض الروح. لقد تفشت الأمراض الروحية بين غالبية الشبان، وبعد خمس عشرة سنة أعتقد أنه لا يوجد شيء اسمه الجيل الجديد (الشبان).

جرى احتفال كبير بكرة القدم في يوم ما، وقد أقام ناد كبير احتفالاً بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس النادي الرياضي الكبير، وجرت مسابقة وطنية كبيرة لهذا المهرجان، قرأت فيها الخطابات. وكان كل من حضر المهرجان له علاقة بالرياضة، حضر سنلمان مع أصدقائه أيضاً وقد كان رئيساً فخرياً لناد رياضي، ألقى سنلمان أيضاً (كلمة): (أفرح كثيراً عندما أجد أن الشباب الفنلنديين يمارسون ويهتمون بالرياضة. إن كان تدريب الجسم بشكل معقول فهذا رائع جداً.

إن اليونانيون القدماء الذين طوروا الفلسفة كثيراً، لم يطورها بطريقة الصدفة، وقد أوصلوا الألعاب البهلوانية إلى درجة عالية. إن تعليم (تدريب) الجسد يجعل الجسم قوياً وخفيف الحركة، وتقييم قامة المرء أكثر ويجعلها رشيقاً. إن أهل المدن الذين يقضون حياتهم في المياه الوسخة فيدمرون أجسامهم؛ ويعرضون قوة عضلاتهم للتدمير، ويسبب لهم ضعف الدم، ويتحولون إلى فقراء وضعفاء، حتى أن أطفالهم الذين يدرسون في المدارس يستبدلون الطريقة الحديثة بأسلوب القراءة القديم. وامتألت رؤوسهم بالآلاف الهراءات والقوانين غير المفيدة والتي مضى عليها الزمن.

يضع كثير من التلاميذ في المانيا النظارات على عيونهم، لأن عيونهم ليست جيدة. الرجال ذوو الحدبة، والرقاب المائلة، وأصحاب الزنود والسيقان الرفيعة، والذين لم ير وجوههم نور الشمس كالعشب اليابس، ذابلي الوجوه، ينتشر هذا في المدن أكثر مما هي في القرى يريد المرء أن يخرجهم إلى القرى، أن يغير الهواء ويتجول بين الأعشاب لينتعشوا بالهواء النظيف. كان اليونانيون القدماء يفعلون هذا، وضع هذا القانون سقراط، فيدياس وبريكليس والذين كانوا في تلك الفترة قانون مبدأ الحياة.

لا يلزم التفرّد في أي شيء، يجب على المرء ألا ينظر بعين أحادية ومن جهة واحدة، يجب أن يعتدل المرء في كل شيء. ويجب أن يصنع (يتمم) أي شيء في زمانه ومكانه. يسخر سويقت صاحب كتاب (جليفس) من أولئك الأشخاص الصغار كالضفادع الذين يتبححون ويتباهون بالعظمة. يسخر سويقت أيضاً من الرجل السمين وذو الرأس الكبير، والرقبة الرفيعة، والأشخاص غير الطبيعيين، يقول: إن حياتهم تشبه أجسادهم القذرة.

- لا نوافق ولا نرضى أننا وأصدقائي أن تصبح فنلندا كبلاد اليأجوج والمأجوج، لا نريد أشخاصاً غير طبيعيين، ولا نريد أن تحتوي فنلندا ذوي الرؤوس الفارغة، والأقدام السمينية سيقان الجاموس، إن هؤلاء الأشخاص الذين يشبهون أقدامهم، سيقان الجواميس ورؤوس الاغنام لا يمكن أن يصبحوا أصدقاء المفكرين، أنتم تفرحون كثيراً بتطوير كرة القدم في فنلندا وتجودونه مناسباً. إن فريق كرة القدم بعنوان (الأقدام القوية) تباري فريق السويد والنرويج والدنمارك، حتى أنهم سافروا إلى المجر أيضاً وتغلبوا عليهم، لذلك تسرون لهذا الانتصار أما أنا فلا.

أتمنى أن تؤسس في وطننا الحبيب جمعيات فكرية وثقافية مثل (الأفكار القومية) الأعمال (الجيدة الرفيعة) النضال (الجواميس ذوات الحليب) و(البويض الكبيرة) و(فرق قوية) و(الايمان القوي) و(الوجدان الطاهر) و(الأفكار الجديدة)... الخ.

- أريد منكم أنتم أيها الشباب الفنلنديون أن تتغلبوا على المجر وفرنسا وانكلترا، ليس بكرة القدم والسيقان السمينية والقوية فحسب بل بالعلم والصناعة والتجارة والفكر.

- إن اعتمدتم في مسابقاتكم فقط على هاتين القوتين (السيقان والزنود) فلن تتقدموا، مايلزمكم هو العقول النيرة، فلا يوجد أقوى من رأس الكباش ولا أكثر عناداً منه، فلا أريد أن تكون رؤوسكم مثل رأس الكباش، ابحثوا عن رأس سقراط وبريكليس المشهورين، ضعوهما بجانب بعضهما، ستجدون أن رأس سقراط هو رأس فيلسوف، جبهته عالية، مكان المخ، قد يتبادر إلى ذهن أحدكم أن الفكر سيخرج من رأسه ويستقر على جبهة سقراط. ثم لاحظوا هيكل بريكييس أيضاً، ستندهشون من قوة جسمه وعقله البهلواني ومن قوة الاسطورة اليونانية. قامته منتصب كعمود، وكتفاه الصغيرتين وجبهته العريضة، إن كل هذا يدل على قوة جسمه، لكنه بطل قليل العقل، ليس بطلاً للفكر.

- أنا لا أقول لكم اختاروا رأس سقراط أو رأس بريكييس، لا. أقول لكم إن أردتم أن تكونوا أصحاب أقدام قوية، لاتنسوا رأس سقراط أيضاً، لكن ليس أصحاب الرؤوس العنيدة كالحجر، لاتنسوا هذا أبداً.

ضروري أن يتم كل شيء، في زمانه، عندما يحين زمن الفرخ، أفرحوا، لايلزم وطننا الحبيب لعبة كرة القدم فحسب، بل لعبة الاجتماع، والاقتصاد، والفكر والمجتمع، تخلوا عن العادات السيئة في مجتمع الثقافة والمعرفة، إن الذين يسافرون إلى فرنسا، لايعلمون مقهى شانتان، والذين يسافرون إلى المانيا أنصحكم ألا تذهبوا إلى الخمارات، أما الذين يسافرون إلى انكلترا فيتذكرون

لعبة القدم فقط، ولا يتعلمون. أسسوا كشباب الالمان مئات الجمعيات (وحدة الفصائل) قد يكون هذا أكثر صحة فالعقل السليم في الجسم السليم.

أيها الشباب الفنلنديون، ليست مهمتكم تطوير كرة القدم وطيرانها، بل تكمن مهمتكم في رقي شرف الأمة الفنلندية إلى السماء، حاولوا وناضلوا من أجل التقدم وسمو وطننا الحبيب.

الأم. الأب. الأولاد

إن تعليم التربية عمل جميل للشباب الجدد والجيل الجديد، لأجل يقظة الفنلنديين، لقد كان سنلمان واصدقاه مرتبطين بالشباب ويعلقون الأمل عليهم وكانت النقطة الحساسة تدغدغ قلبهم أحياناً، فالرجال يقدرّون الشباب، لكن عندما كان الرجال يتعرضون لتربية الشباب بالسوء، كان سنلمان يدافع عن الشباب ويقول: إن الخطأ ليس خطأ الشباب، بل الخطأ منكم وفيكم، يفعل الشاب مثلما يتلقى التربية، ماذا تعلمون الشباب من التربية؟ لا شيء.

تهتم الأم بغسل الثياب، وجلي الصحون، وتكنيس الغرف، وإعداد الطعام، ويهتم الأب أيضاً بالتوظيف والتجارة والصناعة والعمل.

يقضي الأب أوقاته حتى ساعات متأخرة من الليل في المقاهي، لكنه لا يهتم أبداً بأولاده، يتبجح أنه لا يملك وقتاً، الاهتمام بالأطفال يجعل المرء يمل كثيراً. لا يتحدث مع أولاده، ولا يرتبط بحياتهم، يلعب مع أولاده ويفرح بهم في أوقات فراغه ثم يقول لهم:

تواروا عن الأنظار، هيا انصرفوا، العبوا لكن دعوني بحالي، افعلوا ماتريدون، لكن لاتزعجونني.

هكذا يبقى عقل الطفل بكرراً وكذلك جسمه كأرض غير محروثة وغير مروية، لا يمكن أن يزرع المرء فيها شيئاً.

أحياناً يتحدث المرء لهم عن أشياء جميلة، وحقائق، وحب، تجدهم كالحجر اليابس، يبدو أن هذه الكلمات غريبة عليهم.

لا يرتبط الأب والأم بحياة أولادهم، وإن ارتبطوا بهم لا يعرفون ولا يستطيعون. لا فائدة من كلماتهم التي لا معنى لها، ولا تؤثر في نفوس أولادهم.

إن تحدث الرجل بصراحة، وإن وجد في البيت الأم والأب والخال والخالة فيبقى الأولاد دائماً هكذا يتامى، ويعيشون يتامى ويكبرون يتامى.

ربما يوجد في بعض البيوت، يعتقد أنه يربي الأولاد تربية حسنة، ويرتدي ثياباً جميلة ويراقبون تربية أجسامهم أيضاً، لكن تهمل التربية الروحية عندهم، عندما لا يضحك الأطفال يجب على المرء ألا يستغرب، إن انخرط هؤلاء الأطفال بهذا الشكل إلى الحياة العملية فماذا يتوجب عليهم أن يفعلوا؟

- أنتم آباء وأمّهات الأولاد! تحدثوا مرة واحدة بمسؤولية: إن هذه المعيشة والبيئة التي أنتم تعيشون فيها، لاتصلح لتربية وتنمية الأولاد، هل تصلح أم لا؟

تحدثوا مع أولادكم وانصحوهم:

- لاتكذبوا، لاتنصبا، إن هذا الفعل ليس جميلاً، إنه ذنب، يقولون... لكنه يخدع نفسه وأولاده بهذه الكلمات. وكذلك يقولون لأولاد لاتزعجوا احداً. لكن لايهتمون بهذه الأشياء، يدفعون الأولاد بسرعة إلى المراوغة. يستغربون أولاً، إن تلك الأشياء التي يتحدث بها والدوهم للأولاد: لاتفعلوا، وهو يفعله، لايقتنع الأولاد به.

ثم تزرع فيهم هذه القناعة فيما بعد:

يقول الأب والأم بشكل، ويتصرفان بشكل آخر. لذلك لايتمدون على حديث والديهم ولايقتنعون بهما، ولايستمعون إليهما: (أفعلوا هذا، أو لاتفعلوا هذا). يتذمر الأب والأم من جهة أخرى بأن أولادهما عنيدون منذ الصغر، ولايستمعون إلى كلام والديهم. لايعرفان هما أنفسهما، أنهما يسببان هذه الأشياء، لاتقتنعوا أن الطفل سيصلح من تصرفاته بالضرب والزجر والتحقير، لا. تتصرفوا أمام أولادكم تصرفات غير مهذبة، كي يلاحظوا هم أنفسهم ميزاتكم ويحبوكم. لاينتبه بعض الأباء والامهات إلى أناقتهم، ونظافة أيديهم وأرجلهم، ولاينتبهون أيضاً في حديثهم إلى النزاهة والشرف. ومنهم من يقول أيضاً لأولادهم: هل ترون ماهي تصرفات والدكم، لاحظوا على تصرفات والدتكم؟ يقضي الأولاد 15 أو 20 سنة من أعمارهم في هذه المستنقعات ثم يقول الرجال: لماذا يبقى أولادنا بلا أجنحة ولايحلقون نحو السماء؟

وأنا بدوري أسأل تلك الأمهات والأباء:

- عندما أردتما أن تربيأ أولادكما ليتبوأ مراكز عالية قدمتما لهم أجنحة النسور أو أنكم قطعتم أجنحتهم؟ عندما يكبر الأولاد، يحلم الأب والأم وبينني أحلاماً خيالية حول مستقبلهم، يريدون أن يصبح ابنهم مهندساً، مأموراً، تاجراً طبياً، محامياً، أو يمتهن مهنة جيدة. ويبحثون لبناتهم عن رجل (زوج) غني، ينادون بفكرة الرفاهية والسعادة لأجل أولادهم فقط، وهكذا يقولون لقد انتهت واجبات الأب والأم، لذلك قال ليف تولستوي هذه الكلمات الجميلة - الرائعة:

- من اسس الحياة هذه هي واحدة: يريد كل واحد في حياته أن يصل إلى الرفاهية لوحده فقط. لكن رفاهية الحياة وفائدة العمل بوسيلة عمله، لايذكر اسس الحياة.

يريد كل واحد أن يأخذ حصة من الحياة، وبنفس الوقت لايريد أن يقدم لها شيئاً، يدخل كثيرين من الرجال إلى الحياة الاجتماعية برغبتهم، غصياً تطفلاً، يظهر حكمة الحياة من خلال الطفيلية، ويبقى حكمة الحياة سنوات هكذا في البيوت مع الأطفال، من هو المسبب؟ (ماهو السبب) الأب والأم.

هؤلاء الأولاد الذين يلقنون هكذا، عندما يكبرون يصبحون جهلة، جاثعين، تنابل، عبيداً لشهواتهم، وأخيراً لا يعرف أولئك الشباب الحب ولا الارتباط، ويبقون (دون ضوابط، فوضويين)، لا يمكن أن يزرع فيهم روح حب الوطن والشعب والعائلة وكرامة النضال ولا حتى الأفكار الانسانية، ولا يعرفون كيف يحبون والديهم حباً صادقاً، ما تذررونه ستحصدونه. وما تطبخونه ستأكلونه.

إن تركتم روح الشباب كأرض غير مزروعة، ستنتب فيها أشواك ودغل. الأباء والامهات الذين يتركون أولادهما دون زراعة (تربية)، هذه ليست مسؤوليتهما. استطيع أن أقول إن اهمال كهذا هو عمل لا أخلاقي. التربية ليست فقط بيد الآباء والامهات، بل يجب أن تكون مرتبطة بالمجتمع والدولة أيضاً. حتى إن كنتم تستطيعون أن تؤسسوا قانوناً أساسياً، وإن كنتم تريدون أن تتركوا حرية الاختيار للناس، وحتى ان اقتنعتم بمبدأ الشيوعية والاشتراكية، وإن كان أولادكم لا يريدون أن يتربوا، ويدخلون إلى الحياة بلا شيء، حياة المجتمع وحياة البرلمان سيبقى في ظلام دامس. إن المأمور الذي يكون من هذا الجيل - البذرة، المهمل، سيكون وزراؤهم أيضاً بهلوان يركض وراء مصالحه الشخصية فقط.

* نشر هذا الكتاب في مجلة روزانو على ثمانية عشر حلقة تحت عنوان (في بلاد الزنابق البيضاء) أو بلاد المستنقعات ولم ينشر الباقي من الكتاب كما هو مذيّل بكلمة يتبع.

*

صداق الحب

قصة رمزية خيالية. ذكرها لي الشاعر الكردي المشهور قدري جان. قصها عليّ ثم صغتها صياغةً وحواراً وأشخاصاً... والأدب الكردي مفعم بمثل هذه القصص الرمزية...
وقصة (صداق الحب) هي إحدى هذه القصص التي تصف حب الأم لولدها وتفانيها من أجل رفاهيته. وإن دلت هذه القصة على شيء فإنما تدل على استمرارية الوجود بفضل حب الأم الذي لا يدانيه حب...

نشرت هذه القصة أول ما نشرت في جريدة السياسة الأسبوعية المصرية لصاحبها الدكتور محمد حسين هيكل عام 1933. ونقلتها مجلة الانسانية الدمشقية لصاحبها وجيه بيضون، ثم نقلتها مجلة (سير) المهجرية نيويورك لصاحبها الشاعر المهجري الكبير إيليا أبو ماضي...
والأدب الكردي إلى جانب احتوائه أمثال هذه القصص الرمزية، غني بالملاحم الأدبية. وأشهرها ملحمة (مهم وزين) للشاعر الكردي العظيم أحمد خاني من سكان جزيرة بوتان... وقد نقل إلى العربية قسماً من ملحمة (مهم وزين) الاستاذ المرشد الإسلامي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فجاءت تحفة رائعة من روائع الأدب المترجم إلى العربية...
أما الشاعر قدري جان الذي نقل لي هذه القصة فهو من أشهر شعراء الكورد المحدثين أمثال جگرخوين وشيركو بيكهس وغيرهم.

ويمتاز الأدب الكردي في جملته بالخيال والعذوبة والتعاطف مع الفكر الانساني الحر المتطلع أبداً نحو الحرية والعدالة والمساواة... ومجابهة الظلم والاستبداد والاحتلال بشجاعة وتصميم وفداء.

الاستاذ الدكتور خالد قوطرش

° نقلاً عن كتاب - مختارات قصصية من الآداب العالمية - من الأدب الكردي، ترجمة الدكتور خالد قوطرش. الطبعة الأولى - 1995، دار الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق. ص 121-128.

صداق الحب

هاهي تتراى يا إلهي! فحقق رغبتني وارو غلتي فأنت تعلم ولايعلم غيرك ما أكابده من حر الجوى ومر العذاب وثورة الجفاء. فلوح إلى قلبها الحب وألهم فؤادها الحنان لتهتم بأمرني وتتقدم إلي لتعاطيني الكلمات والنظرات كما أعاطيها وأبادلها هذه منذ أربعة أشهر. مرت كلناز هذه المرة أيضاً مسرعة دون أن تلتفت إلى زنار أو تكثرث به. فاردف قائلاً: (آه! يا لحظي الانكد! يا لشقائي! يا لوحدي! إنها تمر هذه المرة أيضاً حيث لالتفتت إلي ولا تكثرث بي. لقد خانتني مخيلتي وغدر بي قلبي. أنا لا أحمل تبعه هذا الاخفاق إلا عليك يا إلهي يا خالق كل شيء ومبدع كل شيء إنك لاه عني وعنهما. غير مهتم بي وبها سواء أعشنا أو هلكننا. إنك يا إلهي في شغل عنا لاتحسب لنا حساباً. عفواً يا إلهي إن ملت عن الطريق أو ضللت سواء السبيل فقد ضاع رشدي غاب فكري. آه! أنا الذي أقف كل يوم على هذا الجسر كئيباً حزيناً مترقباً مجيء حبيبتي كلناز لبادرها بالابتسامة وافاجئها بوحى مهجتي محاولاً جهد طاقتي أن أفتح قلبها للحب. أواه! إنني لم أظفر إلى الآن. إن قلبها أشد قسوة من جلمود الصخر أفلا يجب علي أن اليينه؟

رحماك يا حبيبتي، حناناً من لذنك وعطفاً من جنابك. رفقاً بشباب قد ضرسه الجوى وأضناه وحرقه الهوى وأفناه. لقد حن هذا الجسر الجامد علي وبكى لبكائي فلا أريد التي تيمتني بحبها قلباً أصلب من هذا العوارض الحديدية وأقسى من هذه السدود الحجرية. فهذه بقايا ظلام الليل الراحل وأوائل نور النهار المقبل شهود على ذلك.

استودعك الله. وحاولت الذهاب فاستوقفها زنار قائلاً: بربك لاتذهبي فعدلت عن الذهاب ووقفت إلى جانبه. ولكن زنار فكر أيضاً واطال التفكير وتأمل وافرط في التأمل وأخيراً قال: (أمر جليل خطير، وخطر فادح كبير).

ثم أصفر وجهه اصفراراً قانياً وارتجفت شفتاه كارتجاف شفتي الفقير في فصل الشتاء واهتزاز المحموم ونطقها بصوت متقطع وبكلمات مبعثرة:

(ليكن ما تري... (تأوه)... ديين وغداً في هذا الموقف وفي هذه الساعة سأ... قد... م لك... (بكاء)... ماتبغيب...ن).

- حسن جداً يا فتى. إلى الغد إلى اللقاء يا حبيبتي. قالت هذا ومضت لحاجتها. عاد زنار إلى داره وهو غارق في لجة التأملات والخيالات... مستسلم لهواجسه النفسية وانفعالاته الداخلية، فساورته المخاوف والظنون لتصادم قوتين عظيمتين في داخله: قوة الحب

الأموي، وقوة الحب العاطفي، وبأيهما يضحى. فحاول جهده طاقته أن يصل إلى نتيجة حاسمة فلم يفلح، وفي أثناء جلوسه في غرفته وهو على هذه الحال من الاضطراب النفساني دخلت عليه أمه مبتسمة... وكانت مشدوهة لحاله، وسألته في رقة وحنو عن حاله واضطرابه وراحت تهديء من روعه وانفعاله. وأخيراً خرجت فبكى زنار أثر خروجها بكاء شديداً خافتاً.

ارخى الليل سدوله فجلى العالم بردائه الأسود القاتم، فحل المكر محل الصفاء والضغينة مكان الولاء. أسود المرج الأخضر والسهل الأصفر والجبل الأسمر وتكاثرت الظلمة في الوادي حتى تلاشى مشهده عن الوجود لولا خريف ماء النهر المنساب في قعره على الصخور والاحجار انسياباً وحشياً وأضحى الجبلان اللذان يفصلهما الوادي طوداً شامخاً فكم كانا يتمنيان دوام الليل ليديم اندماجهما واتحادهما.

تقدم الليل بخطوات واسعة ولم يزل زنار منزوياً في الغرفة ملازماً مكانه تتلاطم أمواج الخواطر في فكره وهو يحترق بين نار الحب ونار الوجدان. وأخيراً نهض:

آه أخطب من؟ - لا أحد - أين هي؟ - لقد مضت منذ حين وذهبت منذ ساعة. إذاً لا بد أنني أصبت بمس من الجنون).

وقف زنار في اليوم التالي على الجسر حسب عادته منتظراً مرور كلناز ليسمعها انينه وشكواه ويعلمها بحبه وهواه. فلما تراءت له عن بعد أحمر وجهه وتهيج وارتجف ثم همس في نفسه: (ها هي تقترب مني يا إلهي تمشي مشية الطاووس مرحاً وخيلاً، متعجرفة بقوامها الأهيء. تسير فتتثنى بسيرها كما يتثنى العود الرطب أو غصن الخيزران. لقد اقتربت كثيراً وأصبح وقع قدميها الصغيرين الرقيقين جلياً واضحاً. فياليت هذا الوقع كان على قلبي الخفاق).

شاء الحظ أن تقف اليوم كلناز ترد له ابتسامته وتساءله عن حاله فبهت زنار لوصوله إلى النتيجة التي قضت على جسمه بالنحول وعقله بالذهول. ثم قالت: (مابك يا فتى واقفاً كل يوم في هذا المكان تراقبني وتخاطبني؟ ماهي طبيعتك؟ فإن كنت محباً فأقلع عن هذه الفكرة لأن حبي فظيع خطير أو كنت ذا مآرب آخر فأشرحه لي فلربما حققته لك.) اطرق زنار هنيهة ثم رفع رأسه وسرح طرفه وخياله بجمالها ف شعر بالفتيق المنتثر من ثغرها وبالاثير الشفاف المنتشر من ناظريها، رآها فتاة ترد الغزاة طرفها خجلة من هيبة جمالها فوقف أمام هذا الجمال الملائكي مأخوذاً مرتجفاً وقد أثر الموقف فيه أثراً عميقاً فكم كان يشتهي أن يستسلم لتلك العاصفة الداخلية النفسية التي كانت تدفعه للارتقاء على جسمها الغض ليشبع نهديها ضمناً وتأوهاً

وشفتيها حرقة وقبلًا: إلا أنه هدأ عاطفته ثم قال: يا من استولت على مشاعري وشغلت كل تفكيري منذ أول مرة رأيتها، إن قلبي يتفتت من ضغط بارود الهوى ويقطر دماً من قوة نار الجوى، أفلا تشعرين يا حبيبتي بهذا الحب القاتل في كل عضو من أعضائي، والماكث في كل حجيرة من حجيرات جسمي؟ ألا تشعرين بهذه الزلزلة العنيفة وهذه الرعشة الشديدة، وهذه الهزة القاسية التي تنهك قواي؟ ألا تشعرين بكل هذا ألا تشعرين؟ ألا تسمعين هذه الدقات دقات قلبي المتماوجة المتدفقة؟ انظري مئزري الموضوع على صدري كيف يعلو ويهبط من أثر تلك الدقات وشدة النبضات. إنك تفهمين إذا تأملتني قليلاً ماذا أريد منك وما يدفعني كل يوم للوقوف هنا... وتنهد زنار قليلاً ثم تابع كلامه: إني لم أفهم يا معبودتي معنى قولك: إن حبي فظيع خطير).

فأجابته كلناز قائلة: أني أفكر يا فتى في كل شيء خلا الحب واحلم بكل شيء ما عداه. إني زاهدة به كزهد الغني البخيل بالخيرات والاحسان. لقد مرت علي حوادث اعطتني درساً بليغاً في نكران الحب والوفاء، ولكني مع هذا لم أشاهد فيما شاهدته سابقاً فتى مثلك دقيق المشاعر رقيق الاحساس، حاد الذهن، يقظ القلب فطن الفؤاء، واسع المخيلة، وتلك صفات ملازمة للانسان ذي الحب العميق والاخلاص المعمر. فسأحاول أن افتح قلبي ليخاطب قلبك وادعو فؤادي ليناجي فؤادك. وصمتت كلناز برهة ثم تابعت حديثها قائلة: لي شرط واحد يافتي أريد أن اتحققه فيك قبل أن يربط حبل الحب قلبي. واني أشفق أن تنكره علي كما أنكره قبلك أناس كثيرون). فتهيج زنار وقال: (اذكري الشرط يا حبيبتي ولا تنتهواني به فالشرط مهما كان جليلاً عظيماً. والخطب مهما كان فادحاً خطيراً، لا يخفيني ولا يثني عزيمتي طالما وراءه رضاؤك وحنانك وحبك).

فأجابته: (هل لك أم يا فتى؟ - فقال زنار نعم أنها لعجوز نحيلة، رقيقة الاحساس، نقية محسنة، رحيمة رؤوفة) فاردفت كلناز قائلة: (حسن جداً يافتي فإن كنت تحبني حقاً وتتفاني بحبي وتضحني بكل شيء لأجلي فآتني بقلب أمك العجوز وليكن هذا القلب صداق الحب)..

جمد الدم في جسم زنار عند سماعه هذا الشرط فاصبح لا يدري مايفعل: أيلتزم جانب الايجاب أو السلب أم يظهر الرضى أو السخط لكنه اطرق وأطال الاطراق حتى قطعت كلناز اطراقه بقولها: (ألم أقل لك إن حبي فظيع خطير).

كأنه أصيب بمس من الجنون أو هز في الدماغ، فأخذ خنجرًا قاطعاً ودخل غرفة أمه الغارقة في لذة الكرى، وقف هنيهة أمام سريره مرتعد الفرائص مرتجف الجوانح ثم أخذ عنقها بيده

وفصل رأسها عن جذعها بأسرع من انفصال الجريان الكهربائي عن سلكه ثم شق جوفها وانتزع قلبها ووضعها في صحن ووقف برهة شاخصاً بالقلب وذرف دمعتهين حارتيين، دمعة من العين، ودمعة من القلب، وحاول أن يلصق أجفانه بعضها ببعض ولكن عبثاً حاول فقد تقاصرت الأجفان من ألم الوجدان. ثم اقلع يعدو نحو الجسر ليقدم القلب لحبيبته، لأن الفجر أصبح على قاب قوسين أو أدنى. وأنه لسائر في الظلمة الخامدة يهتز في سيره من شدة ما أصابه من الدهول ومن هول الموقف الرهيب المهيب. ومن الضمير الذي ما انفك يوخزه ويعصف بأحشائه كما تعصف الريح بالأشجار، إذ زلت قدمه في حفرة فسقط القلب على الأرض وتلوث بالتراب وسقط هو أيضاً أثر سقوطه، فاصطدمت ساق رجله بحجر فصاح وتأوه من شدة الألم. أما قلب الأم المقلبي على التراب فتأوه لتأوه زنار وتوجع لوجعه وانطقه الله بعظيم قدرته فقال بصوت خافت ناعم رحيم: (مابك يابني فهل أصابك شيء أوجعك وآلمك، فياليت الصدمة كانت لي. هون عليك يابني فإني لا أريد أن أراك حزيناً متألماً. أقبل إلي بحياة من ضحيت حياتي لأجلها لأضمد جروحك. إني راضية يا بني بما أصابني مادام فيه سعادتك وهناؤك، بربك لاتبك قم واسرع فإني اشفق أن تتأخر عن موعدك).

القلم عاجز عن وصف مدهى زنار لدى سماعه قلب أمه يتكلم متلهفاً عليه راثياً لحاله فقد انكب عليه مغشياً وأخذه بيده وضمه إلى صدره ورسم عليه بشفتيه المرتجفتين عدة دوائر، مردداً: أماه! أماه! أماه! واغرورقت عيناه وانسكب الدمع الحار منهما حتى سال على خده وهطل على قلب أمه. وبقي زنار ملقى على القلب إلى أن شهق شهقة كانت فيها نفسه...

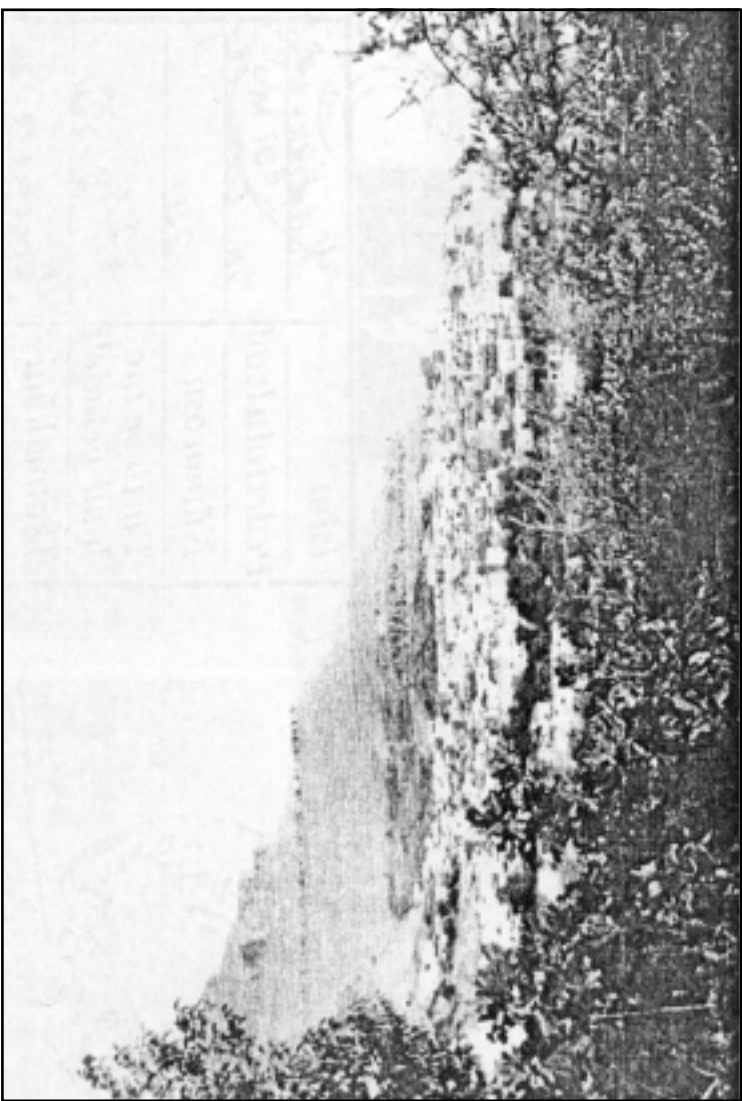
المحتويات

7	- المقدمة
12	- التصدير
15	- سيرة حياة الكتاب قدري جان
20	- دراسة أعماله القصصية والشعرية
33	- رسالة بخط يد الكاتب قدري جان
	قصص ومقالات
39	- إن وجدت الصرخة، فالشكوى تليها
41	- القرية المحدثه
42	- سليمان بك بدرخان
44	- البصرى الذهبية
46	- البدر
48	- أليس كذلك أيها الشعب؟
50	- ربيع ديريك
52	- عزاء خالي
54	- القسم
58	- الذنب
62	- الأيام الماضية
65	- كلاب المصايف
67	- كلجين.
72	- صيد الخنازير
75	- الانقلاب الأحمر الكبير
78	- الخاتمة - النهاية
81	- نادي النصر (سركوتن)
82	- خاتم سليمان
85	- الثعلب الماكر

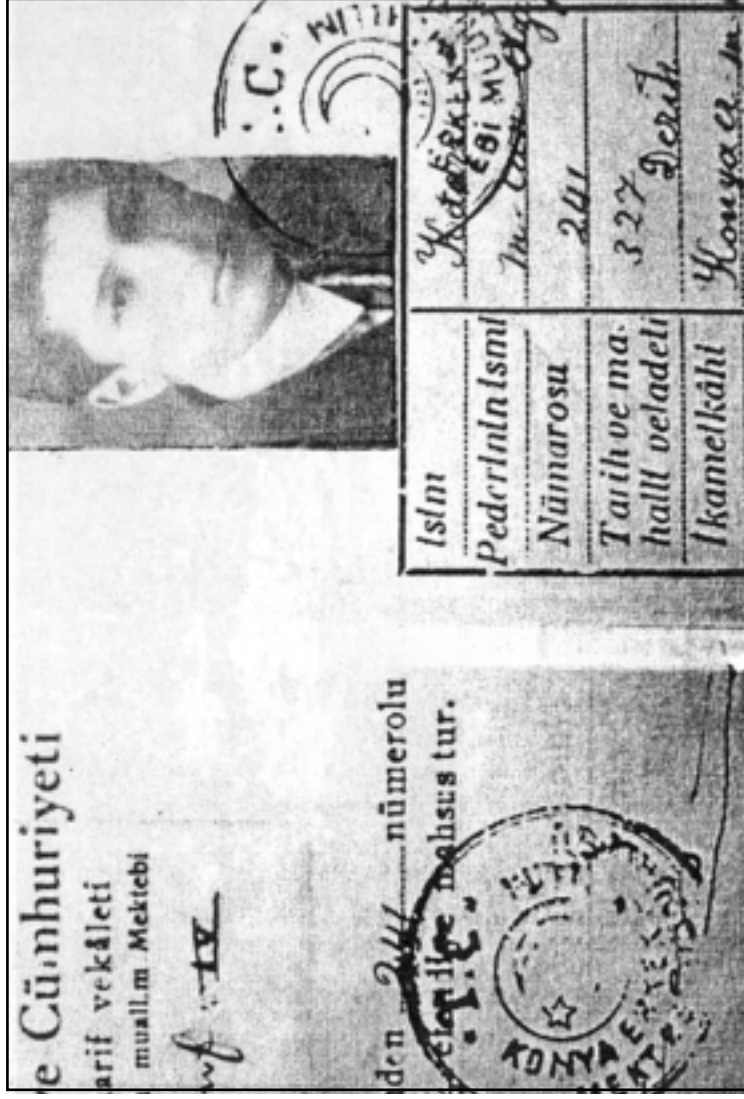
شعر

89	- كم هي جميلة
90	- مواساة
92	- الحداد
94	- في صحراء
96	- التابوت المدمى
97	- جگرخوين
99	- حلم اليقظة
101	- الأم
102	- جواب الفتوة للأم هاوار
103	- رسالة
104	- مرثية
105	- الطريق الجديد
107	- الأسد قادم إلى الوطن
110	- سيد آخر الزمان
114	- الوردة الحمراء
115	- الوطن مثخن بالجراح
116	- قائد الكرد . . البارزاني
121	- عزاء القاضي محمد
125	- زاهب أنا إلى موسكو
128	- القمر الاحمر
130	- الرابع عشر من تموز
133	- قافلتنا
135	- رسالة إلى إذاعة طهران
139	- عيد اكتوبر

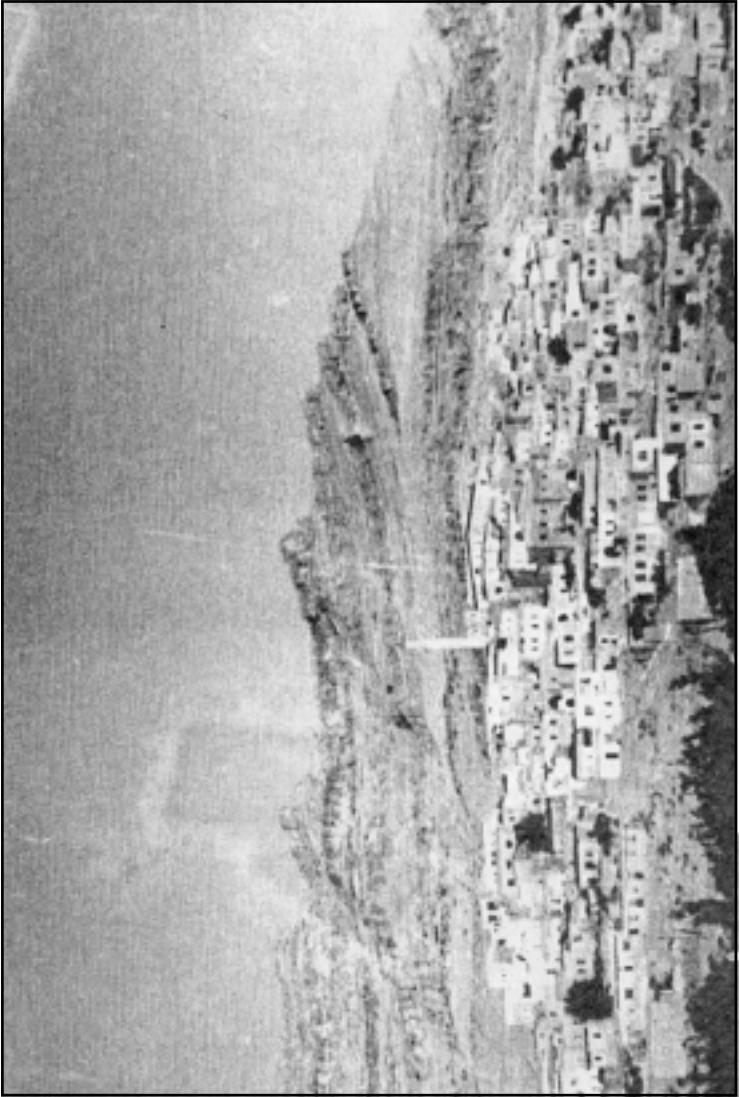
141	- ثورتنا في السجن
142	- مرثية جلادت بدرخان
	ترجمة
145	- شعرة بيضاء
146	- في بلاد زنايق البيضاء
147	- العبرة من التاريخ
149	- الرجال الأبطال والشعب
152	- تاريخ سومي (فنلندا)
154	- سنلمان
157	- المأمور المرابي
160	- الثكنة مدرسة الناس
166	- كرة القدم
171	- الأم. الأب. الأولاد
174	- صداق الحب



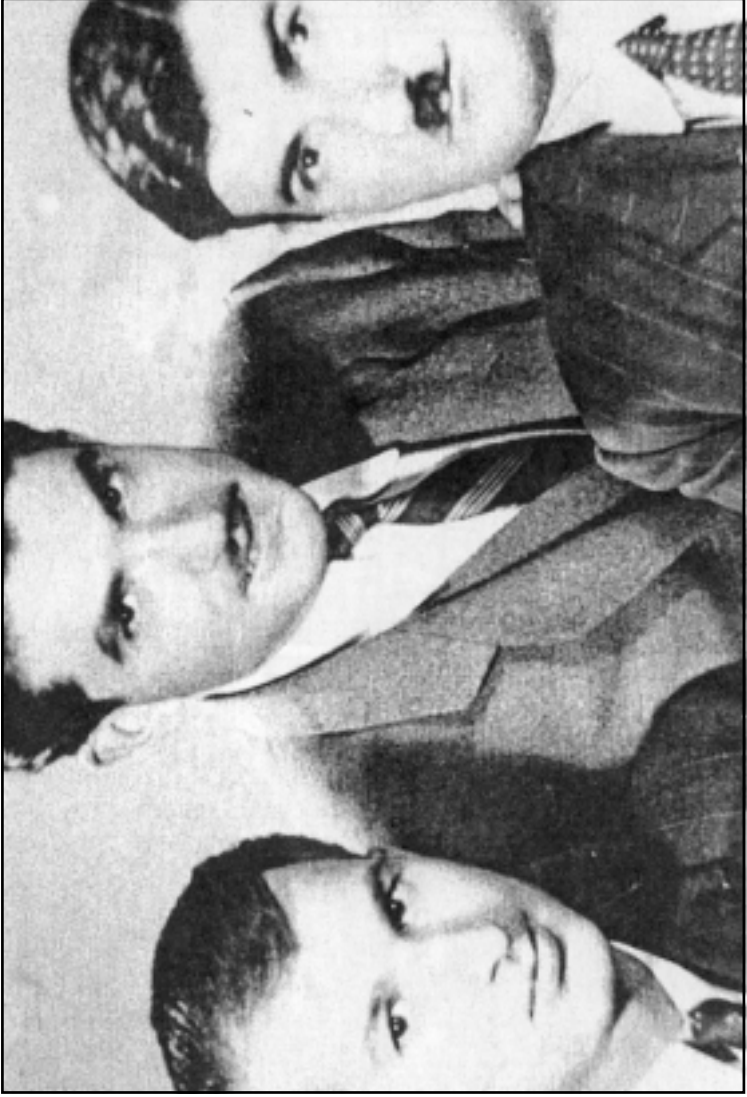
منظر طبيعي من مدينة ديريك - جبل مازي - ستوديو جانغاش



صورة عن هويته المدرسية عندما كان طالباً يدرس في دار المعلمين في (قونية)



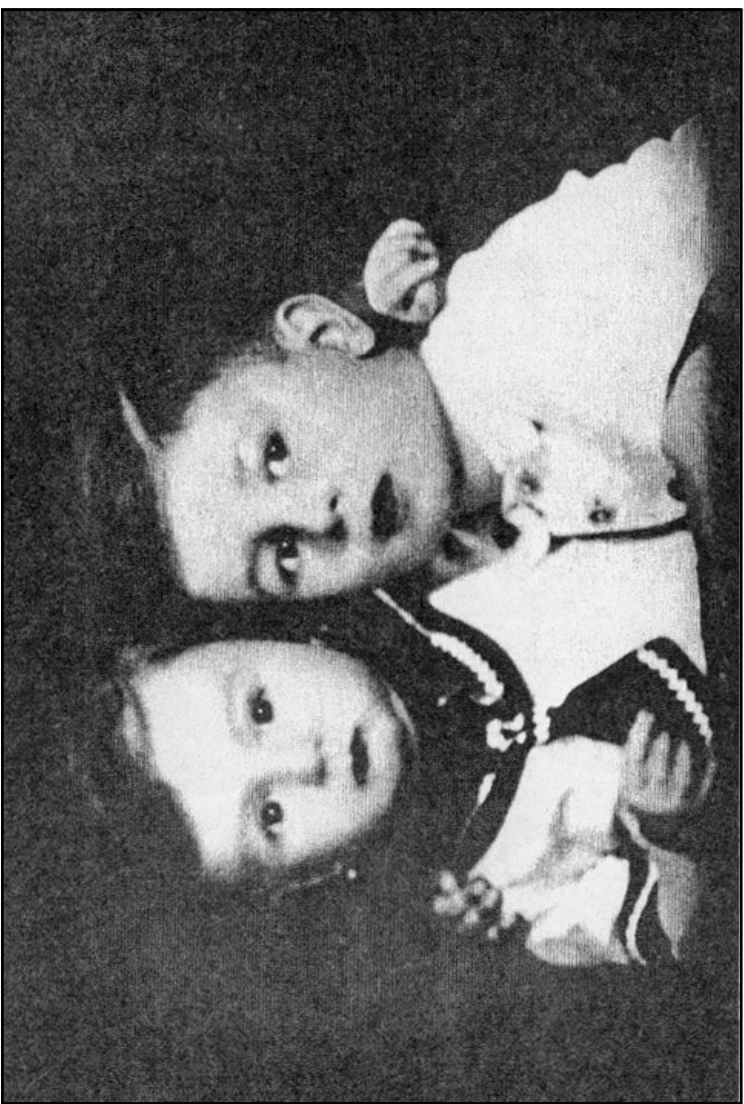
منظر طبيعي من مدينة ديريك - جبل مازي - ستوديو جاغداش



من اليمين: الثاني نورالدين غاذا - قديري جان



من السجين: قنبري جان - نوري دريسمي - مخلوح سليم والهي - قنبري بك (نزار سلومي) دمشق



مزكين ود . شيرين اولاد قديري جان (١٩٤٦) دمشق



الرافضون في الوسط الشاعر قنبري جان مع بعض المثقفين الكرد العراقيين



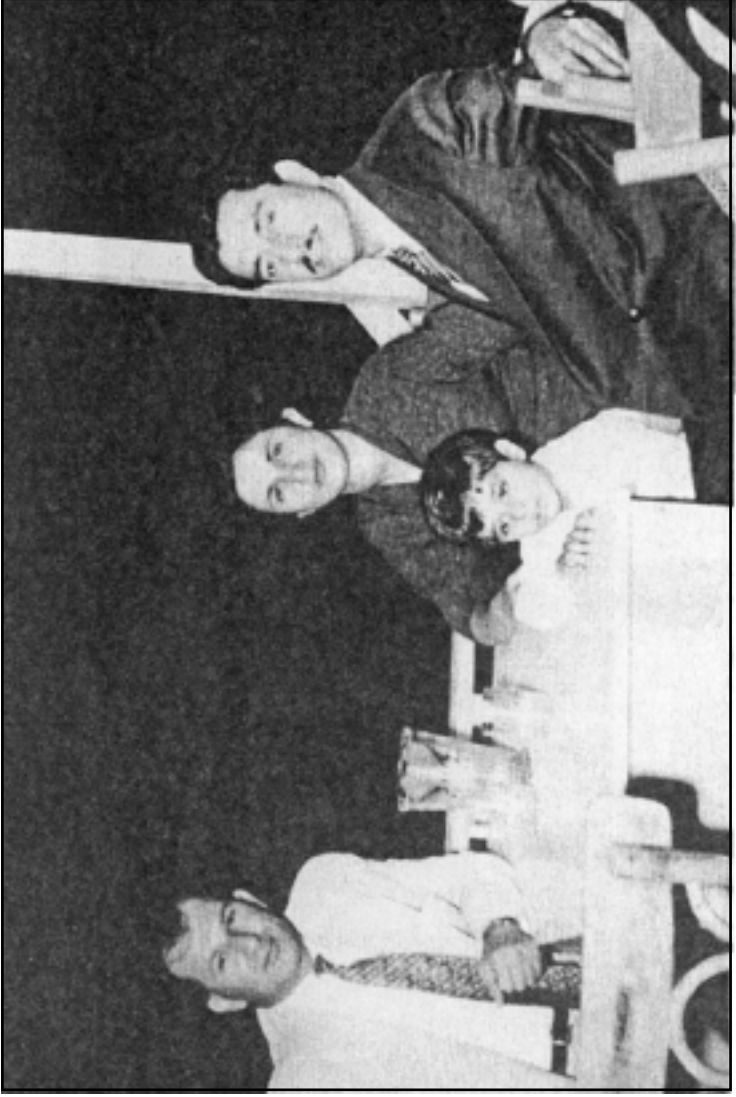
من اليمين: القائد بارزاني المقاتل - ضابط - وقديري جان (العراق) ١٩٥٨



من اليمين: محمد علي شويش - حسن حاجو - محمد سليم وانلي والشاعر قدري جان



من اليسار: الثاني قذافي جان مع مجموعة من شباب الكرد العراقيين في مهرجان
موسكو للشباب العالمي.



قدري جان مع الدكتور عبدالرحمن قاسم في مدينة دمشق



الجالسون من اليمين: نظام الدين كسار (خال محمود سليم) - حاجو أغا - جليل والي (والد محمود سليم والي)
الواقفون من اليمين فقري جان والعالم اللغوي جلاوت بدرخان



قندري جان مع زوجته (نيلوفر عثمان) في يوم زفافه / ١١ ايلول ١٩٣٩



الكاتب الكردي قنري جان (١٩٢٨)



آخر صورة لدا قنري جان، مصورة في ٢١ آذار ١٩٧٢



الشاعر قلدري جان ١٩٥٨